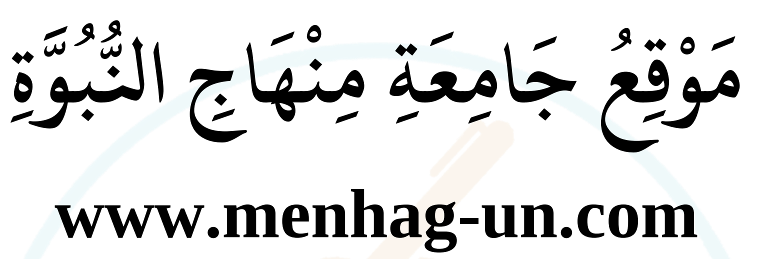


مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَاشِدٍ التَّمِيمِيُّ، الْمُتَوَفَّىٰ سَنَةَ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي رِسَالَتِهِ «**الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا**»؛ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:



مَتْنُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: وَلَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَالْعَمَلِ بِهِنَّ:

الْأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥- ١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ- أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَمَعْنَىٰ يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِي.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٥].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ الرَّبِّ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّىٰ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وَكُلُّ مَنْ سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلَ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ،

وَالْإِنَابَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ، وَالِاسْتِعَاذَةُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَىٰ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ...﴾ الْآيَةَ [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ...﴾ الْآيَةَ [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الِاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وَفِي الْحَدِيثِ: «...وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الِاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١].

وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الِاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾ الْآيَةَ [الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا**﴾ [الإنسان: ٧].

الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ:

وَهُوَ: الِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَىٰ: الْإِسْلَامُ:

فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الْإِثْبَاتِ (لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلَّا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى**

بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ:

وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كَمَا فِي الْحَدِيثِ «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ:

أَرْكَانُهُ: وَلَهُ رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧- ٢٢٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**».

قَالَ: صَدَقْتَ.

فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ.

قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ.

قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ.

قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا.

قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

قَالَ: فَمَضَىٰ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «**يَا عُمَرُ! أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ؟**».

قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ**».

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ:

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النُّبُوَّةِ.

نُبِّئَ بِـ(اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بِـ(الْمُدَّثِّرِ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧].

وَمَعْنَىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

[النساء: ٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ وَلَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، مِثْلَ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠- ٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧- ١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ

بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: مَعْنَىٰ الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

هَذِهِ الرِّسَالَةُ الَّتِي سَمَّاهَا الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- «**الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ وَأَدِلَّتَهَا**»، هَذَا قَدْرٌ مِنْهَا نُعَالِجُ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مَا كَانَ مِنْ شُرُوحِ الْعُلَمَاءِ حَوْلَهُ، وَمَا يَكُونُ مِنْ تَعْلِيقٍ بِإِذْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

رِسَالَةُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَفِي الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الِاعْتِقَادِ.

شَرْحُ الْبَسْمَلَةِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللهِ ....

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ابْتَدَأَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَهُ بِالْبَسْمَلَةِ؛ اقْتِدَاءً بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ مَبْدُوءٌ بِالْبَسْمَلَةِ، وَاتِّبَاعًا لِحَدِيثِ: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ**»(١)........................

---

(١) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي «الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي» (٢/ ٦٩، رَقْمُ ١٢١٠، ت الطَّحَّانِ)، وَمِنْ طَرِيقِهِ: السَّمْعَانِيُّ فِي «أَدَبِ الْإِمْلَاءِ وَالِاسْتِمْلَاءِ» (رَقْمُ ١٣٩)، وَالسُّبْكِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ» (١/ ١٢)، مِنْ طَرِيقِ: أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْبَصْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ شَرِيكٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ كَعْبٍ الْأَنْطَاكِيِّ، عَنْ مُبَشِّرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ**».

وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ، أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْجُنْدِيِّ: شِيعِيٌّ ضَعِيفٌ، انْظُرْ: «الْمِيزَانَ» (١/ تَرْجَمَةَ ٥٧٥)، وَ«تَارِيخَ بَغْدَادَ» (٦/ رَقْمُ ٢٧٣٤).

وَالْحَدِيثُ ضَعَّفَ إِسْنَادَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- عَلَىٰ مَا نَقَلَهُ ابْنُ عِلَّانَ فِي «الْفُتُوحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ» (٣/ ١٩٧، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ)، وَضَعَّفَهُ جِدًّا الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي «الْإِرْوَاءِ» (رَقْمُ ١)، وَقَالَ: «الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ جِدًّا، وَلِلْحَدِيثِ طُرُقٌ أُخْرَىٰ، وَلَكِنَّهَا لَا تَرْقَىٰ =

وَاقْتِدَاءً بِالرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّهُ يَبْدَأُ كُتُبَهُ بِالْبَسْمَلَةِ(١).

الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ فِعْلٌ مُؤَخَّرٌ مُنَاسِبٌ لِلْمَقَامِ، تَقْدِيرُهُ: «بِسْمِ اللهِ أَكْتُبُ، أَوْ بِسْمِ اللهِ أُصَنِّفُ».

وَقَدَّرْنَاهُ فِعْلًا؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعَمَلِ الْأَفْعَالُ(٢).

وَقَدَّرْنَاهُ مُؤَخَّرًا لِفَائِدَتَيْنِ:

الْأُولَىٰ: التَّبَرُّكُ بِالْبُدَاءَةِ بِاسْمِ اللهِ ﷻ.

=

بِمَجْمُوعِهَا إِلَىٰ دَرَجَةِ الْحُسْنِ».

وَهَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يَسْمَعْهُ الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ قُرَّةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ جِدًّا، انْظُرِ: «الْمِيزَانَ» (٣/ تَرْجَمَةَ ٦٨٨٦)، وَ«الْإِرْشَادَ» لِلْخَلِيلِيِّ (٣/ ٩٦٦، ط الرُّشْدِ)؛ فَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» (النِّكَاحُ، ١٩: ٣، رَقْمُ ١٨٩٤)، مِنْ طَرِيقِ: عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مُوسَىٰ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ قُرَّةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِلَفْظِ: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ، أَقْطَعُ**».

وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ أَيْضًا فِي «الْإِرْوَاءِ» (رَقْمُ ٢).

(١) كَمَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (بَدْءِ الْوَحْيِ، ١: ٦، رَقْمُ ٧) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (الْجِهَادُ، ٢٦، رَقْمُ ١٧٧٣)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّامِ، فَأَتَوْهُ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ، إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، السَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ**».

(٢) «فَتْحُ الْمَجِيدِ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص٦، ت مُحَمَّد حَامِد الْفِقِي).

الثَّانِيَةُ: إِفَادَةُ الْحَصْرِ؛ لِأَنَّ تَقْدِيمَ الْمُتَعَلِّقِ يُفِيدُ الْحَصْرَ.

* **قُلْتُ**: فَتَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ -وَهُوَ هَا هُنَا الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ- يُفِيدُ الْحَصْرَ وَالْقَصْرَ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: (أَكْتُبُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وَ(أُصَنِّفُ بِاسْمِهِ تَعَالَىٰ) لَا بِاسْمِ شَيْءٍ غَيْرِهِ؛ فَجَعَلْتَ ذَلِكَ مَقْصُورًا عَلَيْهِ عِنْدَمَا قُلْتَ: (بِسْمِ اللهِ أُصَنِّفُ)، (بِسْمِ اللهِ أُؤَلِّفُ).

فَتَجْعَلُ الْمَحْذُوفَ مُتَعَلِّقًا بِفِعْلٍ مُؤَخَّرٍ، بِفِعْلٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَصْلُ فِي الْعَمَلِ، فَالْأَصْلُ فِي الْعَمَلِ الْأَفْعَالُ لَا الْأَسْمَاءُ، ثُمَّ إِنَّكَ تَجْعَلُ ذَلِكَ الْفِعْلَ الْمَحْذُوفَ مُؤَخَّرًا مَعَ أَنَّ الْقَاعِدَةَ: أَنَّ مُتَعَلِّقَ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ يُقَدَّرُ مُقَدَّمًا، وَلَكِنْ يُقَدَّرُ مُؤَخَّرًا؛ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ، وَلِلتَّبَرُّكِ بِالْبُدَاءَةِ بِاسْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدَّرْنَاهُ مُنَاسِبًا؛ لِأَنَّهُ أَدَلُّ عَلَىٰ الْمُرَادِ، فَلَوْ قُلْنَا مَثَلًا عِنْدَمَا نُرِيدُ أَنْ نَقْرَأَ كِتَابًا: «بِسْمِ اللهِ نَبْتَدِئُ»، لَكِنْ: «بِسْمِ اللهِ أَقْرَأُ» يَكُونُ أَدَلَّ عَلَىٰ الْمُرَادِ الَّذِي أَبْتَدِئُ بِهِ.

* **قُلْتُ**: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: (بِسْمِ)، قِيلَ: لِلاسْتِعَانَةِ[1]، ....

---

(١) وَهِيَ: الدَّالَّةُ عَلَىٰ آلَةِ الْفِعْلِ وَأَدَاتِهِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا مَعْنَاهُ، فَهِيَ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ الْفَاعِلِ وَمَفْعُولِهِ الْمَعْنَوِيِّ؛ وَلِذَلِكَ تُسَمَّىٰ (بَاءَ الْآلَةِ)؛ نَحْوَ: (كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ)، وَ(نَجَرْتُ بِالْقَدُومِ)، وَ(بِتَوْفِيقِ اللهِ حَجَجْتُ)، أَيِ: اسْتَعَنْتُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، «مُغْنِي اللَّبِيبِ» لِابْنِ هِشَامٍ (ص١٣٩، دَارُ الْفِكْرِ)، وَ«شَرْحُ الْمُفَصَّلِ» لِابْنِ يَعِيشَ (٤/ ٤٧٤، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ)، =

وَقِيلَ: لِلْمُصَاحَبَةِ(١).

مِمَّنْ قَالَ: إِنَّهَا لِلْمُصَاحَبَةِ، الزَّمَخْشَرِيُّ(٢)، قَالَ ذَلِكَ فِي «الْكَشَّافِ»(٣).

وَالزَّمَخْشَرِيُّ مُعْتَزِلِيٌّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَكَانَ فَخُورًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ، حَرِيصًا عَلَىٰ إِثْبَاتِ تِلْكَ النِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا طَرَقَ الْبَابَ فَقِيلَ: مَنْ؟ قَالَ: جَارُ اللهِ الْمُعْتَزِلِيُّ(٤).

=

وَحَاشِيَةُ الْبِقَاعِيِّ عَلَىٰ «أَوْضَحِ الْمَسَالِكِ» (٣/ ٣١ - ٣٢، دَارُ الْفِكْرِ).

(١) الْمُصَاحَبَةُ: انْضِمَامُ شَيْءٍ إِلَىٰ آخَرَ انْضِمَامًا يَقْتَضِي تَلَازُمَهُمَا فِيمَا يَقَعُ عَلَيْهِمَا أَوْ مِنْهُمَا، وَعَلَامَتُهَا: أَنْ يَصْلُحَ فِي مَوْضِعِهَا (مَعَ)، وَيُغْنِي عَنْهَا وَعَنْ مَصْحُوبِهَا الْحَالُ، نَحْوَ: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾ **[المائدة: ٦١]** الْآيَةَ، أَيْ: مَعَهُ، وَنَحْوَ: (خَرَجَ بِعَشِيرَتِهِ)، وَ(دخلَ عَلَيْهِ بِثِيَابِ السَّفَرِ)، وَ(اشْتَرَىٰ الْفَرَسَ بِسَرْجِهِ وَلِجَامِهِ)، وَالتَّقْدِيرُ: خَرَجَ وَعِشِيرَتُهُ مَعَهُ، فَهِيَ جُمْلَةٌ مِنْ مُبْتَدَإٍ وَخَبَرٍ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَالْمَعْنَىٰ: مُصَاحِبًا عَشِيرَتَهُ، فَلَمَّا كَانَ الْمَعْنَىٰ يَعُودُ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ لَقَّبُوا الْبَاءَ بِالْمُصَاحَبَةِ، وَكَذَلِكَ (دَخَلَ بِثِيَابِ السَّفَرِ)، وَ(اشْتَرَىٰ الْفَرَسَ بِسَرْجِهِ وَلِجَامِهِ)، أَيْ: وَثِيَابُ السَّفَرِ عَلَيْهِ، وَالسَّرْجُ وَاللِّجَامُ مَعَهُ، «شَرْحُ الْمُفَصَّلِ» لِابْنِ يَعِيشَ (٤/ ٤٧٤).

(٢) هُوَ: كَبِيرُ الْمُعْتَزِلَةِ، أَبُو الْقَاسِمِ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّمَخْشَرِيُّ، الْخَوَارِزْمِيُّ، النَّحْوِيُّ، صَاحِبُ (الْكَشَّافِ) وَ (الْمُفَصَّلِ)، وَكَانَ رَأْسًا فِي الْبَلَاغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانِ، وَلَهُ نَظْمٌ جَيِّدٌ، لَكِنَّهُ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ الِاعْتِزَالِ، قَالَ الذَّهَبِيُّ: «فَكُنْ حَذِرًا مِنْ كَشَّافِهِ»، مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، انْظُرْ: «السِّيَرَ» (٢٠/ تَرْجَمَةَ ٩١).

(٣) «الْكَشَّافُ» (ص٢٥، دَارُ الْمَعْرِفَةِ - بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ).

(٤) «وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ» لِابْنِ خِلِكَّانَ (٥/ ١٧٠، تَرْجَمَةٌ ٧١١، ت إِحْسَان عَبَّاس).

كِتَابُهُ: «الْكَشَّافُ» فِيهِ اعْتِزَالِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ، قَدْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَهَا كُلُّ إِنْسَانٍ؛ حَتَّىٰ قَالَ الْبَلْقِينِيُّ[١]: «أَخْرَجْتُ مِنَ الْكَشَّافِ اعْتِزَالِيَّاتٍ بِالْمَنَاقِيشِ»[٢]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهَا خَفِيَّةٌ، وَالرَّجُلُ لِبَلَاغَتِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنَ اللُّغَةِ وَإِحَاطَتِهِ بِأَسْرَارِهَا بِالْجُمْلَةِ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدُسَّ مَا يَدُسُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْطِنَ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّبِيبُ الْحَاذِقُ.

وَالزَّمَخْشَرِيُّ رَجَّحَ أَنَّهَا لِلْمُصَاحَبَةِ؛ لِعِلَّةٍ لِيَنْصُرَ مَذْهَبَهُ.

وَرَجَّحَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنَّ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ لِلْمُصَاحَبَةِ مَعَ أَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهَا لِلِاسْتِعَانَةِ؛ رَجَّحَ الْمُصَاحَبَةَ؛ لِأَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ[٣] يَرَوْنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ

---

(١) هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ سِرَاجُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ رَسْلَانَ بْنِ نَصِيرٍ، أَبُو حَفْصٍ الْكِنَانِيُّ الْبَلْقِينِيُّ الْمِصْرِيُّ الشَّافِعِيُّ، مُجْتَهِدُ عَصْرِهِ، وَعَالِمُ الْمِئَةِ الثَّامِنَةِ، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ فِي بَلْقِينَةَ مِنْ غَرْبِيَّةِ مِصْرَ، وَبَرَعَ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأُصُولِ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْمَذَاهِبِ وَالْإِفْتَاءِ، وَبَلَغَ رُتْبَةَ الِاجْتِهَادِ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ مِنْهَا حَوَاشِي الْكَشَّافِ، مَاتَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِمِئَةٍ، انْظُرْ: «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ» لِابْنِ قَاضِي شُهْبَةَ (٤/ رَقْمُ ٧٣٧)، وَ«إِنْبَاءَ الْغُمْرِ بِأَبْنَاءِ الْعُمْرِ» لِابْنِ حَجَرٍ (٢/ ٢٤٥)، وَ«الضَّوْءَ اللَّامِعَ» لِلسَّخَاوِيِّ (٦/ ٨٥)، وَ«حُسْنَ الْمُحَاضَرَةِ» لِلسِّيُوطِيِّ (رَقْمُ ٧٦).

(٢) «الْإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» لِلسِّيُوطِيِّ (٤/ ٢٤٣)، وَ«بَيَانُ الْمَحَجَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ اللَّجَّةِ» لِعَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ التَّمِيمِيِّ (ص٢٥٨، دَارُ الْعَاصِمَةِ - الرِّيَاضُ).

(٣) الْمُعْتَزِلَةُ: هُمْ أَتْبَاعُ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ، طَرَدَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَنْ مَجْلِسِهِ، لَمَّا قَالَ: (الْفَاسِقُ لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ)، فَانْضَمَّ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، وَاعْتَزَلَا حَلْقَةَ الْحَسَنِ، فَسُمُّوا الْمُعْتَزِلَةَ، يُقَارِبُونَ قَوْلَ جَهْمٍ فِي الصِّفَاتِ فَيَقُولُونَ بِنَفْيِهَا، وَفِي الْقَدَرِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْعَبْدَ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ كَامِلُ الْإِرَادَةِ فِيهِ، لَيْسَ لِلَّهِ فِي عَمَلِهِ تَقْدِيرٌ وَلَا خَلْقٌ، فَفِيهِمْ نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَفِي الْأَسْمَاءِ
=

مُسْتَقِلٌ بِعَمَلِهِ؛ فَإِذَا كَانَ مُسْتَقِلًّا بِعَمَلِهِ فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ لِلِاسْتِعَانَةِ؛ فَقَدَّرَهَا لِلْمُصَاحَبَةِ!

لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَاءِ هُوَ الِاسْتِعَانَةُ الَّتِي تُصَاحِبُ كُلَّ الْفِعْلِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ؛ فَهِيَ فِي الْأَصْلِ لِلِاسْتِعَانَةِ، وَهِيَ مُصَاحِبَةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَوَّلِ الْفِعْلِ إِلَىٰ آخِرِهِ، وَقَدْ تُفِيدُ مَعْنًىٰ آخَرَ وَهُوَ التَّبَرُّكُ إِذَا لَمْ نَحْمِلِ التَّبَرُّكَ عَلَىٰ الِاسْتِعَانَةِ، وَنَقُولُ: كُلُّ شَيْءٍ يُسْتَعَانُ بِهِ فَإِنَّهُ يُتَبَرَّكُ بِهِ، لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الْبَاءَ تُفِيدُ الْبَرَكَةَ الْعَظِيمَةَ.

(الِاسْمُ): مُشْتَقٌّ مِنَ السُّمُوِّ، وَهُوَ الْعُلُوُّ، أَوْ مِنَ السِّمَةِ وَهِيَ الْعَلَامَةُ مِنَ الْوَسْمِ، وَالسِّمَةُ وَهِيَ الْعَلَامَةُ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا سُمِّيَ فَقَدْ نُوِّهَ بِاسْمِهِ وَوُسِمَ[(١)]، يَعْنِي صَارَ الِاسْمُ دَلَالَةً وَعَلَامَةً عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (اللهِ): عَلَمٌ عَلَىٰ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا.

=

وَالْأَحْكَامِ: يَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ خَارِجٌ عَنِ الْإِيمَانِ، غَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْكُفْرِ فَهُوَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ، وَلَكِنَّهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، «مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ» لِلْأَشْعَرِيِّ (ص١٥٥ – ١٦٨، هلموت ريتر)، وَ«الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ» لِلْأَسْفَرَايِينِيِّ (ص٩٣ – ١٨٩)، وَ«الْفِصَلُ فِي الْمِلَلِ» لِابْنِ حَزْمٍ (٤/ ١٤٦ – ١٥٤،)، وَ«الْمِلَلُ وَالنِّحَلُ» لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ (١/ ٤٣ – ٨٥).

(١) «فَتْحُ الْمَجِيدِ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص٧، مَكْتَبَةُ السُّنَّةِ – الْقَاهِرَةُ، ت مُحَمَّد حَامِد الْفِقِي)، وَانْظُرْ: «مَجْمُوعَ الْفَتَاوَىٰ» (٦/ ٢٠٧).

* **قُلْتُ:** فَهُوَ عَلَمٌ عَلَىٰ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمَعْنَاهُ: ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ عَلَىٰ خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ(١)، وَمَعْنَاهُ: الْمَأْلُوهُ أَيِ الْمَعْبُودُ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَذُلًّا، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الْآلِهُ(٢)، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ الْمَأْلُوهُ: الْمَقْصُودُ بِالْعِبَادَةِ الَّذِي يُعْبَدُ وَحْدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيُفْرَدُ بِالْعِبَادَةِ؛ لَا يُعْبَدُ مَعَهُ سِوَاهُ.

---

(١) رُوِيَ نَحْوُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ، أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ١٢١، دَارُ هَجَرَ)، وَضَعَّفَهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ فِي تَحْقِيقِ «تَفْسِيرِ الطَّبَرِيِّ» (رَقْمُ ١٤١)، وَانْظُرْ: «تَيْسِيرَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» (١/ ١١٢ - ١١٣، ت الْعُتَيْبِيِّ).

(٢) وَهَذَا الْفَهْمُ الْخَاطِئُ قَالَ بِهِ الْأَشْعَرِيَّةُ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَقَدْ بَيَّنَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ خَطَأَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَالْإِلَهُ هُوَ بِمَعْنَىٰ الْمَأْلُوهِ الْمَعْبُودِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، لَيْسَ هُوَ الْآلِهَ بِمَعْنَىٰ الْقَادِرِ عَلَىٰ الْخَلْقِ. فَإِذَا فَسَّرَ الْمُفَسِّرُ الْإِلَهَ بِمَعْنَىٰ الْقَادِرِ عَلَىٰ الِاخْتِرَاعِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ هَذَا أَخَصُّ وَصْفِ الْإِلَهِ، وَجَعَلَ إِثْبَاتَ هَذَا التَّوْحِيدِ هُوَ الْغَايَةَ فِي التَّوْحِيدِ، كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنْ مُتَكَلِّمَةِ الصِّفَاتِيَّةِ -وَهُوَ الَّذِي يَنْقُلُونَهُ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ وَأَتْبَاعِهِ- لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ؛ فَإِنَّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانُوا مَعَ هَذَا مُشْرِكِينَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف ١٠٦] قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ: (تَسْأَلُهُمْ: مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَيَقُولُونَ: اللهُ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ)». اهـ. «دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» (١/ ٢٢٦ - ٢٢٧).

وَانْظُرْ: «دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» (٩/ ٣٧٧، ت مُحَمَّد رَشَاد سَالِم)، وَ«النُّبُوَّاتُ» (١/ ٢٨٥، ت الطويان)، وَ«مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» (٣/ ١٠١)، وَ«الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ - مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» (٩/ ٥٣).

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ الِاسْمُ الَّذِي تَتْبَعُهُ جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ حَتَّىٰ إِنَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٢].

لَا نَقُولُ إِنَّ لَفْظَ الْجَلَالَةِ (اللهِ) صِفَةٌ، بَلْ نَقُولُ: هِيَ عَطْفُ بَيَانٍ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ تَابِعًا تَبَعِيَّةَ النَّعْتِ لِلْمَنْعُوتِ.

* **قُلْتُ**: لِأَنَّكَ إِنْ قُلْتَ: صِفَةٌ؛ صَارَ تَابِعًا تَبَعِيَّةَ النَّعْتِ لِلْمَنْعُوتِ، وَقَدْ مَرَّ قَبْلَهُ مَا يُنْعَتُ: ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١ – ٢].

فَلَفْظُ الْجَلَالَةِ لَا يُعْرَبُ هَا هُنَا نَعْتًا، وَإِنَّمَا نَقُولُ: هَذَا عَطْفُ بَيَانٍ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ تَابِعًا تَبَعِيَّةَ النَّعْتِ لِلْمَنْعُوتِ.

●●●

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرَّحْمَنِ): اسْمٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصَّةِ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يُطْلَقُ عَلَىٰ غَيْرِهِ.

* **قُلْتُ:** فَهَذَا الِاسْمُ مُخْتَصٌّ بِاللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لَا يُطْلَقُ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَمَّا تَسَمَّىٰ بِهِ مُسَيْلِمَةُ دُمِغَ بِالْكَذِبِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ؛ فَمَا يُذْكَرُ حَتَّىٰ يُقَالُ: مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ[١].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالرَّحْمَنُ مَعْنَاهُ: الْمُتَّصِفُ بِالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ.

* **قُلْتُ:** وَصِيغَةُ (فَعْلَان): تَدُلُّ عَلَىٰ السَّعَةِ وَالِامْتِلَاءِ؛ كَمَا تَقُولُ: (غَضْبَانُ) لِلَّذِي امْتَلَأَ غَضَبًا، وَ(شَبْعَانُ)، وَمَا أَشْبَهَ[٢].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرَّحِيمِ): يُطْلَقُ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَلَىٰ غَيْرِهِ، وَمَعْنَاهُ: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ.

فَالرَّحْمَنُ: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالرَّحِيمُ: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ.

---

(١) «مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ» (١/ ٨٢، ت مارسدن جونس)، و«الْإِكْمَالُ» (٤/ ٣٧)، وَ«الرَّوْضُ الْأُنُفُ» (٣/ ١٩٥) (٧/ ٤٤٢ - ٤٤٣، ت الْوَكِيل)، وَ«الْمُنْتَظِمُ» (٤/ ٢٠- ٢١)، وَ«الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٧/ ٢٥٦ - ٢٥٧، ت عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ التُّرْكِيِّ).

(٢) «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» (٨/ ٢٨).

فَإِذَا جُمِعَا؛ صَارَ الْمُرَادُ بِالرَّحِيمِ الْمُوصِلَ رَحْمَتَهُ إِلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١].

* **قُلْتُ:** «فَـ(الرَّحْمَنُ): دَالٌّ عَلَىٰ الصِّفَةِ الْقَائِمَةِ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَ(الرَّحِيمُ): دَالٌّ عَلَىٰ تَعَلُّقِهَا بِالْمَرْحُومِ».

فَافْهَمْهَا! الرَّحْمَنُ دَالٌّ عَلَىٰ الصِّفَةِ الْقَائِمَةِ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالرَّحِيمُ دَالٌّ عَلَىٰ تَعَلُّقِ هَذِهِ الصِّفَةِ الْعَظِيمَةِ بِالْمَرْحُومِ.

«فَالْأَوَّلُ لِلْوَصْفِ؛ (الرَّحْمَنُ) لِلْوَصْفِ، وَ(الرَّحِيمُ) لِلْفِعْلِ؛ فَالْأَوَّلُ دَالٌّ عَلَىٰ أَنَّ الرَّحْمَةَ صِفَتُهُ، وَالثَّانِي دَالٌّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَرْحَمُ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وَلَمْ يَجِئْ قَطُّ: (رَحْمَنٌ)».

لَمْ يَجِئْ قَطُّ: (إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحْمَنٌ)، أَوْ (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحْمَانًا)، وَإِنَّمَا جَاءَ: ﴿رَحِيمًا﴾، وَجَاءَ ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، «فَعُلِمَ أَنَّ (الرَّحْمَنَ)، هُوَ: الْمَوْصُوفُ بِالرَّحْمَةِ، وَأَنَّ (الرَّحِيمَ)، هُوَ: الرَّاحِمُ بِرَحْمَتِهِ»(١).

فَالرَّحْمَنُ الْمَوْصُوفُ بِالرَّحْمَةِ، وَالرَّحِيمُ الرَّاحِمُ بِرَحْمَتِهِ.

● ● ●

---

(١) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (١/ ٢٤)، ثُمَّ قَالَ: «وَهَذِهِ نُكْتَةٌ لَا تَكَادُ تَجِدُهَا فِي كِتَابٍ وَإِنْ تَنَفَّسَتْ عِنْدَهَا مِرْآةُ قَلْبِكَ لَمْ تَنْجَلِ لَكَ صُورَتُهَا».

الْعِلْمُ وَمَرَاتِبُ الْإِدْرَاكِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعْلَمْ، رَحِمَكَ اللهُ ....

---

* **قُلْتُ:** (اعْلَمْ): يُؤْتَىٰ بِهَا مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ، وَحَثِّ السَّامِعِ عَلَىٰ أَنْ يُصْغِيَ لِمَا سَيُقَالُ لَهُ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ؟**»[(١)]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**»[(٢)]، وَقَالَ ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**»[(٣)]، مِنْ أَجْلِ شَحْذِ ذِهْنِ الْمُخَاطَبِ؛ لِكَيْ يَسْتَعِدَّ لِاسْتِقْبَالِ مَا يُلْقَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَمْرِ الْمُهِمِّ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْأَذَانِ، ١٥٦: ٢، رَقْمُ ٨٤٦)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٣٢: ١، رَقْمُ ٧١)، مِنْ حَدِيثِ: زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْأَدَبِ، ٢٠، رَقْمُ ٢٥٨٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الشَّهَادَاتِ، ١٠: ٢، رَقْمُ ٢٦٥٤)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٣٨: ١، رَقْمُ ٨٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ): وَهَذَا دُعَاءٌ مِنَ الْمُصَنِّفِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- لِلْقَارِئِ يَدُلُّ عَلَىٰ شَفَقَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَحَبَّتِهِ الْخَيْرَ لَهُ.

وَهِيَ جُمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ لَفْظًا إِنْشَائِيَّةٌ مَعْنًىٰ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الدُّعَاءُ لِلْمُتَعَلِّمِ بِالرَّحْمَةِ، أَيْ: غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا مَضَىٰ مِنْ ذُنُوبِكَ وَوَفَّقَكَ وَعَصَمَكَ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ، وَهَذَا إِذَا أُفْرِدَتِ الرَّحْمَةُ بِالذِّكْرِ، وَأَمَّا إِذَا قُرِنَتِ الرَّحْمَةُ بِالْمَغْفِرَةِ؛ فَالْمَغْفِرَةُ لِمَا مَضَىٰ، وَالرَّحْمَةُ لِمَا يُسْتَقْبَلُ؛ -فَيَكُونُ الدُّعَاءُ لَكَ فِيمَا تَسْتَقْبِلُهُ مِنْ أَمْرِكَ- بِالتَّوْفِيقِ لِلْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الذُّنُوبِ.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعِلْمُ، هُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ إِدْرَاكًا جَازِمًا.

وَمَرَاتِبُ الْإِدْرَاكِ سِتٌّ:

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ، هُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ إِدْرَاكًا جَازِمًا.

* **قُلْتُ**: فَالْعِلْمُ: نِسْبَةٌ وَاقِعَةٌ مَجْزُومٌ بِهَا، وَعَلَيْهَا دَلِيلٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الثَّانِيَةُ**: الْجَهْلُ الْبَسِيطُ، وَهُوَ: عَدَمُ الْإِدْرَاكِ بِالْكُلِّيَّةِ.

* **قُلْتُ**: وَالْحَقُّ أَنَّا نَسْتَحِبُّ أَنْ لَا تُسَمَّىٰ جَهْلًا أَصْلًا؛ لِأَنَّ عَدَمَ الْإِدْرَاكِ بِالْكُلِّيَّةِ يَكُونُ أُمِّيَّةً، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَوْصُوفًا بِالْأُمِّيَّةِ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَلَا يُقَالُ: إِنَّ الْأُمِّيَّةَ هِيَ الْجَهْلُ الْبَسِيطُ، وَإِنَّمَا تُسَمَّىٰ أُمِّيَّةً

وَالنِّسْبَةُ فِيهَا إِلَىٰ الْأُمِّ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ عَلَىٰ الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا عِنْدَمَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ؛ فَلَوْ سُمِّيَتْ أُمِّيَّةً لَكَانَ حَسَنًا؛ فَهَذِهِ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِدْرَاكِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّالِثَةُ: الْجَهْلُ الْمُرَكَّبُ، وَهُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَىٰ وَجْهٍ يُخَالِفُ مَا هُوَ عَلَيْهِ.

* **قُلْتُ:** وَهَذَا مُعَقَّدٌ جِدًّا عِنْدَ إِزَالَتِهِ؛ لِأَنَّ الْأُمِّيَّةَ تَتَطَلَّبُ شَيْئًا وَاحِدًا وَجُهْدًا وَاحِدًا، وَهُوَ بَذْلُ الْعِلْمِ لِمَنْ كَانَ كَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحَصِّلَهُ، وَأَمَّا الْجَهْلُ الْمُرَكَّبُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَىٰ وَجْهٍ يُخَالِفُ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي الْحَقِيقَةِ؛ **فَيَحْتَاجُ جُهْدَيْنِ:**

١- يَحْتَاجُ جُهْدًا لِمَحْوِ مَا هُنَالِكَ مِنْ ذَلِكَ الِاعْتِقَادِ الْخَاطِئِ.

٢- ثُمَّ يَحْتَاجُ جُهْدًا آخَرَ مِنْ أَجْلِ إِثْبَاتِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ بَدَلَ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّابِعَةُ: الْوَهْمُ، وَهُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ احْتِمَالِ ضِدٍّ رَاجِحٍ.

* **قُلْتُ:** فَالْأَخْذُ هَا هُنَا بِالْمَرْجُوحِ مَعَ وُجُودِ الضِّدِّ الرَّاجِحِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخَامِسَةُ: الشَّكُّ، وَهُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ احْتِمَالٍ مُسَاوٍ.

السَّادِسَةُ: الظَّنُّ، وَهُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ احْتِمَالِ ضِدٍّ مَرْجُوحٍ.

* **قُلْتُ:** تَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ تَجْعَلَ لِذَلِكَ مِثَالًا؛ فَتَقُولَ:

إِنَّ الْخَادِمَ هُنَالِكَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ زَيْدًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَمْرًا؛ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرَجِّحَ؛ تَقُولُ: هُوَ إِمَّا زَيْدٌ وَإِمَّا عَمْرٌو؛ فَهَذَا شَكٌّ؛ لِأَنَّهُ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ احْتِمَالٍ مُسَاوٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ تَرْجِيحًا؛ فَهَذَا شَكٌّ، هَذَا إِمَّا زَيْدٌ وَإِمَّا عَمْرٌو، هَذَا شَكٌّ.

فَإِذَا اقْتَرَبَا قَلِيلًا، فَقُلْ: يَتَرَجَّحُ عِنْدِي الْآنَ أَنَّهُ عَمْرٌو؛ فَعَمْرٌو رَاجِحٌ وَزَيْدٌ مَرْجُوحٌ؛ فَمَنْ أَخَذَ بِأَنَّهُ زَيْدٌ مَعَ وُجُودِ الِاحْتِمَالِ الرَّاجِحِ، وَأَنَّهُ عَمْرٌو فَقَدْ أَخَذَ بِالْوَهْمِ، وَأَمَّا مَنْ أَخَذَ بِالِاحْتِمَالِ الرَّاجِحِ فَقَدْ أَخَذَ بِالظَّنِّ، فَإِذَا مَا اقْتَرَبَا فَعُوِينَا وَشُوهِدَا وَتُحُقِّقَ مِنْهُ؛ فَهَذَا هُوَ الْيَقِينُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْعِلْمُ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: ضَرُورِيٍّ وَنَظَرِيٍّ.

فَالضَّرُورِيُّ: مَا يَكُونُ إِدْرَاكُ الْمَعْلُومِ فِيهِ ضَرُورِيًّا؛ بِحَيْثُ يُضْطَرُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ وَلَا اسْتِدْلَالٍ؛ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ النَّارَ حَارَّةٌ مَثَلًا.

وَالنَّظَرِيُّ: مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ؛ كَالْعِلْمِ بِوُجُوبِ النِّيَّةِ فِي الْوُضُوءِ.

* **قُلْتُ:** فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ نَظَرٍ، يَحْتَاجُ إِلَىٰ اسْتِدْلَالٍ، يَحْتَاجُ إِلَىٰ دَلِيلٍ.

وَأَمَّا الْعِلْمُ بِأَنَّ النَّارَ حَارَّةٌ أَوْ مُحْرِقَةٌ؛ فَهَذَا عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ نَظَرٍ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ اسْتِدْلَالٍ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رَحِمَكَ اللهُ): «أَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ رَحْمَتِهِ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَا عَلَىٰ مَطْلُوبِكَ، وَتَنْجُو بِهَا مِنْ مَحْذُورِكَ؛ فَالْمَعْنَىٰ: غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا مَضَىٰ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَوَفَّقَكَ وَعَصَمَكَ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنْهَا»، هَذَا إِذَا أُفْرِدَتِ الرَّحْمَةُ، وَأَمَّا إِذَا قُرِنَتِ الرَّحْمَةُ بِالْمَغْفِرَةِ؛ فَالْمَغْفِرَةُ لِمَا مَضَىٰ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ لِلْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الذُّنُوبِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَصَنِيعُ الْمُؤَلِّفِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- يَدُلُّ عَلَىٰ عِنَايَتِهِ وَشَفَقَتِهِ بِالْمُخَاطَبِ وَقَصْدِ الْخَيْرِ لَهُ.

● ● ●

الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعُ

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْعِلْمُ وَهُوَ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَنَبِيَّهُ وَدِينَهُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ؛ الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ ..

---

* **قُلْتُ:** (**اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ**): التَّعَلُّمُ: تَحْصِيلُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَىٰ بِدَلِيلِهِ.

وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ صِغَارًا وَكِبَارًا، وَالْمُرَادُ هُنَا بِقَوْلِهِ: (**يَجِبُ عَلَيْنَا**): الْوُجُوبُ الْعَيْنِيُّ، وَهُوَ مَا يَجِبُ أَدَاؤُهُ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ بِعَيْنِهِ.

(**الْعِلْمُ**): هُوَ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، وَهُوَ مَا كَانَ تَعَلُّمُهُ فَرْضَ عَيْنٍ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُصَنِّفُ هَا هُنَا.

(**يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ**)، وُجُوبًا عَيْنِيًّا، وَهُوَ: مَا يَجِبُ أَدَاؤُهُ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ بِعَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: (**الْعِلْمُ**) فَأَرَادَ بِهِ ذَلِكَ الْعِلْمَ مَا كَانَ تَعَلُّمُهُ فَرْضَ عَيْنٍ.

أَوَّلُ مَسْأَلَةٍ يَجِبُ عَلَيْنَا وُجُوبًا عَيْنِيًّا أَنْ نَعْلَمَهَا هِيَ:

الْعِلْمُ: وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

فَهَذَا يَجِبُ وُجُوبًا عَيْنِيًّا.

قَالَ ﷺ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ**»(١)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَيْسَ فِيهِ زِيَادَةُ: «**مُسْلِمَةٍ**»؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُصَنِّفِينَ وَالْخُطَبَاءِ يَأْتُونَ بِهِ مُورِدِينَ إِيَّاهُ هَكَذَا: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ**»؛ فَهِيَ وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهَا صَحِيحًا إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ ثَابِتَةٍ، وَالثَّابِتُ الصَّحِيحُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ**».

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: هَذِهِ الْمَسَائِلُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- تَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ؛ فَهِيَ جَدِيرَةٌ بِالْعِنَايَةِ؛ لِعِظَمِ نَفْعِهَا.

(مَعْرِفَةُ اللهِ)، أَيْ: مَعْرِفَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقَلْبِ، مَعْرِفَةً تَسْتَلْزِمُ قَبُولَ مَا شَرَعَهُ، وَالْإِذْعَانَ لَهُ، وَالِانْقِيَادَ لَهُ، وَتَحْكِيمَ شَرِيعَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَيَتَعَرَّفُ الْعَبْدُ عَلَىٰ رَبِّهِ بِـ: النَّظَرِ فِي الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالنَّظَرِ فِي الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْمَخْلُوقَاتُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْمُقَدِّمَةِ، ١٧: ٥، رَقْمُ ٢٢٤)، وَغَيْرُهُ، مِنْ طُرُقٍ: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَرُوِيَ أَيْضًا عَنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَصِحَّ لَهُ إِسْنَادٌ، إِلَّا أَنَّ مَعْنَاهُ قَائِمٌ، وَحَسَّنَهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «تَخْرِيجِ مُشْكِلَةِ الْفَقْرِ» (٤٨ - ٦٢، رَقْمُ ٨٦)، وَفِي «الضَّعِيفَةِ» (١/ ٦٠٣ - ٦٠٤، رَقْمُ ٤١٦).

كُلَّمَا نَظَرَ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ ازْدَادَ عِلْمًا بِخَالِقِهِ وَمَعْبُودِهِ؛ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

* **قُلْتُ:** (**مَعْرِفَةُ اللهِ** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ): بِالْإِيمَانِ بِاللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إِيمَانًا جَازِمًا؛ الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِ، وَالْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَالْإِيمَانُ بِأُلُوهِيَّتِهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ جَلَّوَعَلَا، إِيمَانًا يَسْتَلْزِمُ: الْقَبُولَ لِمَا شَرَعَ مَعَ الِانْقِيَادِ لَهُ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ، وَتَحْكِيمِ شَرِيعَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا نَبِيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَهَذِهِ هِيَ الْمَعْرِفَةُ الشَّرْعِيَّةُ الْحَقَّةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بِقَلْبِهِ مَعْرِفَةً تَسْتَلْزِمُ قَبُولَ مَا شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مَعَ الْإِذْعَانِ لَهُ وَالِانْقِيَادِ لَهُ، وَتَحْكِيمِ شَرِيعَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ يَتَحَصَّلُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ بِالنَّظَرِ فِي آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الْمَسْطُورَةِ، وَفِي آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الْمَنْظُورَةِ؛ فِي الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَفِي الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ؛ كَمَا بَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

● ● ●

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ)، أَيْ: مَعْرِفَةُ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ قَبُولَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، وَتَصْدِيقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَ، وَاجْتِنَابَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَمَا عَنْهُ زَجَرَ، وَتَحْكِيمَ شَرِيعَتِهِ، وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **«أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ: الشِّرْكُ؛ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ ﷺ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ؛ فَيَهْلِكَ»**(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ» (١/ رَقْمُ ٩٧، دَارُ الرَّايَةِ - الرِّيَاضُ)، وَأَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ فِي «الطُّيُورِيَّاتِ» (١٣٤٣)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْفَضْلِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا =

قَوْلُهُ: (**مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ**)؛ الْإِسْلَامُ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ، هُوَ: التَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِمَا شَرَعَ مُنْذُ أَنْ أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ؛ كَمَا ذَكَرَ ﷻ ذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الشَّرَائِعَ السَّابِقَةَ كُلَّهَا إِسْلَامٌ لِلَّهِ ﷻ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة: ١٢٨].

* **قُلْتُ**: الْإِسْلَامُ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ: الِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَالتَّعَبُّدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ.

مَا أَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الرُّسُلَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ(١).

=

عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، يَقُولُ:

«**نَظَرْتُ فِي الْمُصْحَفِ فَوَجَدْتُ فِيهِ طَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا**»، ثُمَّ جَعَلَ يَتْلُو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وَجَعَلَ يُكَرِّرُهَا، وَيَقُولُ: «**وَمَا الْفِتْنَةُ؟ الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَزِيغَ فَيُهْلِكَهُ**»، وَجَعَلَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

(١) قَالَ اللهُ ﷻ عَنِ التَّوْرَاةِ وَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]، فَوَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْإِسْلَامِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَيْسَ خَاصًّا بِهَذِهِ الْأُمَّةِ بَلْ هُوَ عَامٌّ، وَذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وَعَنْ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ، انْظُرْ: «مَجْمُوعَ الْفَتَاوَىٰ» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ (٣/ ٨٩ - ٩٤).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِسْلَامُ بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ بَعْدَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَخْتَصُّ بِمَا بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ لِأَنَّ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ نَسَخَ جَمِيعَ الْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ، فَصَارَ مَنِ اتَّبَعَهُ مُسْلِمًا، وَمَنْ خَالَفَهُ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ.

فَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ مُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ رُسُلِهِمْ؛ فَالْيَهُودُ مُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ مُوسَى ﷺ، وَالنَّصَارَى مُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ عِيسَى ﷺ، وَأَمَّا حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ فَكَفَرُوا بِهِ فَلَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ[1].

وَهَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ، هُوَ الدِّينُ الْمَقْبُولُ عِنْدَ اللهِ النَّافِعُ لِصَاحِبِهِ؛ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَالَ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَهَذَا الْإِسْلَامُ، هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي امْتَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٧٠: ١، رَقْمُ ١٥٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ؛ تَنْبِيهًا عَلَى مَنْ سِوَاهُمَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَهُمْ كِتَابٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهُمْ مَعَ أَنَّ لَهُمْ كِتَابًا فَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُ أَوْلَى، وَاللهُ أَعْلَمُ، «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (٢/ ١٨٨).

* **قُلْتُ:** فَالْإِسْلَامُ يَأْتِي بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ، وَيَأْتِي بِالْمَعْنَىٰ الْخَاصِّ.

الْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْمَعْنَىٰ الْخَاصُّ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ، وَهَذَا هُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ الدِّينُ الْكَامِلُ الَّذِي أَكْمَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَرَضِيَهُ لَهَا، وَلَا يَقْبَلُ دِينًا سِوَاهُ.

◉ ◉ ◉

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِالْأَدِلَّةِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (**بِالْأَدِلَّةِ**): جَمْعُ (دَلِيلٍ)، وَهُوَ: مَا يُرْشِدُ إِلَىٰ الْمَطْلُوبِ.

* **قُلْتُ:** وَالدَّلِيلُ فَعِيلٌ بِمَعْنَىٰ فَاعِلٍ؛ فَهُوَ دَلِيلٌ بِمَعْنَىٰ دَالٌّ، فَعِيلٌ بِمَعْنَىٰ فَاعِلٍ مِنَ الدَّلَالَةِ، وَهِيَ الْإِرْشَادُ وَالْهِدَايَةُ.

وَقَوْلُهُ: (**بِالْأَدِلَّةِ**) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ التَّقْلِيدَ لَا يَنْفَعُ فِي بَابِ الْعَقَائِدِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ سَمْعِيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ؛

فَالسَّمْعِيَّةُ: مَا ثَبَتَ بِالْوَحْيِ، وَهُوَ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

وَالْعَقْلِيَّةُ: مَا ثَبَتَ بِالنَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ.

وَقَدْ أَكْثَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذِكْرِ هَذَا النَّوْعِ فِي كِتَابِهِ؛ فَكَمْ مِنْ آيَةٍ قَالَ اللهُ فِيهَا: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ...﴾ كَذَا وَكَذَا، وَهَكَذَا يَكُونُ سِيَاقُ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ؛ فَمِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩] الْآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ: بِالنَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ فِيمَا أَتَىٰ بِهِ ﷺ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي أَعْظَمُهَا كِتَابُ اللهِ ﷻ الْمُشْتَمِلُ عَلَىٰ الْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ النَّافِعَةِ، وَالْأَحْكَامِ الْمُصْلِحَةِ الْعَادِلَةِ، وَمَا جَرَىٰ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﷺ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ الَّتِي لَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ وَحْيٍ، وَالَّتِي صَدَّقَهَا مَا وَقَعَ مِنْهَا.

* **قُلْتُ:** فَاعْرِفْ نَبِيَّكَ، وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ ﷺ، وَاعْرِفْ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْكَ بِدِينِ الْحَقِّ؛ يُعَلِّمُكَ وَيُرْشِدُكَ.

فَآمِنْ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَأَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعًا رَحْمَةً، وَأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَرْسَلَهُ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ اتِّبَاعُهُ وَالسَّيْرُ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ، وَالْقَصُّ عَلَىٰ أَثَرِهِ ﷺ.

⦿ ⦿ ⦿

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ ....

---

* **قُلْتُ:** فـ(الْعَمَلُ بِهِ)، أَيْ: بِالْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ يُطْلَبُ لِلْعَمَلِ، لَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ إِلَّا لِلْعَمَلِ.

وَقَدْ وَرَدَتِ النُّصُوصُ فِي الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ ضَافِيَةٌ.

وَقَدْ قَالَ الْفُضَيْلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**لَا يَزَالُ الْعَالِمُ جَاهِلًا حَتَّىٰ يَعْمَلَ بِعِلْمِهِ؛ فَإِذَا عَمِلَ بِعِلْمِهِ صَارَ عَالِمًا**»[2].

---

(١) هُوَ: الْإِمَامُ، الْقُدْوَةُ، الثَّبْتُ، الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ بِشْرٍ، أَبُو عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ، الْخُرَاسَانِيُّ الْأَصْلِ، الْمُجَاوِرُ بِحَرَمِ اللهِ، ثِقَةٌ عَابِدٌ إِمَامٌ رَفِيعُ الذِّكْرِ، مِنَ الْوُسْطَىٰ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، سَكَنَ مَكَّةَ وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ، انْظُرِ: «السِّيَرَ» (٨/ تَرْجَمَة ١١٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «اقْتِضَاءِ الْعِلْمِ الْعَمَلَ» (ص٣٧، رَقْمُ ٣٤، ت الْأَلْبَانِيِّ)، وَمِنْ طَرِيقِهِ: ابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٤٨/ ٤٢٧، تَرْجَمَةُ ٥٦٣٠)، مِنْ طَرِيقِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَحْرِزِيِّ، قَالَ: قَالَ أَيُّوبُ بْنُ يَحْيَىٰ: قَالَ فُضَيْلُ بْنُ =

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: **(الْعَمَلُ بِهِ)**، أَيِ: الْعَمَلُ بِمَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ؛ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْخَاصَّةِ وَالْعِبَادَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ؛ فَالْعِبَادَاتُ الْخَاصَّةُ، مِثْلَ: الصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ.

* **قُلْتُ:** وَالْحَجُّ فِيهِ نِزَاعٌ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَدَّىٰ أَيْضًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْعِبَادَاتُ الْمُتَعَدِّيَةُ؛ كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالْعَمَلُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، فَمَنْ عَمِلَ بِلَا عِلْمٍ فَقَدْ شَابَهَ النَّصَارَىٰ، وَمَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ فَقَدْ شَابَهَ الْيَهُودَ.

* **قُلْتُ:** فَعَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي أَنْتَ مَأْمُورٌ بِهَا، وَأَنْ تَتْرُكَ الْمَعَاصِيَ الَّتِي أَنْتَ مَنْهِيٌّ عَنْهَا.

● ● ●

=

عِيَاضٍ: «**لَا يَزَالُ الْعَالِمُ جَاهِلًا بِمَا عَلِمَ حَتَّىٰ يَعْمَلَ بِهِ، فَإِذَا عَمِلَ بِهِ كَانَ عَالِمًا**».

وَالْمَحْرِزِيُّ: مُحَدِّثٌ مَسْتُورٌ، «تَبْصِيرُ الْمُنْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ الْمُشْتَبِهِ» لِابْنِ حَجَرٍ (٤/ ١٣٤٣، الْمَكْتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ، بَيْرُوتُ)، وَأَيُّوبُ بْنُ يَحْيَىٰ: لَا يُعْرَفُ.

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ ....

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: (الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ)، أَيِ: الدَّعْوَةُ إِلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ شَرِيعَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ مَرَاتِبِهَا الثَّلَاثِ أَوِ الْأَرْبَعِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وَالرَّابِعَةُ قَوْلُهُ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وَلَا بُدَّ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ مِنْ عِلْمٍ بِشَرِيعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّىٰ تَكُونَ الدَّعْوَةُ عَنْ عِلْمٍ وَإِلَىٰ عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

* **قُلْتُ**: وَالْبَصِيرَةُ فَوْقَ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَلَا بَصِيرَةَ عِنْدَهُ؛ فَيُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَإِنَّمَا لَا بُدَّ مِنَ الْإِتْيَانِ بِالْبَصِيرَةِ أَيْضًا مَعَ الْعِلْمِ؛ وَلِذَلِكَ ذَكَرَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ

سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ فَتَكُونُ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خَالِصَةً؛ فَلَا بُدَّ مِنْ شَرْطِ الْإِخْلَاصِ.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْبَصِيرَةُ تَكُونُ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ: بِأَنْ يَكُونَ الدَّاعِيَةُ عَالِمًا بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، وَبِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَةِ، وَبِحَالِ الْمَدْعُوِّ.

* **قُلْتُ**: فَلَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ هَذِهِ الشُّرُوطِ:

- لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ.
- وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَةِ.
- وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِحَالِ الْمَدْعُوِّ.

هَذِهِ هِيَ الْبَصِيرَةُ فِي الدَّعْوَةِ.

وَأَمَّا إِذَا مَا تَخَلَّفَتْ هَذِهِ الشُّرُوطُ، وَامْتَلَأَ الْمَرْءُ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَأَمْرًا وَنَهْيًا، ثُمَّ رَاحَ يَخْبِطُ هَاهُنَا وَهُنَالِكَ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ صَادًّا عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لَا دَاعِيًا إِلَىٰ سَبِيلِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَجَالَاتُ الدَّعْوَةِ كَثِيرَةٌ:

-مِنْهَا الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْخَطَابَةِ وَبِإِلْقَاءِ الْمُحَاضَرَاتِ.

-وَمِنْهَا الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْمَقَالَاتِ.

-وَمِنْهَا الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِحَلْقَاتِ الْعِلْمِ.

-وَمِنْهَا الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالتَّأْلِيفِ وَنَشْرِ الدِّينِ عَنْ طَرِيقِ التَّأْلِيفِ.

-وَمِنْهَا الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ فِي الْمَجَالِسِ الْخَاصَّةِ؛ فَإِذَا جَلَسَ الْإِنْسَانُ فِي مَجْلِسٍ فِي دَعْوَةٍ مَثَلًا، فَهَذَا مَجَالٌ لِلدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، وَلَكِنْ يَجِبُ -يَنْبَغِي- أَنْ تَكُونَ عَلَىٰ وَجْهٍ لَا مَلَلَ فِيهِ وَلَا إِثْقَالَ، وَيَحْصُلُ هَذَا بِأَنْ يَعْرِضَ الدَّاعِيَةُ مَسْأَلَةً عِلْمِيَّةً عَلَىٰ الْجَالِسِينَ ثُمَّ تَبْتَدِئُ الْمُنَاقَشَةُ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُنَاقَشَةَ وَالسُّؤَالَ وَالْجَوَابَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي فَهْمِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَتَفْهِيمِهِ، وَقَدْ يَكُونُ أَكْثَرَ فَعَالِيَةً مِنْ إِلْقَاءِ خُطْبَةٍ أَوْ مُحَاضَرَةٍ إِلْقَاءً مُرْسَلًا كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

* **قُلْتُ:** لِأَنَّ هَذَا التَّفَاعُلَ يُؤَدِّي إِلَىٰ تَثْبِيتِ الْمَعْلُومِ، وَذَلِكَ يَعْرِفُهُ كُلُّ مَنْ عَانَىٰ ذَلِكَ وَزَاوَلَهُ.

وَعَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَسَبَ طَاقَتِهِ وَعَلَىٰ قَدْرِ عِلْمِهِ؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ عَلَيْهِ قِسْطٌ مِنْ هَذَا الْوَاجِبِ مِنْ تَبْلِيغِ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَالدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ إِلَيْهِ، وَالنَّصِيحَةِ فِيهِ؛ فَيَدْعُو إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَإِلَىٰ الصَّلَاةِ، وَإِلَىٰ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ، وَإِلَىٰ الزَّكَاةِ، وَإِلَىٰ أَدَائِهَا، وَإِلَىٰ صَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَعَ الِاسْتِطَاعَةِ، وَإِلَىٰ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَتَرْكِ الْمَعَاصِي كُلِّهَا.

وَالصِّفَاتُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَتَوَفَّرَ فِي الدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: التَّقْوَىٰ، وَالْإِخْلَاصُ، وَالْعِلْمُ، وَالْحِلْمُ، وَضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَأَنْ يَبْدَأَ بِالْأَهَمِّ؛ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَأَنْ يَسْلُكَ فِي دَعْوَتِهِ الْمَنْهَجَ الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ هِيَ وَظِيفَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَطَرِيقَةُ مَنِ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ فَإِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ مَعْبُودَهُ وَنَبِيَّهُ وَدِينَهُ، وَمَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ لِذَلِكَ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ السَّعْيَ فِي إِنْقَاذِ إِخْوَانِهِ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلْيُبَشِّرْ بِالْخَيْرِ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ، حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يُهْدَىٰ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»، مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ[١].

* **قُلْتُ: (وَحُمْرُ النَّعَمِ)**: هِيَ الْإِبِلُ الْحُمْرُ، وَهِيَ أَنْفَسُ مَا كَانَ يَقْتَنِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْأَمْوَالِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْجِهَادِ، ١٠٢: ٢، رَقْمُ ٢٩٤٢) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، ٤: ٧، رَقْمُ ٢٤٠٦)، مِنْ حَدِيثِ: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَقُولُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١): «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**».

وَقَالَ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا(٢): «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**».

* **قُلْتُ:** فَهَذِهِ ثَلَاثٌ مِنَ الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَنَصَّ عَلَىٰ وُجُوبِ تَعَلُّمِهَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ.

●●●

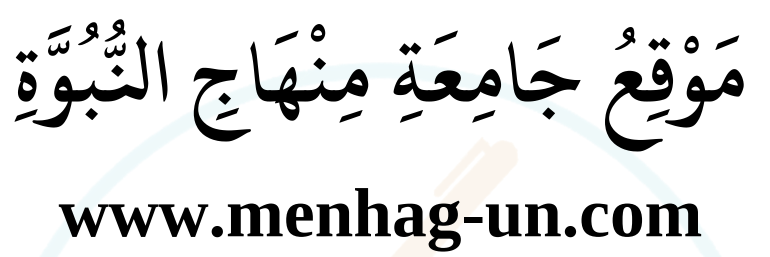
---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْعِلْمِ، ٦: ٥، رَقْمُ ٢٦٧٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِمَارَةِ، ٣٨: ١، رَقْمُ ١٨٩٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةَ الثَّانِيَةَ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ



جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ ....

---

* **قُلْتُ:** (الصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ): وَذَلِكَ يَشْمَلُ كُلَّ دَاعٍ إِلَىٰ حَقٍّ وَخَيْرٍ، وَيَشْمَلُ كُلَّ دَاعٍ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ آمِرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَاهٍ عَنْ مُنْكَرٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْذَىٰ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُحَارَبَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُعَادَىٰ؛ وَهِيَ طَرِيقُ الْأَنْبِيَاءِ وَسَبِيلُ الْمُرْسَلِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَحَبْسُهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَحَبْسُهَا عَنِ التَّسَخُّطِ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ؛ فَيَحْبِسُ النَّفْسَ عَنِ التَّسَخُّطِ وَالتَّضَجُّرِ وَالْمَلَلِ، وَيَكُونُ دَائِمًا نَشِيطًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ، وَإِنْ أُوذِيَ وَعُودِيَ؛ لِأَنَّ أَذِيَّةَ الدَّاعِينَ إِلَىٰ الْخَيْرِ مِنْ طَبِيعَةِ الْبَشَرِ إِلَّا مَنْ هَدَىٰ اللهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

وَكُلَّمَا قَوِيَتِ الْأَذِيَّةُ قَرُبَ النَّصْرُ، وَلَيْسَ النَّصْرُ مُخْتَصًّا بِأَنْ يُنْصَرَ الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ، وَيَرَىٰ أَثَرَ دَعْوَتِهِ قَدْ تَحَقَّقَ، بَلِ النَّصْرُ يَكُونُ وَلَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَنْ يَجْعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ قَبُولًا لِمَا دَعَا إِلَيْهِ، وَأَخْذًا بِهِ، وَتَمَسُّكًا بِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا يُعْتَبَرُ نَصْرًا لِهَذَا الدَّاعِيَةِ وَإِنْ كَانَ مَيِّتًا.

فَعَلَىٰ الدَّاعِيَةِ أَنْ يَكُونَ صَابِرًا عَلَىٰ دَعْوَتِهِ، مُسْتَمِرًّا فِيهَا صَابِرًا عَلَىٰ مَا يَعْتَرِضُهُ هُوَ مِنَ الْأَذَىٰ، وَهَا هُمُ الرُّسُلُ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ- أُوذُوا بِالْقَوْلِ وَبِالْفِعْلِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

وَلَكِنْ عَلَىٰ الدَّاعِيَةِ أَنْ يُقَابِلَ ذَلِكَ بِالصَّبْرِ، وَانْظُرْ إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ ﷻ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٣]، كَانَ مِنَ الْمُنْتَظَرِ أَنْ يُقَالَ: فَاشْكُرْ نِعْمَةَ رَبِّكَ، وَلَكِنَّهُ ﷻ قَالَ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٤]، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ قَامَ بِهَذَا الْقُرْآنِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ مَا يَنَالُهُ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَىٰ صَبْرٍ.

وَانْظُرْ إِلَىٰ حَالِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ﷺ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»[1]، فَعَلَىٰ الدَّاعِيَةِ أَنْ يَكُونَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، ٥٤: ١٢، رَقْمُ ٣٤٧٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْجِهَادِ، ٣٧: ٦، رَقْمُ ١٧٩٢)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْكِي =

* **قُلْتُ:** لِأَنَّهُ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَعِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِ الْأَذَىٰ.

قَالَ تعَالَىٰ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، فَلَمَّا ذَكَرَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ أَتَتِ التَّوْصِيَةُ بِالصَّبْرِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالصَّبْرُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

١- صَبْرٌ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ.

٢- صَبْرٌ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ.

٣- صَبْرٌ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ الَّتِي يُجْرِيهَا: إِمَّا مِمَّا لَا كَسْبَ لِلْعِبَادِ فِيهِ، وَإِمَّا مِمَّا يُجْرِيهِ اللهُ عَلَىٰ أَيْدِي بَعْضِ الْعِبَادِ مِنَ الْإِيذَاءِ وَالِاعْتِدَاءِ.

◉ ◉ ◉

=

نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».



تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْرِ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣]..........

---

* **قُلْتُ:** ذَكَرَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- هَذِهِ الْأُمُورَ الْعَظِيمَةَ، وَجَعَلَهَا مَسَائِلَ، وَهِيَ مُسْتَنْبَطَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهَذَا دَلِيلُهَا، وَهُوَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَالدِّينُ كُلُّهُ: إِيمَانٌ، وَعَمَلٌ، وَدَعْوَةٌ، وَصَبْرٌ؛ إِيمَانٌ بِالْحَقِّ، وَعَمَلٌ بِهِ، وَدَعْوَةٌ إِلَيْهِ، وَصَبْرٌ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ؛ هَذَا هُوَ الدِّينُ.

«الدِّينُ كُلُّهُ: إِيمَانٌ، وَعَمَلٌ، وَدَعْوَةٌ، وَصَبْرٌ؛ إِيمَانٌ بِالْحَقِّ، وَعَمَلٌ بِالْحَقِّ، وَدَعْوَةٌ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَصَبْرٌ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِي الْحَقِّ؛ فَهَذَا هُوَ الدِّينُ»(١)؛ قَدْ جَمَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنَا ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ.

«الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ وَالثَّانِيَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ لَا يَكُونُ صَحِيحًا، وَالْعَمَلَ لَا يَكُونُ صَالِحًا، إِلَّا بِالْعِلْمِ بِأَنْ يُعْبَدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ.

---

(١) «شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِابْنِ بَازٍ (ص٢٥).

وَالْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

وَالْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾».

فَجَمَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنَا هَذَا الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾: هَذَا قَسَمٌ بِالزَّمَنِ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: الْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي الْإِنْسَانِ لِلِاسْتِغْرَاقِ وَلِلشُّمُولِ أَوْ لِلْجِنْسِ؛ فَجِنْسُ الْإِنْسَانِ أَوِ الْإِنْسَانُ كُلُّهُ مُسْتَغْرَقًا وَمَشْمُولًا بِالْخُسْرَانِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا، وَ(**الْخُسْرُ**): النُّقْصَانُ وَالْهَلَكَةُ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾؛ فَهُمُ الَّذِينَ أَتَوْا بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ، وَالدَّعْوَةِ، وَالصَّبْرِ؛ الْإِيمَانُ بِالْحَقِّ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ.

فَجَمَعَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْخَيْرَ مِنْ أَقْطَارِهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (**وَالدَّلِيلُ**): عَلَىٰ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ، (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾): أَقْسَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالْعَصْرِ الَّذِي هُوَ الدَّهْرُ، وَهُوَ مَحَلُّ الْحَوَادِثِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَأَقْسَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّ الْإِنْسَانِ فِي خُسْرٍ، إِلَّا مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ: الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ.

* **قُلْتُ:** لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَمَّا خَلْقُهُ فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُقْسِمُوا إِلَّا بِهِ، وَ«**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[1]، وَأَمَّا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَيُقْسِمُ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا؛ يُقْسِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ، يُقْسِمُ

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْأَيْمَانِ، ٥: ٤، رَقْمُ ٣٢٥١)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الْأَيْمَانِ، ٨: ٣، رَقْمُ ١٥٣٥)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢/ ١٢٥، رَقْمُ ٦٠٧٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكُبْرَىٰ» (رَقْمُ ١٩٨٢٩)، مِنْ طَرِيقِ: الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ، رَجُلًا يَحْلِفُ: لَا وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**».

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: «وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَسْمَعْهُ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ مِنَ ابْنِ عُمَرَ»، بَيْنَهُمَا الْكِنْدِيُّ، وَهُوَ: مَجْهُولٌ؛ فَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/ ٦٩، رَقْمُ ٥٣٧٥)، وَمَوَاضِعَ، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» (٢/ رَقْمُ ٨٣٠، ٨٣١)، مِنْ طُرُقٍ: عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَجِئْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، وَتَرَكْتُ عِنْدَهُ رَجُلًا مِنْ كِنْدَةَ، فَجَاءَ الْكِنْدِيُّ مُرَوَّعًا، فَقُلْتُ: مَا وَرَاءَكَ؟، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ ابْنِ عُمَرَ آنِفًا فَقَالَ: أَحْلِفُ بِالْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «**احْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ**»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْلِفْ بِأَبِيكَ، فَإِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ**».

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: «فَوَقَفْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ قَدْ زَادَ فِي إِسْنَادِ هَذَا عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ رَجُلًا مَجْهُولًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَفَسَدَ بِذَلِكَ إِسْنَادُهُ».

وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (رَقْمُ ٢٥٦١): «وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِنْ سَلِمَ مِنَ الِانْقِطَاعِ».

وَالْحَدِيثُ أَصْلُهُ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الشَّهَادَاتِ، ٢٦: ٢، رَقْمُ ٢٦٧٩) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْأَيْمَانِ، ١، رَقْمُ ١٦٤٦)، مِنْ طُرُقٍ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، بِلَفْظِ: «**أَلَا إِنَّ اللهَ ﷻ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**».

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْعَصْرِ، يُقْسِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، أَمَّا خَلْقُهُ فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُقْسِمُوا بِشَيْءٍ سِوَاهُ، وَ«**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).(٢).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-(٣):

«**جِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ**:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَىٰ تَعَلُّمِ الْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَىٰ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَىٰ الصَّبْرِ عَلَىٰ مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ وَأَذَىٰ الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ».

* **قُلْتُ**: يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ بِدَلِيلِهِ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ لَوْ حَصَلَ هَذَا صَارَ رَبَّانِيًّا، وَدُعِيَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ كَبِيرًا؛ كَأَنَّهُ عَالِمٌ عَامِلٌ دَاعٍ إِلَىٰ

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) «شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِابْنِ بَازٍ (ص٢٦).

(٣) «زَادُ الْمَعَادِ» (٣/ ٩، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

مَا عَلِمَهُ وَعَمِلَ بِهِ؛ فَيُدْعَىٰ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ كَبِيرًا[١].

«وَهَذَا التَّرْتِيبُ -الَّذِي ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- مِنْ حَيْثُ هُوَ لَا بِاعْتِبَارِ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَإِلَّا فَقَدْ يَكُونُ الصَّبْرُ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ أَشَقَّ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مِنَ الطَّاعَةِ؛ إِذَا فُتِنَ الْإِنْسَانُ مَثَلًا بِامْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ تَدْعُوهُ إِلَىٰ نَفْسِهَا فِي مَكَانٍ خَالٍ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ فِيهِ إِلَّا اللهُ، وَهُوَ رَجُلٌ شَابٌّ ذُو شَهْوَةٍ؛ فَالصَّبْرُ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ أَشَقُّ مَا يَكُونُ عَلَىٰ النُّفُوسِ؛ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

وَأَيْضًا، الْإِنْسَانُ قَدْ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ يَكُونُ الصَّبْرُ عَلَيْهَا أَشَقَّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ الطَّاعَةِ؛ فَقَدْ يَمُوتُ لَهُ مَثَلًا قَرِيبٌ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ عَزِيزٌ أَوْ حَبِيبٌ؛ فَتَجِدُهُ يَتَحَمَّلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مَشَقَّةً عَظِيمَةً لَا يَجِدُ مِثْلَهَا فِيمَا يُزَاوِلُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَلَكِنْ لَا يَتَحَمَّلُ هَذَا الْقَدْرَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ»[٢].

فَالصَّبْرُ فِي أَقْسَامِهِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ، وَالْمُجَاهَدَاتُ الَّتِي تَكُونُ لِلنَّفْسِ بِتَنْزِيلِهَا فِي تِلْكَ الْمَرَاتِبِ الْمُخْتَلِفَةِ.

لَوْ نَظَرْتَ فِيهَا لَوَجَدْتَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَىٰ اعْتِبَارِ مَا هُوَ مِنْ حَيْثُ هُوَ صَبْرٌ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، صَبْرٌ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، صَبْرٌ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ الَّتِي يُجْرِيهَا عَلَيْهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الْعِلْمِ، ١٩: ٥، رَقْمُ ٢٦٨٥)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، قَالَ: «**عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَىٰ كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ**»، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» (١٠/ ٦٩٠، جَمْعُ وَتَرْتِيبُ فَهْدِ بْنِ نَاصِرٍ السُّلَيْمَانِ).

هَذَا التَّرْتِيبُ تَرْتِيبٌ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَأَمَّا بِاعْتِبَارِ مَنْ تَعَلَّقَ بِذَلِكَ فَقَدْ تَكُونُ الْمَشَقَّةُ فِي الصَّبْرِ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَكْبَرُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ الطَّاعَةِ؛ فَيَأْتِي بِالطَّاعَةِ رَاغِبًا رَاهِبًا، وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْصِيَةِ فَإِنَّهُ يَتَتَعْتَعُ فِيهَا شَدِيدًا، وَلَا يَنْكَفُّ عَنْهَا إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ، وَكَذَلِكَ الصَّبْرُ عَلَىٰ الْقَدَرِ غَيْرِ الْمُوَاتِي قَدْ يَجِدُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يُقَدِّرُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ مَشَقَّةً عَظِيمَةً لَا يَجِدُهَا فِيمَا يُزَاوِلُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ؛ فَيَخِفُّ إِلَىٰ الصَّلَوَاتِ، وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ فَقْدِ عَزِيزٍ أَوْ حَبِيبٍ تَضَعْضَعَ لِذَلِكَ جِدًّا، وَانْهَدَمَ كِيَانُهُ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ الشَّدِيدَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقْسَمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالْعَصْرِ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ هُوَ فِي خَيْبَةٍ وَهَلَكَةٍ وَخُسْرٍ مَهْمَا كَثُرَ مَالُهُ وَوَلَدُهُ وَعَظُمَ قَدْرُهُ وَشَرَفُهُ، إِلَّا مَنْ جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ الْأَرْبَعَةَ:

أَحَدُهَا: الْإِيمَانُ، وَيَشْمَلُ كُلَّ مَا يُقَرِّبُ إِلَىٰ اللهِ مِنَ اعْتِقَادٍ صَحِيحٍ، وَعِلْمٍ نَافِعٍ.

الثَّانِي: الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَهُوَ كُلُّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ يُقَرِّبُ إِلَىٰ اللهِ بِأَنْ يَكُونَ فَاعِلُهُ لِلَّهِ مُخْلِصًا، وَلِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُتَّبِعًا.

الثَّالِثُ: التَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَهُوَ التَّوَاصِي عَلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ.

الرَّابِعُ: التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ بِأَنْ يُوصِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ فِعْلِ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَرْكِ مَحَارِمِ اللهِ، وَتَحَمُّلِ أَقْدَارِ اللهِ.

* **قُلْتُ**: الدِّينُ كُلُّهُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ صَبْرٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ عِنْدَ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَعِنْدَ الْكَفِّ عِنْدَ الْمَعْصِيَاتِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْأَقْدَارِ غَيْرِ الْمُوَاتِيَاتِ؛ يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ الصَّبْرِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الشَّرْعِ الْأَغَرِّ.

وَالْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَصْبِرْ وَقَعَ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ، وَتَرَكَ مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ يَتَضَمَّنَانِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا قِوَامُ الْأُمَّةِ وَصَلَاحُهَا وَنَصْرُهَا وَحُصُولُ الشَّرَفِ وَالْفَضِيلَةِ لَهَا: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

◉ ◉ ◉

مَعْنَى قَوْلِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ...»

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): (بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة محمد، الآية: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الشَّافِعِيُّ، هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شَافِعٍ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ، وُلِدَ فِي غَزَّةَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةٍ، وَتُوُفِّيَ بِمِصْرَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِئَتَيْنِ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ عَلَىٰ الْجَمِيعِ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَىٰ(٢).

---

(١) فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْعِلْمِ، ١٠)، وَقَالَ: «لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ».

(٢) انْظُرْ: «التَّارِيخَ الْكَبِيرَ» (١/ رَقْمُ ٧٣)، وَ«الْكُنَىٰ وَالْأَسْمَاءَ» (رَقْمُ ١٩٧٣)، وَ«الْجَرْحَ وَالتَّعْدِيلَ» (٧/ رَقْمُ ١١٣٠)، وَ«الثِّقَاتِ» لِابْنِ حِبَّانَ (٩/ رَقْمُ ١٥٠١٦)، وَ«الِانْتِقَاءَ فِي فَضَائِلِ =

مُرادُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ كَافِيَةٌ لِلْخَلْقِ فِي الْحَثِّ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِدِينِ اللهِ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَيْسَ مُرادُهُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ كَافِيَةٌ لِلْخَلْقِ فِي جَمِيعِ الشَّرِيعَةِ.

* **قُلْتُ:** ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ [العصر: ١]: الَّذِي يُقْسِمُ هُوَ اللهُ، وَمَا الَّذِي يُحْوِجُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ الْقَسَمِ؟

لَا شَيْءَ، سُبْحَانَهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَلَكِنْ هَذَا لِتَأْكِيدِ الْقَضِيَّةِ عِنْدَ الْمُكَذِّبِينَ، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ① إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر: ١- ٢]، مَعَ الْإِتْيَانِ بِهَذِهِ الْمُؤَكِّدَاتِ مِنَ الْقَسَمِ وَالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ، وَدُخُولِ (إِنَّ) الْمُؤَكِّدَةِ الْمُشَدَّدَةِ عَلَيْهَا.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ① إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾، وَالْإِتْيَانُ بِـ(ال) الَّتِي تُفِيدُ الِاسْتِغْرَاقَ أَوْ تُفِيدُ الدَّلَالَةَ عَلَىٰ الْجِنْسِ، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾، ثُمَّ الْإِتْيَانُ بِاللَّامِ، ثُمَّ الْإِتْيَانُ بِالظَّرْفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَفِي خُسۡرٍ﴾؛ فَكَأَنَّ الْخُسْرَانُ قَدْ شَمِلَهُمْ حَتَّىٰ غَرِقُوا فِيهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: «**لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ**»[1]؛ لِأَنَّ الْعَاقِلَ الْبَصِيرَ إِذَا سَمِعَ هَذِهِ السُّورَةَ أَوْ قَرَأَهَا؛ فَلَا بُدَّ

=

الثَّلَاثَةِ الْأَئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ» لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ (ص٦٥ - ١١٥، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ)، وَ«تَارِيخ بَغْدَادَ» (٢/ رَقْمُ ٤٠٤، ت بَشَّارٍ)، وَ«تَارِيخَ دِمَشْقَ» (٥١/ رَقْمُ ٦٠٧١)، وَ«تَهْذِيبَ الْكَمَالِ» (رَقْمُ ٥٠٤٩)، وَ«السِّيَر» (١٠/ تَرْجَمَةَ ١، ط الرِّسَالَةِ).

(١) ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ فِي «رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» (بَابُ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ)، وَابْنُ الْقَيِّمِ فِي «مِفْتَاحِ

=

أَنْ يَسْعَىٰ إِلَىٰ تَخْلِيصِ نَفْسِهِ مِنَ الْخُسْرَانِ، وَذَلِكَ بِاتِّصَافِهِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ: الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ.

الْبُخَارِيُّ، هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْبُخَارِيُّ، وُلِدَ بِبُخَارَىٰ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةٍ، وَنَشَأَ يَتِيمًا فِي حِجْرِ وَالِدَتِهِ، وَتُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (خرتنك) بَلْدَةٍ عَلَىٰ فَرْسَخَيْنِ[1] مِنْ (سَمَرْقَنْد)[2]، لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ[3].

=

دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ٥٦، ط الْعِلْمِيَّةِ)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ٢٠٣) (٨/ ٤٧٩، دَارُ طَيْبَةَ).

(١) الْفَرْسَخُ مِقْيَاسٌ مِنْ مَقَايِيسِ الْمَسَافَاتِ مِقْدَارُهُ: ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ (٥٥٤٤ مِتْرًا) = أَيْ نَحْوًا مِنْ خَمْسَةِ كِيلُو مِتْرَاتٍ.

(٢) وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: (سَمْرَانُ)، مِنْ بُلْدَانِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ الْمَعْرُوفَةِ، وَكَانَتْ قَاعِدَةَ بِلَادِ الصَّغْدِ شَرْقِيَّ بُخَارَىٰ، خَرَّبَهَا الْمَغُولُ سَنَةَ ٦١٦ هـ، ثُمَّ جَدَّدَ بِنَاءَهَا تَيْمُورلَنْكُ، وَاتَّخَذَهَا عَاصِمَةً لَهُ وَشَيَّدَ فِيهَا الْمَسَاجِدَ وَأَقَامَ الرُّبُطَ وَمَا زَالَ بَعْضُ ذَلِكَ قَائِمًا إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا، وَهِيَ الْيَوْمَ تَقَعُ فِي وِلَايَةِ (أوزبيكِسْتَان) الرُّوسِيَّةِ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ: ابْنُ بِهْرَامٍ الدَّارِمِيُّ السَّمَرْقَنْدِيُّ مِنْ أَئِمَّةِ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ، «مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ» (٣/ ٢٤٦ - ٢٥٠).

(٣) انْظُرْ: «الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ» (٧/ رَقْمُ ١٠٨٦)، وَ«الثِّقَاتُ» لِابْنِ حِبَّانَ (٩/ رَقْمُ ١٥٤٨٢)، وَ«الْإِرْشَادُ» (٣/ ٩٥٨)، وَ«تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٢/ رَقْمُ ٣٧٤)، وَ«الْإِكْمَالُ» لِابْنِ مَاكُولَا (١/ ١١٠)، وَ«طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ» (١/ رَقْمُ ٣٨٧)، وَ«الْأَنْسَابُ» لِلسَّمْعَانِيِّ (٢/ رَقْمُ ٣٩٣)، وَ«تَارِيخُ دِمَشْقَ» (٥٢/ رَقْمُ ٦٠٩٨)، وَ«تَهْذِيبُ الْكَمَالِ» (رَقْمُ ٥٠٥٩)، وَ«السِّيَرُ» (١٢/ تَرْجَمَةُ ١٧١).

اسْتَدَلَّ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ الْبُدَاءَةِ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

* **قُلْتُ:** (**بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ**)، (**بَابٌ**): بِالتَّنْوِينِ؛ لِأَنَّهُ مَقْطُوعٌ عَنِ الْإِضَافَةِ؛ (**الْعِلْمُ**): مُبْتَدَأٌ، (**قَبْلَ الْقَوْلِ**): خَبَرُهُ.

وَيَا لله مَاذَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُخَالَفَةِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمُخَالَفَةِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ فِيمَا صَاغَهُ الْبُخَارِيُّ تَرْجَمَةً لِلْبَابِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا دَلِيلٌ أَثَرِيٌّ، يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْلَمُ أَوَّلًا، ثُمَّ يَعْمَلُ ثَانِيًا.

* **قُلْتُ:** وَالَّذِي يَعْمَلُ أَوَّلًا أَوْ يَقُولُ أَوَّلًا، ثُمَّ يَبْحَثُ عَنِ الْعِلْمِ، لَا يَكُونُ إِلَّا خَابِطًا فِي بَيْدَاءَ؛ فَيَأْتِي بِخُزَعْبَلَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَيُضِلُّ النَّاسَ ضَلَالَاتٍ، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِهَدْيِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ** ﴾ [محمد: ١٩]؛ فَذَكَرَ الْعِلْمَ أَوَّلًا؛ لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ أَوَّلًا قَبْلَ الْعَمَلِ وَقَبْلَ الْقَوْلِ.

قَبْلَ الْعَمَلِ تَعَبُّدًا وَحَرَكَةً وَمِنْهَاجًا لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ.

وَقَبْلَ الْقَوْلِ دَعْوَةً وَأَمْرًا وَنَهْيًا، لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ أَوَّلًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُنَاكَ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ نَظَرِيٌّ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْعِلْمَ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَوْلَ أَوِ الْعَمَلَ لَا يَكُونُ صَحِيحًا مَقْبُولًا حَتَّىٰ يَكُونَ عَلَىٰ وَفْقِ الشَّرِيعَةِ.

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّ عَمَلَهُ عَلَىٰ وَفْقِ الشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْعِلْمِ؛ وَلَكِنْ هُنَاكَ أَشْيَاءُ يَعْلَمُهَا الْإِنْسَانُ بِفِطْرَتِهِ؛ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ اللهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ؛ فَإِنَّ هَذَا قَدْ فُطِرَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَلِهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ عَنَاءٍ كَبِيرٍ فِي التَّعَلُّمِ، أَمَّا الْمَسَائِلُ الْجُزْئِيَّةُ الْمُنْتَشِرَةُ، فَهِيَ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَىٰ تَعَلُّمٍ وَتَكْرِيسِ جُهُودٍ.

* **قُلْتُ:** هَلْ يَتَّكِئُ عَلَىٰ هَذَا مَنْ يَتَّكِئُ فَيَقُولُ: أَنَا لَا أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَلَا آمُرُ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا أَنْهَىٰ عَنْ مُنْكَرٍ حَتَّىٰ أَتَعَلَّمَ.

هَذِهِ مَسْأَلَةٌ لَا تَنْضَبِطُ إِلَىٰ مَتَىٰ تَتَعَلَّمُ؟ هَذَا أَوَّلًا.

وَثَانِيًا: أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَسَبَ طَاقَتِهِ وَعِلْمِهِ.

فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ عَلَيْهِ قِسْطٌ مِنْ هَذَا الْوَاجِبِ مِنْ تَبْلِيغِ دِينِ اللهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَالدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَالْإِرْشَادِ وَالنَّصِيحَةِ فِيهِ، هَذَا وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ إِذَا رَأَىٰ شِرْكًا أَوْ سَمِعَهُ؛ فَيَدْعُو إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَوْ يَبْتَدِئُ الْجَاهِلَ بِتَعْلِيمِهِ تَوْحِيدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ، وَبِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَبِالزَّكَاةِ وَبِأَدَائِهَا، وَبِالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ عِنْدَ الِاسْتِطَاعَةِ، يَأْمُرُ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي كُلِّهَا، وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَلَّقَ بِهَا الْمُسْلِمُ فِي أَخْلَاقِهِ وَفِي سُلُوكِهِ.

يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ حَسَبِ الِاسْتِطَاعَةِ، يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ مَا يَعْلَمُ، لَا يَخْبِطُ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ، وَإِنَّمَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ مَا يَعْلَمُهُ،

وَيُؤَدِّي الْوَاجِبَ الَّذِي عَلَيْهِ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمَا يَعْلَمُهُ وَيَجْتَهِدُ فِي أَنْ يَكُونَ عَامِلًا بِمَا يَعْلَمُ؛ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَعَا إِلَىٰ الْهُدَىٰ وَالْحَقِّ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْذَىٰ مِنَ الْخَلْقِ.

●●●

الْمَسَائِلُ الثَّلَاثُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُهُنَّ

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ لَنَا رَسُولًا

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ:

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ[١]، الْأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ ....

---

* **قُلْتُ:** فَهَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ، (**أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا**)؛ هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْمُتَعَلِّقُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ: (**أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا**)؛ فَذَكَرَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْخَلَّاقُ، وَهُوَ الرَّزَّاقُ، وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؛ فَذَكَرَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ؛ فَهَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَدَلِيلُ ذَلِكَ -أَعْنِي: (**أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا**)-؛ سَمْعِيٌّ، وَعَقْلِيٌّ:

---

(١) وَفِي نُسْخَةٍ: «**تَعَلُّمُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ**»، وَفِي نُسْخَةٍ: «**تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَسَائِلَ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ**»، وَالْمَعْنَىٰ وَاحِدٌ.

أَمَّا السَّمْعِيُّ فَكَثِيرٌ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] الآيَةَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

وَأَمَّا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا : فَقَدْ جَاءَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

* **قُلْتُ**: الْقِسْمَةُ الْعَقْلِيَّةُ تَقْتَضِي ثَلَاثَةَ أُمُورٍ هُنَا لَا رَابِعَ لَهَا:

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]؛ فَذَكَرَ اثْنَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثِ؛ لِأَنَّهُ يُذْعِنُ بِهِ الْمُخَالِفُ، وَيُقِرُّ بِهِ حَتْمًا؛ الْقِسْمَةُ ثُلَاثِيَّةٌ هُنَا:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: (أَنَّنَا خُلِقنا بِدُونِ خالِقٍ)، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ؛ لِأَنَّ الخَلْقَ لَا بُدَّ أَنْ يَتعَلَّقَ بِخَالِقٍ، كَمَا أَنَّ الْمُتَحَرِّكَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمُحَرِّكٍ؛ فَالْقِسْمَةُ الْعَقْلِيَّةُ تَقْضِي بِهَذَا الْأَمْرِ؛ أَوَّلًا أَنَّنَا خُلِقْنَا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ، هَذَا لَا يُقْبَلُ؛ هَذَا مُمْتَنِعٌ.

الْأَمْرُ الثَّانِي: (أَنَّنَا خَلَقْنَا أَنْفُسَنَا).

الْأَوَّلُ أَنَّنَا خُلِقْنَا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ؛ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]؛ **قِسْمَةٌ عَقْلِيَّةٌ تَقْتَضِي ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:**

- إِمَّا أَنْ يَكُونُوا قَدْ خُلِقُوا، وَوُجِدُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، وَلَا مُوجِدٍ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ.

- وَالثَّانِي مِنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ: أَنَّهُمْ خَلَقُوا أَنفُسَهُمْ، ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾، خُلِقُوا بِدُونِ خَالِقٍ؛ هَذَا بَاطِلٌ؛ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ: هَذَا أَبْطَلُ؛ هَذَا أَفْسَدُ؛ لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يَمْلِكُ الْوُجُودَ أَصْلًا؛ فَكَيْفَ يُعْطِيهِ غَيْرَهُ؟!

يَعْنِي كَانَ مَعْدُومًا، ثُمَّ وُجِدَ فِي حَالِ عَدَمِهِ لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ، وَفَاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾، خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ؛ هَذَا أَفْسَدُ فِي الْقِيَاسِ الْعقْلِيِّ، وَفِي النَّظَرِ هَذَا لَا يُقْبَلُ؛ هَذَا مَرْدُودٌ؛ فَهَذَانِ أَمْرَانِ.

- إِذَا بَطَلَ الْأَمْرَانِ وَامْتَنَعَا تَعَيَّنَ الثَّالِثُ، وَهُوَ أَنَّنَا خَلَقَنَا الْخَالِقُ الْعَظِيمُ فَسَكَتَ عَنْ هَذَا، وَهَذَا الْمَسْكُوتُ عَنْهُ يُذْعِنُ بِهِ الْمُخَالِفُ، وَيُقِرُّ بِهِ الْمُعَانِدُ؛ فَلَمْ يَذْكُرْهُ، وَتَرَكَهُ؛ لِدَلَالَةِ كُلِّ ذِي عَقْلٍ بِعَقْلِهِ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنَّ الإِنْسَانَ لَمْ يَخْلُقْ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ قَبْلَ وُجُودِهِ عَدَمٌ، وَالْعَدَمُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لَا يُوجِدُ شَيْئًا، وَلَمْ يَخْلُقْهُ أَبُوهُ وَلَا أُمُّهُ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ؛ وَلَمْ يَكُنْ لِيَأْتِيَ صُدْفَةً بِدُونِ مُوجِدٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ، وَلِأَنَّ وُجُودَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَىٰ هَذَا النِّظَامِ وَالتَّنَاسُقِ الْمُتَآلِفِ يَمْنَعُ مَنْعًا بَاتًّا أَنْ يَكُونَ صُدْفَةً.

إِذِ الْمَوْجُودُ صُدْفَةً لَيْسَ عَلَىٰ نِظَامٍ فِي أَصْلِ وُجُودِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُنْتَظِمًا حَالَ بَقَائِهِ وَتَطَوُّرِهِ؟!

فَتَعَيَّنَ بِهَذَا أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ هُوَ اللهَ وَحْدَهُ فَلَا خَالِقَ وَلَا آمِرَ إِلَّا اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ أَنْكَرَ رُبُوبِيَّةَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَّا عَلَىٰ وَجْهِ الْمُكَابَرَةِ كَمَا حَصَلَ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَعِنْدَمَا سَمِعَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ سُورَةَ الطُّورِ، فَبَلَغَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]، وَكَانَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ(١) يَوْمَئِذٍ مُشْرِكًا، فَقَالَ: «**كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي**»(٢).

---

(١) هُوَ شَيْخُ قُرَيْشٍ، جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، أَبُو مُحَمَّدٍ، ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، انْظُرْ: «الِاسْتِيعَابُ» (١/ رَقْمُ ٣١١)، وَ «تَهْذِيبُ الْكَمَالِ» (٩٠٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَغَازِي، ١٢: ٢٦، رَقْمُ ٤٠٢٣) وَفِي (التَّفْسِيرِ، ٥٢: ٢، رَقْمُ ٤٨٥٤)، =

* **قُلْتُ:** (وَرَزَقْنَا): الرِّزْقُ: اسْمٌ لِمَا يَنْتَفِعُ بِهِ كُلُّ مُرْتَزِقٍ[١]؛ وَهُوَ نَوْعَانِ خَاصٌّ وَعَامٌّ:

أَمَّا الرِّزْقُ الْعَامُّ: فَهُوَ مَا بِهِ قِوَامُ الْبَدَنِ وَمَسِيرَةُ الْحَيَاةِ، سَوَاءٌ كَانَ حَلَالًا أَمْ حَرَامًا، وَسَوَاءٌ كَانَ الْمَرْزُوقُ مُسْلِمًا أَمْ كَانَ كَافِرًا؛ فَهَذَا كُلُّهُ رِزْقٌ؛ يُسَمَّىٰ رِزْقًا بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ.

وَأَمَّا بِالْمَعْنَىٰ الْخَاصِّ فَالرِّزْقُ بِالْمَعْنَىٰ الْخَاصِّ: هُوَ الرِّزْقُ الْحَلَالُ الَّذِي يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَبِعَةَ فِيهِ إِذَا كَانَ عَوْنًا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ؛ فَلَا تَبِعَةَ فِيهِ وَإِنْ كَثُرَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾ [الأعراف: ٣٢].

قَوْلُهُ: (وَرَزَقَنَا): **قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: أَدِلَّةُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْعَقْلِ:

أَمَّا الْكِتَابُ: فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١]، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

=

وَمُسْلِمٌ فِي (الصَّلَاةِ، ٣٥: ١٤، رَقْمُ ٤٦٣).

(١) «الصِّحَاحُ» (٤/ ١٤٨١)، وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» (رَزَقَ) (١٠/ ١١٥)، وَ«الْقَامُوسُ» (١/ ٨٨٦).

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ فِي الْجَنِينِ: «**يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ**»(١).

وَأَمَّا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ رَزَقَنَا: فَلِأَنَّنَا لَا نَعِيشُ إِلَّا عَلَىٰ طَعَامٍ وَشَرَابٍ، وَالطَّعَامُ وَالشَّرَابُ خَلَقَهُ اللهُ ﷻ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**﴾ [الواقعة: ٦٣-٧٠].

فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانُ أَنَّ رِزْقَنَا طَعَامًا وَشَرَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ ﷻ.

قَوْلُهُ: (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا): قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ السَّمْعِيَّةُ، وَالْعَقْلِيَّةُ:

أَمَّا السَّمْعِيَّةُ: فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾ [المؤمنين: ١١٥-١١٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿**أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ**﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠].

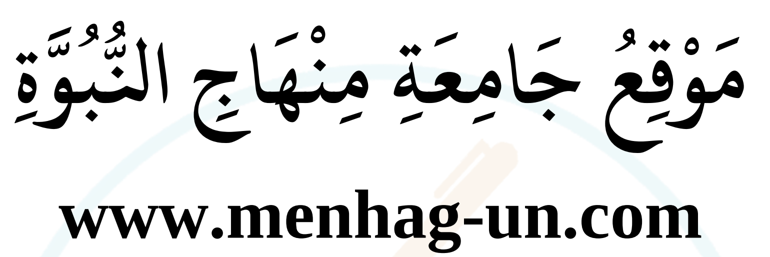
وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَلِأَنَّ وُجُودَ هَذِهِ الْبَشَرِيَّةِ لِتَحْيَا ثُمَّ تَتَمَتَّعَ كَمَا تَتَمَتَّعُ الْأَنْعَامُ ثُمَّ تَمُوتَ إِلَىٰ غَيْرِ بَعْثٍ وَلَا حِسَابٍ أَمْرٌ لَا يَلِيقُ بِحِكْمَةِ اللهِ ﷻ، بَلْ هُوَ عَبَثٌ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْقَدَرِ، ١: ١، رَقْمُ ٦٥٩٤) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْقَدَرِ، ١: ١، رَقْمُ ٢٦٤٣)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَيُعْرَفُ بِحَدِيثِ: «**الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ**».

مَحْضٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ، وَيُرْسِلَ إِلَيْهَا الرُّسُلَ، وَيُبِيحَ لَنَا دِمَاءَ الْمُعَارِضِينَ الْمُخَالِفِينَ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثُمَّ تَكُونُ النَّتِيجَةُ لَا شَيْءَ، هَذَا مُسْتَحِيلٌ عَلَىٰ حِكْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

●●●


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ



جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا): أَيْ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَرْسَلَ إِلَيْنَا مَعْشَرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْنَا آيَاتِ رَبِّنَا، وَيُزَكِّينَا، وَيُعَلِّمُنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، كَمَا أَرْسَلَ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَنَا، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وَلَا بُدَّ أَنْ يُرْسَلَ إِلَىٰ الْخَلْقِ؛ لِتَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَلِيَعْبُدُوا اللهَ بِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَعْبُدَ اللهَ بِمَا يَرْضَاهُ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ بَيَّنُوا لَنَا مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ عَزَّوَجَلَّ، فَبِذَلِكَ كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَىٰ الْخَلْقِ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، الدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥- ١٦].

* **قُلْتُ:** فَالْغَايَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ طَاعَةُ الرُّسُلِ وَاتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ** ﴾ [النساء: ٦٤].

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ، فَهِدَايَةُ الْبَشَرِ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَبَيَانُ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ عِنْدَهُ جَلَّ وَعَلَا؛ فَالْحِكْمَةُ مِنَ الْإِرْسَالِ هِدَايَةُ النَّاسِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَمَعْرِفَةُ رَبِّهِمْ وَعِبَادَتُهُ عَلَىٰ النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ عَنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **قَوْلُهُ: (فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)**: هَذَا حَقٌّ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٢-١٣٣].

وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ** ﴾ [النور: ٥٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وَالْآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟

قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ): هَذَا أَيْضًا حَقٌّ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ، فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ: «**وَمَنْ عَصَانِي دَخَلَ النَّارَ**».

● ● ●



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الِاعْتِصَامِ، ٢: ٥، رَقْمُ ٧٢٨٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦]..............

* **قُلْتُ:** أَصْلُ (**الْوَبِيلِ**) فِي اللُّغَةِ: الثَّقِيلُ الشَّدِيدُ[١]، ﴿**فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا**﴾، يَعْنِي أَخْذًا مُحِيطًا ثَقِيلًا شَدِيدًا مُهْلِكًا؛ فَقَدْ أَغْرَقَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَمَلَأَهُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

هَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ مِنَ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا، وَأَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَهِيَ: «أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ،وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ».

◉ ◉ ◉

(١) كَمَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٣/ ٣٨٧، دَارُ هَجَرَ)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٠/ رَقْمُ ١٩٠٢٣)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦]، قَالَ: شَدِيدًا، وَرُوِيَ أَيْضًا عَنْ مُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ مِثْلُهُ.

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ:
أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ....

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيِ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْنَا عِلْمُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ، بَلْ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

* **قُلْتُ:** الْمَسَاجِدُ: جَمْعُ مَسْجِدٍ، وَهِيَ كُلُّ مَوْضِعٍ بُنِيَ لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ وَذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ هَذَا بِالْمَعْنَىٰ الِاصْطِلَاحِيِّ.

وَأَمَّا بِالْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيِّ: فَكُلُّ مَوْضِعٍ يُسْجَدُ فِيهِ فَهُوَ مَسْجِدٌ بِالْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيِّ.

مِنْ أَيْنَ هَذَا التَّعْرِيفُ؟

مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي بَالَ فِي الْمَسْجِدِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ**»، لَمَّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ؛ «**إِنَّمَا بُنِيَ**» أَيِ: الْمَسْجِدُ، «**لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلِلصَّلَاةِ**»(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فَنَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَدْعُوَ الْإِنْسَانُ مَعَ اللهِ أَحَدًا، وَاللهُ لَا يَنْهَىٰ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ لَا يَرْضَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩].

فَالْكُفْرُ وَالشِّرْكُ لَا يَرْضَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بَلْ إِنَّمَا أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ؛ لِمُحَارَبَةِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِمَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَإِذَا كَانَ اللهُ لَا يَرْضَىٰ بِالْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَرْضَىٰ بِهِمَا؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ رِضَاهُ وَغَضَبُهُ تَبَعٌ رِضَا اللهِ وَغَضَبِهِ، فَيَغْضَبُ لِمَا

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الطَّهَارَةِ، ٣٠: ٣، رَقْمُ ٢٨٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بِلَفْظِ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ **وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»، وَأَصْلُهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بِدُونِ هَذَا اللَّفْظِ.

يُغْضِبُ اللهَ وَيَرْضَىٰ بِمَا يَرْضَاهُ اللهُ ﷻ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ اللهُ لَا يَرْضَىٰ الْكُفْرَ وَلَا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِمُؤْمِنٍ أَنْ يَرْضَىٰ بِهِمَا.

وَالشِّرْكُ أَمْرُهُ خَطِيرٌ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»**(١).

◉ ◉ ◉

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٤٠: ٣، رَقْمُ ٩٣)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرٍ رضي الله عنه.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الثَّالِثَةُ أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] ....

---

* **قُلْتُ**: هَذَا هُوَ الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ ﷺ وَوَحَّدَ اللهَ؛ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا أَنْ يَكُونَ مُوَالِيًا لِأَعْدَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَمُوَالِيًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَكُونُ أَبَدًا أَنْ يُوَالِيَ أَعْدَاءَ اللهِ، وَيُوَالِي أَوْلِيَاءَ اللهِ، لَا يَكُونُ أَنْ يُوَالِيَ أَعْدَاءَ اللهِ، وَيَكُونُ حَرْبًا عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ اللهِ.

لَا بُدَّ لِكُلِّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ أَنْ يُعَادِيَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَلَا يُوَالِيهِ بِحَالٍ.

فَهَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا، وَأَنْ يَعْمَلَ بِهَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيِ الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْنَا عِلْمُهُ: الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ، وَالْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ أَصْلٌ عَظِيمٌ جَاءَتْ فِيهِ النُّصُوصُ الْكَثِيرَةُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] الْآيَةَ.

وَلِأَنَّ مُوَالَاةَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَمُدَارَاتَهُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَا فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ يُحِبَّ الْإِنْسَانُ شَيْئًا هُوَ عَدُوٌّ لِمَحْبُوبِهِ، وَمُوَالَاةُ الْكُفَّارِ تَكُونُ بِمُنَاصَرَتِهِمْ وَمُعَاوَنَتِهِمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَمُوَادَّتُهُمْ تَكُونُ بِفِعْلِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا مَوَدَّتُهُمْ فَتَجِدُهُ يُوَادُّهُمْ أَيْ يَطْلُبُ وُدَّهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَهَذَا لَا شَكَّ يُنَافِي الْإِيمَانَ كُلَّهُ أَوْ كَمَالَهُ، فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ مُعَادَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ إِلَيْهِ، وَبُغْضُهُ وَالْبُعْدُ عَنْهُ، وَلَكِنَّ هَذَا لَا يَمْنَعُ نَصِيحَتَهُ وَدَعْوَتَهُ لِلْحَقِّ.

* **قُلْتُ:** قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَجِدُ﴾ بِالضَّمِّ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ بِالضَّمِّ، إِذَا كَانَتْ مَضْمُومَةً فَهَذَا نَفْيٌ: ﴿لَا تَجِدُ﴾، يَعْنِي لَيْسَتْ نَهْيًا هُنَا، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْيٌ؛ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾، يَنْفِي وِجْدَانَ قَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ.

وَالنَّفْيُ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ مُتَعَلِّقٌ بِالْمُسْتَقْبَلِ، «لَا تَفْعَلْ» فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ فَالنَّفْيُ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ؛ النَّهْيُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمُسْتَقْبَلِ، وَالنَّفْيُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ مَعًا.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾، هَذَا لَا يُوجَدُ لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ، لَا فِيمَا مَضَىٰ، وَلَا فِيمَا هُوَ آتٍ.

وَأَمَّا عِنْدَ النَّهْيِ فَالنَّهْيُ يَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَقْبَلِ؛ «لَا تَفْعَلْ»، يَعْنِي فِيمَا يَسْتَقْبِلُكَ مِنْ زَمَانٍ؛ فَيَكُونُ النَّفْيُ أَبْلَغَ مِنَ النَّهْيِ فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ الْجَلِيلَةِ.

﴿لَّا تَجِدُ﴾ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ﴿قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

وَذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ صِفَاتِ الطَّاهِرِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْبِتِينَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِهَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الثَّالِثَةِ، وَهُوَ أَصْلُ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ.

ثُمَّ قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- بَعْدَمَا أَخْبَرَ عَنْ رِضْوَانِهِ عَنْهُمْ وَرِضَاهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ﴿حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ إِضَافَةٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ؛ فَمَا حَالُهَا؟

الْإِضَافَةُ فِي الْأُولَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ؛ لِبَيَانِ اخْتِصَاصِهِمْ بِهِ تَعَالَىٰ؛ فَهَذِهِ إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ لِلِاخْتِصَاصِ بِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ ضَمِيرٌ وَالْإِشَارَةُ وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تِلْكَ الِاسْتِعْمَالَاتِ اللُّغَوِيَّةِ بِدَلَالَاتِهَا الْعَمِيقَةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾؛ فَهَذِهِ إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ تَدُلُّ عَلَىٰ اخْتِصَاصِهِمْ بِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فَهَذِهِ الْإِضَافَةُ لِبَيَانِ اخْتِصَاصِهِمْ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ.

وَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾، هَؤُلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ الْفَلَاحِ، ﴿هُمُ﴾، وَأَتَىٰ بِالضَّمِيرِ الْبَارِزِ الْمُنْفَصِلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ الِاخْتِصَاصِ أَيْضًا، وَمَعَ

وُجُودِ تِلْكَ الْإِضَافَةِ ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ فَدَلَّ عَلَىٰ اخْتِصَاصِهِمْ بِالْفَلَاحِ دُنْيَا وَآخِرَةً بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ.

وَمُوَالَاةُ الْكُفَّارِ لَهَا مَظَاهِرُ مُتَعَدِّدَةٌ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَزْمَانِ مِنْهَا:

- الرِّضَا بِكُفْرِ الْكَافِرِينَ، وَعَدَمُ تَكْفِيرِهِمْ، أَوِ الشَّكُّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ بِتَصْحِيحِ أَيِّ مَذْهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِ الْكُفْرِ؛ فَهَذِهِ مُوَالَاةٌ لِلْكُفَّارِ.

- وَمِنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ أَيْضًا: التَّشَبُّهُ بِهِمْ فِي عَادَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمْ، فَهَذَا مِنْ مُوَالَاتِهِمْ.

- وَمِنْ مُوَالَاتِهِمْ أَيْضًا: الثِّقَةُ بِهِمْ، وَاتِّخَاذُهُمْ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا.

- وَمِنْ مُوَالَاتِهِمْ أَيْضًا: مُعَاوَنَتُهُمْ وَنُصْرَتُهُمْ.

- وَمُشَارَكَتُهُمْ فِي أَعْيَادِهِمْ.

- وَالتَّسَمِّي بِأَسْمَائِهِمْ.

- وَالسَّفَرُ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ إِلَىٰ غَيْرِ ضَرُورَةٍ، بَلْ لِلنُّزْهَةِ وَالْمُتْعَةِ، لَا لِضَرُورَةٍ.

- وَمُجَامَلَتُهُمْ، وَمُدَاهَنَتُهُمْ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ.

فَكُلُّ هَذِهِ مِنْ صُوَرِ الْمُوَالَاةِ وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ.

◉ ◉ ◉

مَعْنَى الْحَنِيفِيَّةِ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَىٰ الْعِلْمِ فَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ إِعَادَتِهِ هُنَا.

الرُّشْدُ: الِاسْتِقَامَةُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

الطَّاعَةُ: مُوَافَقَةُ الْمُرَادِ؛ فِعْلًا لِلْمَأْمُورِ وَتَرْكًا لِلْمَحْظُورِ.

الْحَنِيفِيَّةُ: هِيَ الْمِلَّةُ الْمَائِلَةُ عَنِ الشِّرْكِ، الْمَبْنِيَّةُ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

* **قُلْتُ:** «الْحَنِيفُ: هُوَ الَّذِي أَقْبَلَ عَلَىٰ اللهِ، وَأَعْرَضَ عَمَّا سِوَاهُ، وَأَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ»(١).

وَالْحَنَفُ: الْمَيْلُ، وَهُوَ يَلْحَقُ الْقَدَمَ أَوِ الْقَدَمَيْنِ، وَيُقَالُ لِمَنْ أُصِيبَ بِذَلِكَ: أَحْنَفُ، **وَالْحُنَفَاءُ:** الَّذِينَ مَالُوا عَنِ الشِّرْكِ، وَاسْتَقَامُوا عَلَىٰ الطَّرِيقِ.

---

(١) «شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِابْنِ بَازٍ (ص٣٦).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (مِلَّةَ): أَيْ طَرِيقَهُ الدِّينِيُّ الَّذِي يَسِيرُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إِبْرَاهِيمُ هُوَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وَهُوَ أَبُو الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ مَنْهَجِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ لِلِاقْتِدَاءِ بِهِ.

قَوْلُهُ «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ»: هَذِهِ خَبَرُ «أَنَّ» فِي قَوْلِهِ «أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ».

وَالْعِبَادَةُ بِمَفْهُومِهَا الْعَامِّ، هِيَ: التَّذَلُّلُ لِلَّهِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ شَرَائِعُهُ.

* **قُلْتُ: الْعِبَادَةُ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ:** أَصْلُ الْعِبَادَةِ التَّذَلُّلُ وَالْخُضُوعُ؛ تَقُولُ الْعَرَبُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ، يَعْنِي مُذَلَّلٌ مُهَيَّءٌ، وَطَّأَتْهُ وَذَلَّلَتْهُ الْأَقْدَامُ؛ لِسُلُوكِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَسَيْرِهِمْ عَلَىٰ جَادَّتِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَّا الْمَفْهُومُ الْخَاصُّ لِلْعِبَادَةِ -يَعْنِي تَفْصِيلَهَا-: فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «الْعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ: مِنَ الْأَقْوَالِ، وَالْأَعْمَالِ، الْبَاطِنَةِ، وَالظَّاهِرَةِ»، كَالْخَوْفِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ.

الْإِخْلَاصُ هُوَ التَّنْقِيَةُ، وَالْمُرَادُ بِهِ: أَنْ يَقْصِدَ الْمَرْءُ بِعِبَادَتِهِ وَجْهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْوُصُولَ إِلَىٰ دَارِ كَرَامَتِهِ، بِحَيْثُ لَا يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا

---

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ - الْعُبُودِيَّةُ» (١٠/ ١٤٩).

مُرْسَلًا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

* **قُلْتُ:** فَيَقْصِدُ بِعِبَادَتِهِ وَجْهَ رَبِّهِ، وَيَقْصِدُ الْوُصُولَ إِلَىٰ دَارِ كَرَامَتِهِ، لَا يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا.

● ● ●



قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، **وَمَعْنَىٰ يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِي** ....

---

* **قُلْتُ:** (**وَبِذَلِكَ**)، أَيْ بِالْحَنِيفِيَّةِ الَّتِي مَرَّ تَفْسِيرُهَا بِالْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ بِالتَّوْحِيدِ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهُ؛ كَمَا قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَعْنَىٰ يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِي**)، وَهُوَ تَفْسِيرٌ لِمَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أَيْ: يُفْرِدُونِي بِالْعِبَادَةِ.

وَهَذَا كَمَا تَرَىٰ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ، -وَفِي رِوَايَةٍ[١]: **أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**-؛ **فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ**،...»[٢].

---

(١) أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (التَّوْحِيدِ، ١: ٢، رَقْمُ ٧٣٧٢)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الزَّكَاةِ، ٤١، رَقْمُ ١٤٥٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٧: ٣، رَقْمُ ١٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فَقَوْلُهُ ﷺ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ: «**فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ**» دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَمْ يُوَحِّدِ اللهَ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَإِنْ أَقَرَّ بِوُجُودِهِ، وَأَقَرَّ بِبَعْضِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يُوَحِّدِ اللهَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ عَارِفًا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (وَبِذَلِكَ): أَيْ بِالْحَنِيفِيَّةِ، وَهِيَ عِبَادَةُ اللهِ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَبَيَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ، أَنَّ الْخَلْقَ إِنَّمَا خُلِقُوا لِهَذَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

* **قُلْتُ: الْجِنُّ**: عَالَمٌ غَيْبِيٌّ قَائِمٌ بِذَاتِهِ يَخْتَلِفُ عَنِ الْإِنْسِ؛ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ، وَالْإِنْسُ مِنْ طِينٍ؛ سُمُّوا جِنًّا ؛لِاجْتِنَانِهِمْ،أَيْ لِاسْتِتَارِهِمْ عَنِ الْعُيُونِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (يُوَحِّدُونِي): يَعْنِي: التَّوْحِيدُ مِنْ مَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ، وَإِلَّا فَقَدْ سَبَقَ لَكَ مَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ، وَعَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ تُطْلَقُ، وَأَنَّهَا أَعَمُّ مِنْ مُجَرَّدِ التَّوْحِيدِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ نَوْعَانِ:

عِبَادَةٌ كَوْنِيَّةٌ؛ وَهِيَ الْخُضُوعُ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ الْكَوْنِيِّ، وَهَذِهِ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، لَا يَخْرُجُ عَنْهَا أَحَدٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، فَهِيَ شَامِلَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ.

* **قُلْتُ:** وَالْعَبْدُ بِالْمَعْنَىٰ الْكَوْنِيِّ لَا يُفِيدُ مَدْحًا؛ لِأَنَّهُ يَنْتَظِمُ تَحْتَ كُلِّ طَائِعٍ وَعَاصٍ، وَبَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَمُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ؛ حَتَّىٰ إِبْلِيسُ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ يَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا الْإِطَارِ أَوْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْإِطَارِ، وَهُوَ مَرْبُوبٌ مُسَخَّرٌ؛ عَبْدٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ، مَقْهُورٌ لَا يَقْوَىٰ عَلَىٰ فِعْلِ شَيْءٍ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالثَّانِي: عِبَادَةٌ شَرْعِيَّةٌ؛ وَهِيَ الْخُضُوعُ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ الشَّرْعِيِّ، وَهَذِهِ خَاصَّةٌ بِمَنْ أَطَاعَ اللهَ تَعَالَىٰ، وَاتَّبَعَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

* **قُلْتُ:** فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ: لَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، وَهُوَ الْعِبَادَةُ الْقَدَرِيَّةُ أَوِ الْكَوْنِيَّةُ، الَّتِي يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِيهَا فِي مَشْهَدِ الْجَمْعِ؛ فَيَشْهَدُ حَقِيقَةَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ الْكُلَّ مَرْبُوبٌ مُسَخَّرٌ.

كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ لَا يَتَعَدَّىٰ هَذَا الْمَشْهَدَ إِلَىٰ مَشْهَدِ الْفَرْقِ، وَهُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مَخْلُوقًا مُقِرًّا بِذَلِكَ مُوقِنًا بِهِ؛ فَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ طَائِعًا لِلَّذِي خَلَقَهُ؛ فَيَأْتِي بِالْأَمْرِ وَيَنْتَهِي عَنِ النَّهْيِ.

وَهَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الشَّرْعِيَّةُ، وَهِيَ الْعِبَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ، وَهِيَ الْحَقِيقَةُ الْأَمْرِيَّةُ الَّتِي فِيهَا الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ.

كَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ السُّلُوكَ، وَيَدَّعُونَ التَّحَقُّقَ بِالْمَقَامَاتِ؛ إِنَّمَا دَخَلَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، وَوَقَفُوا فِي مَشْهَدِ الْجَمْعِ لَمْ يَتَجَاوَزُوهُ قِيدَ أُنْمُلَةٍ؛ فَلَمَّا شَهِدُوا

الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا مُسَخَّرَةً مَرْبُوبَةً؛ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ النِّهَايَةُ؛ فَوَقَفُوا عِنْدَ تِلْكَ الْغَايَةِ، وَلَمْ يَتَعَدَّوْا إِلَىٰ الْمُنْتَهَىٰ الْأَسْنَىٰ، وَإِلَىٰ الْمُرْتَقَىٰ الْأَعْلَىٰ، وَهُوَ شُهُودُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ وَقَفُوا فِي مَشْهَدِ الْجَمْعِ أَدَّىٰ بِكَثِيرٍ مِنْهُمْ وُقُوفُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَشْهَدِ إِلَىٰ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ.

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ شَهِدَ حَقِيقَةَ الْقَدَرِ؛ فَاحْتَجَّ بِهِ عَلَىٰ الْمَعَاصِي، وَقَالَ: مَادَامَ الْكُلُّ مَخْلُوقًا؛ فَالْكَافِرُ طَائِعٌ لِلَّهِ فِي كُفْرِهِ؛ لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَىٰ الْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَىٰ الْإِرَادَةِ الدِّينِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا أَذِنَ اللهُ بِأَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ إِذْنْ؛ هُوَ طَائِعٌ لِلَّهِ؛ فَرَضُوا عَنِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَالْبِدْعَةِ، وَلَمْ يُمَيِّزُوا!!

وَأَمَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَوَقَّفُوا فِي مَشْهَدِ الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا كَانُوا فِي مَشْهَدِ الْفَرْقِ؛ فَأَقَرُّوا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَقَرُّوا لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْأُلُوهِيَّةِ؛ فَكَانُوا لَهُ عَابِدِينَ، وَأَخْلَصُوا التَّوْحِيدَ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ: فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ لَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ؛ لِأَنَّهُ بِغَيْرِ فِعْلِهِ، لَكِنْ قَدْ يَحْصُلُ مِنْهُ مِنْ شُكْرٍ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَصَبْرٍ عَلَىٰ الْبَلَاءِ، بِخِلَافِ النَّوْعِ الثَّانِي فَإِنَّهُ يُحْمَدُ عَلَيْهِ.

* **قُلْتُ:** وَأَمَّا مَا أَتَىٰ مِمَّا قَدَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ قَدَرًا وَكَوْنًا، فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، كَمَا يَلْزَمُهُ الصَّبْرُ عَلَىٰ الْبَلَاءِ؛ فَهَذَا مَطْلُوبٌ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا

قَدَّرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ مِنْ كَوْنِهِ مَرْبُوبًا مُسَخَّرًا مَقْهُورًا عَبْدًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَإِذَا رَضِيَ دَخَلَ فِي الْإِطَارِ الثَّانِي؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالرِّضَا عَلَىٰ السَّرَّاءِ وَالشُّكْرِ عَلَيْهَا، وَمَأْمُورٌ أَيْضًا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ الْبَلَاءِ.

●●●



قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ ....

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: التَّوْحِيدُ، لُغَةً: مَصْدَرُ وَحَّدَ يُوَحِّدُ، أَيْ: جَعَلَ الشَّيْءَ وَاحِدًا، وَهَذَا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِنَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، نَفْيِ الْحُكْمِ عَمَّا سِوَىٰ الْمُوَحَّدِ، وَإِثْبَاتِهِ لَهُ، فَمَثَلًا نَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَتِمُّ لِلْإِنْسَانِ التَّوْحِيدُ حَتَّىٰ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَنْفِي الْأُلُوهِيَّةَ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيُثْبِتُهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

* **قُلْتُ:** وَهَذِهِ قَاعِدَةُ الرُّسُلِ الَّتِي جَاءُوا بِهَا أَقْوَامَهُمْ؛ فَإِنَّ الرُّسُلَ إِنَّمَا جَاءُوا بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ حَتَّىٰ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ؛ فَأَثْبَتُوا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنَفَوْا عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَمِيعَ صِفَاتِ النَّقْصِ فَجَاءُوا بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي الِاصْطِلَاحِ: عَرَّفَهُ الْمُؤَلِّفُ بِقَوْلِهِ: «التَّوْحِيدُ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ»؛ أَيْ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، لَا تُشْرِكَ بِهِ نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَلَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا رَئِيسًا، وَلَا مَلِكًا، وَلَا أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ، بَلْ تُفْرِدُهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، وَرَغْبَةً وَرَهْبَةً.

وَمُرَادُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ التَّوْحِيدُ الَّذِي بُعِثَتِ الرُّسُلُ لِتَحْقِيقِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَصَلَ بِهِ الْإِخْلَالُ مِنْ أَقْوَامِهِمْ.

وَهُنَاكَ تَعْرِيفٌ أَعَمُّ لِلتَّوْحِيدِ وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ».

وَأَنْوَاعُ التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِالْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ».

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: ٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِالْعِبَادَةِ»؛ بِأَنْ لَا يَتَّخِذَ الْإِنْسَانُ مَعَ اللهِ أَحَدًا يَعْبُدُهُ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ، كَمَا يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ.

الثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِمَا سَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وَذَلِكَ بِإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ، وَنَفْيِ مَا نَفَاهُ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ.

وَمُرَادُ الْمُؤَلِّفِ هُنَا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي ضَلَّ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتَبَاحَ دَمَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَأَرْضَهُمْ، وَدِيَارَهُمْ، وَسَبَىٰ نِسَاءَهُمْ، وَذُرِّيَّتَهُمْ، وَأَكْثَرُ مَا يُعَالِجُ الرُّسُلُ أَقْوَامَهُمْ عَلَىٰ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦].

* **قُلْتُ**: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ؛ كَانُوا يُقِرُّونَ بِهِ إِلَّا شَرَاذِمُ لَا يُؤْبَهُ لَهَا كَانُوا يَقُولُونَ: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، هَؤُلَاءِ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، وَلَا قِيمَةَ لَهُمْ.

وَلَكِنْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَقْوَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ كَانُوا مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ يَصْرِفُونَ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَكَانَتِ الْخُصُومَةُ، وَكَانَ مَحَلُّ النِّزَاعِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ.

وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يُحَرِّرُوا مَوْطِنَ النِّزَاعِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ.

لِمَاذَا حَارَبَهُمُ النَّبِيُّ؟!

لِمَاذَا قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ؟!

لِمَاذَا خَاصَمَهُمُ النَّبِيُّ وَخَاصَمُوهُ؟!

مِنْ أَجْلِ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ.

هَلْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُقِرُّونَ بِوُجُودِ اللهِ؟ وَأَنَّهُ هُوَ الْخَلَّاقُ وَالرَّزَّاقُ وَالْمُدَبِّرُ لِلْأَمْرِ عُلْوِيًّا وَسُفْلِيًّا، كَانُوا يُقِرُّونَ بِذَلِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِتَوْحِيدِ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، فَلَمَّا كَفَرُوا بِذَلِكَ قَاتَلَهُمْ وَاسْتَبَاحَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَسَبَىٰ نِسَاءَهُمْ وَذُرِّيَّتَهُمْ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فَالْعِبَادَةُ لَا تَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ أَخَلَّ بِهَذَا التَّوْحِيدِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَإِنْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

فَلَوْ فُرِضَ أَنَّ رَجُلًا يُقِرُّ إِقْرَارًا كَامِلًا بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

* **قُلْتُ:** وَهَذَا مِنَ الْمُحَالِ الْعَقْلِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقِرَّ إِقْرَارًا كَامِلًا بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَبِتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، ثُمَّ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ، وَلَكِنَّ الشَّيْخَ يَفْتَرِضُ رَحِمَهُ اللهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَلَكِنَّهُ يَذْهَبُ إِلَىٰ الْقَبْرِ فَيَعْبُدُ صَاحِبَهُ، أَوْ يَنْذِرُ لَهُ قُرْبَانًا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ كَافِرٌ خَالِدٌ فِي النَّارِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

* **قُلْتُ:** وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ عِنْدَمَا تُنْزِلُهُ عَلَىٰ الْمُعَيَّنِينَ؛ لَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ الرَّسُولِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

فَلَا يَتَنَزَّلُ هَذَا الْحُكْمُ وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يُطْلَقُ عَلَىٰ الْعُمُومِ لَا يَتَنَزَّلُ عَلَىٰ الْمُعَيَّنِ إِلَّا بِتَوَفُّرِ الشُّرُوطِ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ؛ هَذَا مُهِمٌّ وَإِلَّا تَوَرَّطَ طَالِبُ الْعِلْمِ فِي تَكْفِيرِ النَّاسِ جُمْلَةً.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَإِنَّمَا كَانَ التَّوْحِيدُ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَيْهِ الدِّينُ كُلُّهُ، وَلِهَذَا بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ[1]، وَأَمَرَ مَنْ

---

(١) أَخرَجَ أَحمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤/ ٦٣، رَقْمُ ١٦٦٠٣) وَمَوَاضِعَ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدُّؤَلِيِّ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

أَرْسَلَهُ لِلدَّعْوَةِ أَنْ يَبْدَأَ بِهِ(١).

* **قُلْتُ:** وَكُلُّ دَعْوَةٍ لَا تَنْبَنِي عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ، وَلَا تَبْدَأُ بِهِ دَعْوَةٌ فَاشِلَةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ دَعْوَةً لِلْإِصْلَاحِ بِحَالٍ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا أَبَدًا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ دَعَا قَوْمَهُ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ، وَعِنْدَمَا أَرْسَلَ دَاعِيَهُ دَاعِيَةً إِلَىٰ اللهِ إِلَىٰ الْيَمَنِ، وَهُوَ مُعَاذٌ رضي الله عنه، قَالَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**»(٢)؛ فَأَمَرَهُ بِأَنْ يَبْدَأَ بِهَذَا الْأَصْلِ.

إِصْلَاحُ الْمُجْتَمَعَاتِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَأَتَّىٰ إِلَّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

●●●

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّوْحِيد، ١: ٢، رَقْمُ ٧٣٧٢) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧: ٣، رَقْمُ ١٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تُقْدِمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ،...**»، الْحَدِيثَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْه الشِّركُ. وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦] ....

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: أَعْظَمُ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ الشِّرْكُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَعْظَمَ الْحُقُوقِ هُوَ حَقُّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا فَرَّطَ فِيهِ الْإِنْسَانُ فَقَدْ فَرَّطَ فِي أَعْظَمِ الْحُقُوقِ، هُوَ تَوْحِيدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْظَمُ الذَّنْبِ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (التَّوْحِيدُ، ٤٠، رَقْمُ ٧٥٢٠) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ (الْإِيمَانُ، ٣٧: ١، رَقْمُ ٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* **قُلْتُ**: التَّنْدِيدُ نَوْعَانِ -كَمَا مَرَّ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي بَيَانِ أَصْنَافٍ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ-:

مِنْهُ مَا يَكُونُ شِرْكًا أَكْبَرَ، وَهُوَ: أَنْ يَجْعَلَ لله شَرِيكًا فِي أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ أَوْ فِي بَعْضِهَا؛ هَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ.

وَأَمَّا مَا هُوَ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ؛ كَقَوْلِ الرَّجُلِ: «**مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ**».

وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ الْيَهُودِيَّ الْحَبْرَ لَمَّا جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ**» هَذَا شِرْكٌ؛ لِأَنَّهُ حَلِفٌ بِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، «**وَتُنَدِّدُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ**»؛ هَذَا تَنْدِيدٌ، وَلَكِنْ هَذَا شِرْكٌ أَصْغَرُ[(١)].

يَقُولُ الرَّجُلُ: «لَوْلَا اللهُ وَأَنْتَ، لَوْلَا الْكَلْبَةُ لَسَرَقَنَا اللُّصُوصُ»؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا شِرْكٌ، «لَوْلَا الْأَوَزُّ فِي الدَّارِ لَسَرَقَنَا اللُّصُوصُ»[(٢)]؛ لِأَنَّهُ يَزْعَقُ بِلَيْلٍ

---

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَىٰ» فِي (الْأَيْمَانِ، ٩، رَقْمُ ٣٧٧٣)، مِنْ طَرِيقِ: مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ قُتَيْلَةَ بِنْتِ صَيْفِيٍّ الْجُهَنِيَّةِ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «**وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**»، وَيَقُولُونَ: «**مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ**»، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٣٦).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ٦٢، رَقْمُ ٢٢٩)، مِنْ طَرِيقِ: عَمْرِو بْنِ أَبِي عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي عَاصِمٍ الضَّحَّاكِ بْنِ مَخْلَدٍ، أَنْبَأَ شَبِيبُ بْنُ بِشْرٍ، ثَنَا عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا
=

إِنْ رَأَىٰ خيالًا أَوْ سَمِعَ حِسًّا؛ فَلَمَّا سَمِعُوا الصَّوْتَ قَامُوا؛ فَفَرَّ اللِّصُّ فقَالُوا: لَوْلَا ذَلِكَ لَسَرَقَنَا اللُّصُوصُ؛ قَالَ: هَذَا شِرْكٌ. وَلَكِنَّهُ شِرْكٌ أَصْغَرُ لَا يُخرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ؛ فَأَعْظَمُ الذَّنْبِ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًا وَهُوَ خَلَقَكَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**»(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٢).

=

تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، قَالَ: «**الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَىٰ صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي، وَيَقُولَ: لَوْلَا كَلْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَىٰ اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا؛ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ**»، وَعَمْرُو بْنُ أَبِي عَاصِمٍ: مَجْهُولُ الْحَالِ، وَشَبِيبُ بْنُ بِشْرٍ: ضَعِيفٌ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّمْتِ» (رَقْمُ ٣٥٧، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتُ)، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ مَوْلًىٰ لِابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَحْسَبُ هَكَذَا قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُشْرِكُ حَتَّىٰ يُشْرِكَ بِكَلْبِهِ، يَقُولُ: لَوْلَاهُ لَسُرِقْنَا اللَّيْلَةَ**»، وَلَعَلَّ الْمُبْهَمَ هُوَ عِكْرِمَةُ؛ فَإِنَّهُ مَوْلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَصَحَّ بِذَلِكَ الْأَثَرُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٤٠: ٣، رَقْمُ ٩٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّفْسِيرِ، ٢: ٢٢، رَقْمُ ٤٤٩٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٤٠: ١، رَقْمُ ٩٢)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **قُلْتُ**: تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَدِلَّ بِالْعَقْلِ أَيْضًا عَلَىٰ هَذَا؛ فَحَقُّ جَارِكَ الْكَافِرِ عَلَيْكَ وَاحِدٌ، وَحَقُّ الْمُسْلِمِ مِنْ غَيرِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ إِنْ جَارًا؛ عَلَيْكَ حَقَّانِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَكَانَ مُسْلِمًا جَارًا؛ فَلَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ.

حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَيْكَ إِنْ كَانَ بَعِيدًا عَنْكَ بِلَا قُرْبَىٰ -وَكَفَىٰ بِالْإِسْلَامِ لُحْمَةً وَوُصْلَةً- وَلَكِنْ حَقُّ الْمُسْلِمِ الْبَعِيدِ عَلَيْكَ لَيْسَ كَحَقِّ الْمُسْلِمِ الْقَرِيبِ مِنْكَ أَنْ تَدْعُوَ بِالنُّصْرَةِ وَالتَّثْبِيتِ وَالتَّأْيِيدِ وَالْمَغْفِرَةِ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ.

وَمَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنْكَ؛ فَحَقُّهُ يَتَضَاعَفُ، وَيَتَأَكَّدُ عَلَيْكَ، هَلْ تَرَىٰ أَنَّ حَقَّ أَخِيكَ لَيْسَ بِابْنِ أُمِّكَ وَأَبِيكَ، كَحَقِّ أَخِيكَ الَّذِي هُوَ ابْنُ أُمِّكَ وَأَبِيكَ إِنِ اسْتَوَيَا فِي الْإِسْلَامِ وَالصَّلَاحِ؟!

حَقُّ الْأَخِ لِصُلْبِكَ الصُّلْبِيِّ يَكُونُ عَلَيْكَ أَوْكَدَ، هَلْ تَرَىٰ أَنَّ حَقَّ أَخِيكَ وَإِنْ كَانَ شَقِيقًا كَحَقِّ أُمِّكَ، أَوْ كَحَقِّ أَبِيكَ يَتَضَاعَفُ؟!

فَإِنْ أَخْلَلْتَ مَثَلًا بِحَقِّ أَبِيكَ، وَإِنْ أَخْلَلْتَ بِحَقِّ أُمِّكَ؛ فَهَذَا يَكُونُ أَشْنَعَ مِنْ إِخْلَالِكَ بِحَقِّ أَخِيكَ، ثُمَّ تَتَدَرَّجُ نَازِلًا -رَفَعَكَ اللهُ بِدِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ- تَتَدَرَّجُ فِي هَذَا فَتَجِدُ الْقَضِيَّةَ الْعَقْلِيَّةَ.

إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْحُقُوقُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَخْلُوقَاتِ؛ فَكَيْفَ بِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ؟!

حَقُّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ الْحُقُوقِ؛ فَالْإِخْلَالُ بِحَقِّ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ بَلْ هُوَ أَعْظَمُ الْمُنْكَرَاتِ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي التَّوْحِيدِ فَهُوَ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ مَا يَكُونُ وَأَقْبَحُ مَا يَكُونُ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا التَّوْحِيدَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْعِبَادَةِ وَنَهْيِهِ عَنِ الشِّرْكِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، فَأَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِعِبَادَتِهِ، وَنَهَىٰ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ، فَمَنْ لَمْ يَعْبُدِ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَهُوَ كَافِرٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَمَنْ عَبَدَ اللهَ وَعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِكٌ، وَمَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ فَهُوَ مُسْلِمٌ مُخْلِصٌ.

وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَشِرْكٌ أَصْغَرُ.

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ، وَهُوَ: كُلُّ شِرْكٍ أَطْلَقَهُ الشَّارِعُ، وَكَانَ مُتَضَمِّنًا لِخُرُوجِ الْإِنْسَانِ عَنْ دِينِهِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، وَهُوَ: كُلُّ عَمَلٍ قَوْلِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الشَّرْعُ وَصْفَ الشِّرْكِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُخْرِجُ عَنِ الْمِلَّةِ.

وَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ الْحَذَرُ مِنَ الشِّرْكِ أَكْبَرِهِ وَأَصْغَرِهِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

* **قُلْتُ**: وَعَدَمُ الْمَغْفِرَةِ لِلشِّرْكِ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُشْرِكًا فِي حَالِ حَيَاتِهِ فَتَابَ إِلَىٰ اللهِ، وَوَحَّدَهُ وَأَنَابَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبَدَهُ؛ إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَغْفِرُ لَهُ ذَلِكَ، بَلْ وَيُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَتَحَ بَابَ الْمَغْفِرَةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ فِي عُمُومِ أَحْوَالِهِمْ إِلَّا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ

بُلُوغُ الرُّوحِ الْحُلْقُومَ؛ فَإِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحُلْقُومَ، وَإِذَا غَرْغَرَ الْعَبْدُ فَقَدْ أُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ بِالنِّسْبَةِ لَهُ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِعُمُومِ الْخَلْقِ فَإِنَّ بَابَ التَّوْبَةِ يُغْلَقُ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ.

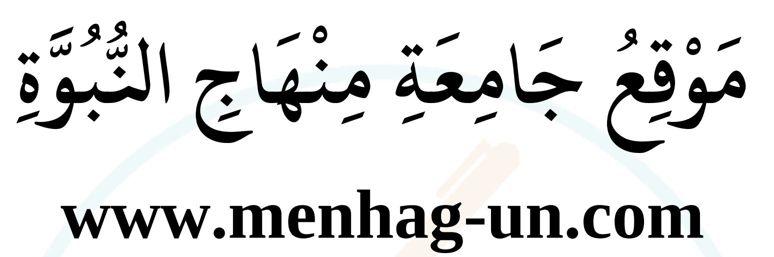
وَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْذَرَ مِنَ الشِّرْكِ، وَأَمَّا مَنْ تَوَرَّطَ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ مِنْهُ؛ فَإِذَا تَابَ مِنْهُ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا وَحَّدَهُ الْعَبْدُ وَأَنَابَ إِلَيْهِ وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَغْفِرُ لَهُ مَا سَلَفَ.

وَالْآيَةُ فِي حَقِّ مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا غَيْرَ تَائِبٍ مِنْ شِرْكِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ ذَلِكَ، وَمَنْ مَاتَ مُصِرًّا أَوْ مُوَاقِعًا لِذَنْبٍ دُونَ الشِّرْكِ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ، وَمَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ فِي الْمَشِيئَةِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وَأَمَّا إِخْبَارُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنَا وَلِعِبَادِهِ فِي أَرْضِهِ أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، فَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَتَابَ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ظُلْمِ نَفْسِهِ، وَلَوْ كَانَ بِالْكُفْرِ، وَلَوْ كَانَ بِالرِّدَّةِ.

فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّىٰ يَقْبِضَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ وَيَحْشُرَنَا عَلَيْهِ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْأُصُولُ جَمْعُ أَصْلٍ، وَهُوَ مَا يُبْنَى عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَصْلُ الْجِدَارِ وَهُوَ أَسَاسُهُ، وَأَصْلُ الشَّجَرَةِ الَّذِي يَتَفَرَّعُ مِنْهُ الْأَغْصَانُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ يُشِيرُ بِهَا الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى الْأُصُولِ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْإِنْسَانُ فِي قَبْرِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟

* **قُلْتُ**: وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ تَنْبَنِي عَلَيْهَا جَمِيعُ وَاجِبَاتِ الدِّينِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

◉ ◉ ◉

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَعْرِفَتُهَا؟ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَوْرَدَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِصِيغَةِ السُّؤَالِ؛ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْتَبِهَ الْإِنْسَانُ لَهَا؛ لِأَنَّهَا مَسْأَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَأُصُولٌ كَبِيرَةٌ؛ وَإِنَّمَا قَالَ: إِنَّ هَذِهِ هِيَ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْأُصُولُ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْمَرْءُ فِي قَبْرِهِ إِذَا دُفِنَ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَسَأَلَاهُ مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ.

وَأَمَّا الْمُرْتَابُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: هَاهَا لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ(١).

* **قُلْتُ**: وَطَرِيقَةُ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ سَلَكَهَا الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي كَثِيرٍ مِنْ رَسَائِلِهِ، وَهَذِهِ تُسَمَّىٰ عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّرْبِيَةِ وَطُرُقِ التَّدْرِيسِ بِـ(الطَّرِيقَةِ الْحِوَارِيَّةِ)، وَهُمْ يَنْسِبُونَهَا إِلَىٰ مَنْ أَلَّفَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْغَرْبِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، وَنَسُوا أَنَّ (الطَّرِيقَةَ الْحِوَارِيَّةَ) كَانَ يَسْلُكُهَا النَّبِيُّ ﷺ أَحْيَانًا مَعَ أَصْحَابِهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْجَنَائِزِ، ٦٧، رَقْمُ ١٣٣٨)، وَفِيهِ أَيْضًا (٨٦: ٦، رَقْمُ ١٣٧٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ، ١٧: ٦، رَقْمُ ٢٨٧٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كَمَا سَأَلَ ﷺ عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي هِيَ كَمَثَلِ الْمُؤْمِنِ وَالْأَصْحَابِ رضي الله عنهم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ جُمَّارٌ يَأْكُلُونَهُ(١)، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُؤْمِنِ**».

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَاوِي الْحَدِيثِ: «فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَكُنْتُ عَاشِرَ عَشْرَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَهُمَا لَا يَتَكَلَّمَانِ؛ فَاسْتَحْيَيْتُ، وَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي».

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَتِ الْقَرِينَةُ حَاضِرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَيْنَ أَيْدِي أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم؛ فَالْجُمَّارُ مِنَ النَّخْلِ؛ فَلَمَّا سَأَلَهُمْ رضي الله عنهم وَﷺ، فَوَقَعُوا فِي شَجَرِ الْبَوَادِي وَلَمْ يُصِيبُوا الْحَقِيقَةَ الْمَسْؤُولَ عَنْهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»(٢).

فَالطَّرِيقَةُ الْحِوَارِيَّةُ هَذِهِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْلُكُهَا أَحْيَانًا مَعَ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم.

فَسَلَكَهَا الشَّيْخُ هَا هُنَا فِي بَيَانِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ، وَهُوَ أَهَمُّ الْمُهِمَّاتِ، وَلِأَجْلِهِ خَلَقَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

●●●

(١) **الْجُمَّارُ**: هُوَ بِضَمِّ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ، وَهُوَ: الَّذِي يُؤْكَلُ مِنْ قَلْبِ النَّخْلِ، وَهُوَ شَيْءٌ أَبْيَض لَيِّنٌ، «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٧/ ١٥٥).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْعِلْمِ، ٤، رَقْمُ ٦١) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، ١٥، رَقْمُ ٢٨١١).

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ....

* قُلْتُ: (مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ): (رَبَّهُ) منصوب، لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لِمَعْرِفَةِ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ (مَعْرِفَةِ) أُضِيفَ إِلَىٰ الْفَاعِلِ (الْعَبْدُ)، والْمَصْدَرُ إِذَا أُضِيفَ يَعْمَلُ عَمَلَ فِعْلِهِ، فَالْمَصْدَرُ هُنَا أُضِيفَ؛ فَيَعْمَلُ عَمَلَ الْفِعْلِ[1].

وَعَلَيْهِ؛ فَـ(رَبُّ) فِي قَوْلِهِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: (رَبَّهُ) هَذَا مَنْصُوبٌ؛ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لِمَعْرِفَةٍ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْرِفَةُ اللهِ تَكُونُ بِأَسْبَابٍ:

مِنْهَا: النَّظَرُ وَالتَّفَكُّرُ فِي مَخْلُوقَاتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَمَعْرِفَةِ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَتَمَامِ قُدْرَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ: ٤٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

---

(١) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» لِصَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الْفَوْزَانِ (ص٩١، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وَمِنْ أَسْبَابِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ: النَّظَرُ فِي آيَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَهِيَ الْوَحْيُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَيَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا تَقُومُ حَيَاةُ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِهَا، فَإِذَا نَظَرَ فِيهَا وَتَأَمَّلَهَا، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَوَجَدَ انْتِظَامَهَا وَمُوَافَقَتَهَا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، عَرَفَ بِذَلِكَ رَبَّهُ ﷻ، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].

وَمِنْهَا: مَا يُلْقِي اللهُ ﷻ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يَرَىٰ رَبَّهُ رَأْيَ الْعَيْنِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ: مَا الْإِحْسَانُ؟

قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

* **قُلْتُ:** فَالأَوَّلُ مَقَامُ الْمُشَاهَدَةِ، وَالثَّانِي مَقَامُ الْمُرَاقَبَةِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٣٧، رَقْمُ ٥٠)، وَفِي (التَّفْسِيرِ، ٣١: ٢: ١، رَقْمُ ٤٧٧٧)، مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٢، رَقْمُ ٩، ١٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدِينَهُ ....

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: مَعْرِفَةُ الْأَصْلِ الثَّانِي، وَهُوَ: دِينُهُ، الَّذِي كُلِّفَ الْعَمَلَ بِهِ؛ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ وَمَصَالِحِ الْخَلْقِ، وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ عَنْهَا، وَدِينُ الْإِسْلَامِ مَنْ تَأَمَّلَهُ حَقَّ التَّأَمُّلِ تَأَمُّلًا مَبْنِيًّا عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَرَفَ أَنَّهُ دِينُ الْحَقِّ، وَأَنَّهُ الدِّينُ الَّذِي لَا تَقُومُ مَصَالِحُ الْخَلْقِ إِلَّا بِهِ.

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَقِيسَ الْإِسْلَامَ بِمَا عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ فَرَّطُوا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، وَارْتَكَبُوا مَحَاذِيرَ عَظِيمَةً حَتَّىٰ كَأَنَّ الْعَائِشَ بَيْنَهُمْ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَعِيشُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَعِيشُ فِي جَوٍّ غَيْرِ إِسْلَامِيٍّ.

وَالدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ -بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ- مُتَضَمِّنٌ لِجَمِيعِ الْمَصَالِحِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا الْأَدْيَانُ السَّابِقَةُ مُتَمَيِّزٌ عَلَيْهَا بِكَوْنِهِ صَالِحًا لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأُمَّةٍ، وَمَعْنَىٰ كَوْنِهِ صَالِحًا لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأُمَّةٍ: أَنَّ التَّمَسُّكَ بِهِ لَا يُنَافِي مَصَالِحَ الْأُمَّةِ فِي أَيِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأُمَّةٍ، فَدِينُ الْإِسْلَامِ يَأْمُرُ بِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ وَيَنْهَىٰ عَنْ كُلِّ عَمَلٍ سَيِّءٍ، فَهُوَ يَأْمُرُ بِكُلِّ خُلُقٍ فَاضِلٍ، وَيَنْهَىٰ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ سَافِلٍ.

●●●

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَتَحْصُلُ بِدِرَاسَةِ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جَوَانِبِ حَيَاتِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وَلِهَذَا يَنْبَغِي لِكُلِّ إِنْسَانٍ يُرِيدُ أَنْ يَزْدَادَ مَعْرِفَةً بِنَبِيِّهِ وَإِيمَانًا بِهِ أَنْ يُطَالِعَ مِنْ سِيرَتِهِ مَا تَيَسَّرَ فِي حَرْبِهِ وَسِلْمِهِ، وَشِدَّتِهِ وَرَخَائِهِ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ.

* **قُلْتُ:** لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي نُقِلَ عَنْهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا مِنَ ابْنِ أُنْثَىٰ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ قَطُّ، نُقِلَ عَنْهُ كُلُّ شَيْءٍ، نُقِلَ عَنْهُ أَحْوَالُهُ وَأَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ وَحَرَكَتُهُ وَسُكُونُهُ فِي جَمِيعِ حَالَتِهِ وَأَحْوَالِهِ لَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ سِوَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَنَحْنُ نَتَحَدَّىٰ بِذَلِكَ جَمِيعَ الْخَلْقِ؛ فَنَقُولُ دُونَكُمْ سِيرَتَهُ وَحَيَاتَهُ، دُونَكُمْ أَحْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ وَأَقْوَالَهُ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ عَابٍ؟!

حَاشَىٰ وَكَلَّا!

هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا شَيْئًا يُعَابُ؟!

حَاشَىٰ وَكَلَّا!

وَهَذَا أَكْبَرُ الدَّلَالَاتِ عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَعَلَىٰ صِدْقِ نُبُوَّتِهِ ﷺ وَعَلَىٰ كَمَالِ أَخْلَاقِهِ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا وَصِدْقًا ﷺ.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ الْحَرِيصِ عَلَىٰ دِينِهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ مَا تَيَسَّرَ مِنْ سِيرَةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ ﷺ، بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا عَلَىٰ ذَلِكَ؛ إِنَّهُ وَلِيُّهُ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

●●●



مَعْنَى الرَّبِّ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّىٰ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ ....

* قُلْتُ: (الرَّبُّ)، هُوَ: الَّذِي يُرَبِّي جَمِيعَ عِبَادِهِ بِنِعَمِهِ وَيُغَذِّيهِمْ بِرِزْقِهِ؛ يَخْلُقُهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، يَخْلُقُهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ[1]؛ هُوَ الَّذِي يُرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَيَكْلَؤُهُمْ بِحِيَاطَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-[2]، فِي «تَفْسِيرِهِ»: «(الرَّبُّ): هُوَ (الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ)، وَيُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ أَيْضًا: عَلَىٰ (السَّيِّدِ)، وَعَلَىٰ (الْمُتَصَرِّفِ لِلْإِصْلَاحِ)، وَكُلُّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ.

(١) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» لِصَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الْفَوْزَانِ (ص٩٥ - ٩٦، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

(٢) هُوَ: الْإِمَامُ الْمُفْتِي الْمُحَدِّثُ الْحَافِظُ ذُو الْفَضَائِلِ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ ابْنِ كَثِيرِ بْنِ ضَوْءِ بْنِ كَثِيرٍ الْقَيْسِيُّ الْبَصْرَوِيُّ، صَاحِبُ «التَّفْسِيرِ»، ثِقَةٌ مُتْقِنٌ، مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، انْظُرْ: «الدُّرَرَ الْكَامِنَةَ» لِابْنِ حَجَرٍ (١/ ٤٤٥)، وَ«طَبَقَاتِ الْحُفَّاظِ» لِلسُّيُوطِيِّ (ص٥٣٤).

وَلَا يُسْتَعْمَلُ الرَّبُّ -بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ- لِغَيْرِ اللهِ، وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِ اللهِ بِالْإِضَافَةِ تَقُولُ: رَبُّ الدَّارِ، رَبُّ كَذَا، وَأَمَّا الرَّبُّ؛ فَلَا يُقَالُ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ؛ بَلْ قَدْ قِيلَ: إِنَّ الرَّبَّ هُوَ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ»[1].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **قَوْلُهُ: (مَنْ رَبُّكَ؟)**: أَيْ: مَنْ هُوَ رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَكَ، وَأَمَدَّكَ، وَأَعَدَّكَ، وَرَزَقَكَ؟

التَّرْبِيَةُ: هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الرِّعَايَةِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا تَقْوِيمُ الْمُرَبَّىٰ.

وَيُشْعِرُ كَلَامُ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الرَّبَّ مَأْخُوذٌ مِنَ التَّرْبِيَةِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّىٰ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ»، فَكُلُّ الْعَالَمِينَ قَدْ رَبَّاهُمُ اللهُ بِنِعَمِهِ وَأَعَدَّهُمْ لِمَا خُلِقُوا لَهُ، وَأَمَدَّهُمْ بِرِزْقِهِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي مُحَاوَرَةِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩-٥٠]، فَكُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ قَدْ رَبَّاهُ اللهُ ﷻ بِنِعَمِهِ.

وَنِعَمُ اللهِ ﷻ عَلَىٰ عِبَادِهِ كَثِيرَةٌ لَا يُمْكِنُ حَصْرُهَا، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، فَاللهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَكَ وَأَعَدَّكَ، وَأَمَدَّكَ وَرَزَقَكَ فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

●●●

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (١/ ١٣١، دَارُ طَيْبَةَ).

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، **وَكُلُّ مَا سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ** ....

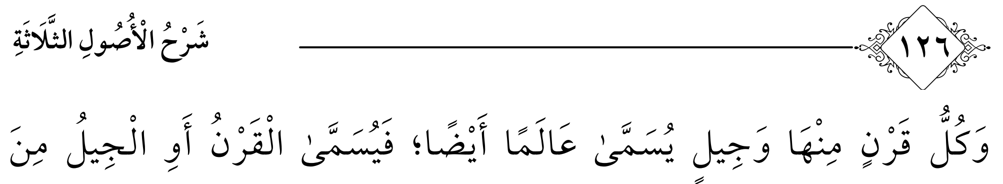
قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: وَهُوَ الَّذِي أَعْبُدُهُ وَأَتَذَلَّلُ لَهُ خُضُوعًا وَمَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، أَفْعَلُ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ، وَأَتْرُكُ مَا يَنْهَانِي عَنْهُ، فَلَيْسَ لِي أَحَدٌ أَعْبُدُهُ سِوَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

اسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ لِكَوْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُرَبِّيًا لِجَمِيعِ الْخَلْقِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، يَعْنِي: الْوَصْفَ بِالْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَالْعَظَمَةِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أَيْ: مُرَبِّيهِمْ بِالنِّعَمِ وَخَالِقِهِمْ وَمَالِكِهِمْ، وَالْمُدَبِّرِ لَهُمْ كَمَا شَاءَ عَزَّوَجَلَّ.

* **قُلْتُ:** الْعَالَمُ هُوَ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَىٰ اللهِ، وَالْعَالَمُ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَالْعَوَالِمُ أَصْنَافُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،



وَكُلُّ قَرْنٍ مِنْهَا وَجِيلٍ يُسَمَّىٰ عَالَمًا أَيْضًا؛ فَيُسَمَّىٰ الْقَرْنُ أَوِ الْجِيلُ مِنَ النَّاسِ عَالَمًا[١].

● ● ●

---

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (١/ ١٣١، دَارُ طَيْبَةَ).

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ، ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَالَمُ كُلُّ مَنْ سِوَىٰ اللهِ، وَسُمُّوا عَالَمًا؛ لِأَنَّهُمْ عَلَمٌ عَلَىٰ خَالِقِهِمْ وَمَالِكِهِمْ وَمُدَبِّرِهِمْ؛ فَفِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةٌ لِلَّهِ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدٌ.

وَأَنَا الْمُجِيبُ بِهَذَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ، وَإِذَا كَانَ رَبِّي وَجَبَ عَلَيَّ أَنْ أَعْبُدَهُ وَحْدَهُ.

◉ ◉ ◉

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ إِذَا قِيلَ لَكَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَرَفْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقُلْ: عَرَفْتُهُ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

الْآيَاتُ: جَمْعُ آيَةٍ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ عَلَىٰ الشَّيْءِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهِ وَتُبَيِّنُهُ.

وَآيَاتُ اللهِ تَعَالَىٰ نَوْعَانِ؛ كَوْنِيَّةٌ وَشَرْعِيَّةٌ:

فَالْكَوْنِيَّةُ، هِيَ: الْمَخْلُوقَاتُ.

وَالشَّرْعِيَّةُ، هِيَ: الْوَحْيُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ رُسُلِهِ، وَعَلَىٰ هَذَا يَكُونُ قَوْلُ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ «**بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ**»، مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَىٰ الْعَامِّ إِذَا فَسَّرْنَا الْآيَاتِ بِأَنَّهَا الْآيَاتُ الْكَوْنِيَّةُ وَالشَّرْعِيَّةُ.

وَعَلَىٰ كُلٍّ، فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُعْرَفُ بِآيَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ، وَهِيَ الْمَخْلُوقَاتُ الْعَظِيمَةُ وَمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبِ الصَّنْعَةِ وَبَالِغِ الْحِكْمَةِ، وَكَذَلِكَ يُعْرَفُ بِآيَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ، وَالِاشْتِمَالِ عَلَىٰ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعِ الْمَفَاسِدِ.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدُ

* **قُلْتُ:** وَآيَاتُ اللهِ نَوْعَانِ: شَرْعِيَّةٌ وَكَوْنِيَّةٌ.

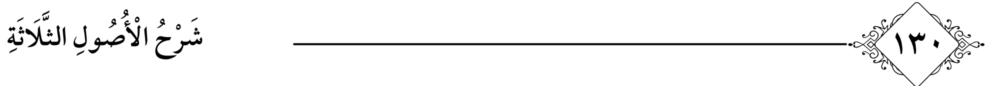
فَالشَّرْعِيَّةُ: الْوَحْيُ الْمَعْصُومُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ وَحْيٌ مُتَكَامِلٌ مُنْتَظِمٌ، لَا تَنَاقُضَ فِيهِ وَلَا اضْطِرَابَ: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢]؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةَ قَامَتْ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ كُلِّهَا؛ فَيُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِ الْخَلْقِ عَلَىٰ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْآيَاتِ: الْآيَاتُ الْكَوْنِيَّةُ؛ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ أَيْ إِذَا قِيلَ لَكَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَرَفْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَقُلْ: عَرَفْتُهُ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

فَإِذَا فَسَّرْتَ (**الْآيَاتِ**) بِأَنَّهَا الشَّرْعِيَّةُ وَالْكَوْنِيَّةُ مَعًا، ثُمَّ رَجَعْتَ فَقُلْتَ: (**وَمَخْلُوقَاتِهِ**)؛ فَيَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَىٰ الْعَامِّ؛ لِأَنَّ هَذَا قَدْ دَخَلَ فِيمَا سَبَقَهُ.

وَإِذَا خَصَّصْنَا (**الْآيَاتِ**) بِالْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فَقُلْ: (**بِآيَاتِهِ**)، إِنْ قَصَدْتَ الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةَ، ثُمَّ قُلْ: (**وَمَخْلُوقَاتِهِ**)، فَلَيْسَتِ الْمَخْلُوقَاتُ دَاخِلَةً فِي الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ أَيِ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ لَيْسَ مَخْلُوقًا، وَلَيْسَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَيَكُونُ هَذَا الْعَطْفُ حِينَئِذٍ إِنْ أَرَدْتَ بِالْآيَاتِ (**الشَّرْعِيَّةَ**) فَقَطْ؛ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْمُبَايِنِ الْمُغَايِرِ، بِمَعْنَىٰ أَنَّكَ عَطَفْتَ الْمَخْلُوقَ فِي قَوْلِكَ: (**وَمَخْلُوقَاتِهِ**) عَلَىٰ (**الْآيَاتِ**) وَهِيَ كَلَامُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَيْسَتْ بِمَخْلُوقَةٍ.

وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، فَتَعْرِفُ رَبَّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْآيَاتِ الْمَنْظُورَةِ فِي الْكَوْنِ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ هَذَا الْإِبْدَاعِ، وَهُوَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ



وَالْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَبِآيَاتِهِ الْمَسْطُورَةِ بِالنَّظَرِ فِي وَحْيِهِ الأَغَرِّ المَعْصُومِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ المَعْصُومُ ﷺ.

***

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهَا وَمَا بَيْنَهُمَا ....

---

* **قُلْتُ:** وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي تَعَاقُبِهِمَا وَاخْتِلَافِهِمَا فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِجَرَيَانِهِمَا بِاسْتِمْرَارٍ مُنْذُ خَلَقَهُمَا رَبُّنَا تَعَالَىٰ، وَبِانْتِظَامِهِمَا فِي تَسْيِيرِهِمَا، وَبِمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْعَظِيمَةِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي عُلُوِّهَا وَسَعَتِهَا، وَعِظَمِ خَلْقِهَا، وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ جَعَلَهَا اللهُ فِرَاشًا وَمِهَادًا، وَذَلَّلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِلْعِبَادِ، وَجَعَلَ فِيهِمَا سُبُلًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُلُّ هَذِهِ مِنْ آيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ كَمَالِ الْقُدْرَةِ، وَكَمَالِ الْحِكْمَةِ، وَكَمَالِ الرَّحْمَةِ.

فَالشَّمْسُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِكَوْنِهَا تَسِيرُ سَيْرًا مُنْتَظِمًا بَدِيعًا مُنْذُ خَلَقَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَىٰ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ تَعَالَىٰ بِخَرَابِ الْعَالَمِ، فَهِيَ تَسِيرُ لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، وَهِيَ مِنْ آيَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ بِحَجْمِهَا وَآثَارِهَا، أَمَّا حَجْمُهَا فَعَظِيمٌ كَبِيرٌ، وَأَمَّا آثَارُهَا فَمَا يَحْصُلُ مِنْهَا مِنَ الْمَنَافِعِ لِلْأَجْسَامِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَالْبِحَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ الشَّمْسِ، هَذِهِ الْآيَةُ الْعَظِيمَةُ مَا مَدَىٰ الْبُعْدِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا مَعَ ذَلِكَ فَإِنَّنَا نَجِدُ حَرَارَتَهَا هَذِهِ الْحَرَارَةَ الْعَظِيمَةَ، ثُمَّ انْظُرْ مَاذَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْإِضَاءَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا تَوْفِيرُ أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ عَلَىٰ النَّاسِ، فَإِنَّ النَّاسَ فِي النَّهَارِ يَسْتَغْنُونَ عَنْ كُلِّ إِضَاءَةٍ، وَيَحْصُلُ بِهَا مَصْلَحَةٌ كَبِيرَةٌ لِلنَّاسِ مِنْ تَوْفِيرِ أَمْوَالِهِمْ، وَيُعَدُّ هَذَا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي لَا نُدْرِكُ إِلَّا الْيَسِيرَ مِنْهَا.

كَذَلِكَ الْقَمَرُ مِنْ آيَاتِ اللهِ ﷻ، حَيْثُ قَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِكُلِّ لَيْلَةٍ مَنْزِلَةٌ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، فَهُوَ يَبْدُو صَغِيرًا ثُمَّ يَكْبُرُ رُوَيْدًا حَتَّىٰ يَكْمُلَ ثُمَّ يَعُودُ إِلَىٰ النَّقْصِ، وَهُوَ يُشْبِهُ الْإِنْسَانَ حَيْثُ إِنَّهُ يُخْلَقُ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَرَقَّىٰ مِنْ قُوَّةٍ إِلَىٰ قُوَّةٍ، حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَىٰ الضَّعْفِ مَرَّةً أُخْرَىٰ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

●●●

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] ....

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾... إلخ، أَيْ: مِنَ الْعَلَامَاتِ الْبَيِّنَةِ الْمُبَيِّنَةِ لِمَدْلُولِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي ذَاتِهِمَا وَاخْتِلَافِهِمَا، وَمَا أَوْدَعَ اللهُ فِيهِمَا مِنْ مَصَالِحِ الْعِبَادِ وَتَقَلُّبَاتِ أَحْوَالِهِمْ، وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي ذَاتِهِمَا وَسَيْرِهِمَا وَانْتِظَامِهِمَا، وَمَا يَحْصُلُ بِذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ الْعِبَادِ وَدَفْعِ مَضَارِّهِمْ.

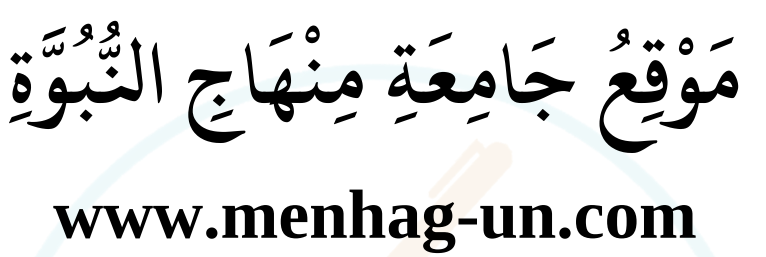
ثُمَّ نَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الْعِبَادَ أَنْ يَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ أَوِ الْقَمَرِ، وَإِنْ بَلَغَا مَبْلَغًا عَظِيمًا فِي نُفُوسِهِمْ؛ لِأَنَّهُمَا لَا يَسْتَحِقَّانِ الْعِبَادَةَ؛ لِكَوْنِهِمَا مَخْلُوقَيْنِ، وَإِنَّمَا الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ هُوَ اللهُ تَعَالَىٰ الَّذِي خَلَقَهُنَّ.

* **قُلْتُ:** وَمِنْ آيَاتِهِ وَمِنْ حُجَجِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَاخْتِلَافُهُمَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧]؛ فَإِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَإِنْ كَانَا مِنْ آيَاتِ اللهِ العَظِيمَةِ، وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ لَهُمَا؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَإِنْ جَرَيَا فِي الفَلَكِ لِمَنَافِعِكُمْ أَيُّهَا البَشَرُ؛

فَإِنَّهُمَا مُسَخَّرَانِ، لَا يَسْتَطِيعَانِ لَكُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَكِنْ: ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

◉ ◉ ◉





يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ



جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ....

---

* **قُلْتُ**: «يُورِدُ اللَّيْلَ عَلَىٰ النَّهَارِ؛ فَيُلْبِسُهُ إِيَّاهُ: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَيَتَغَشَّاهُ، وَيُلْبِسُهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ يَذْهَبُ ضَوْءُهُ ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أَيْ: سَرِيعًا»(١).

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾، أَيْ مُذَلَّلَاتٍ جَارِيَاتٍ فِي مَجَارِيهَا، بِتَسْخِيرِ اللهِ بَارِيهَا بِأَمْرِهِ؛ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ وَالْأَمْرُ الَّذِي لَا يُرَدُّ شَرْعًا وَقَدَرًا.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وَتَبَارَكَ فِعْلٌ خَاصٌّ بِاللهِ تَعَالَىٰ لَا يُطْلَقُ عَلَىٰ غَيْرِهِ، وَالْبَرَكَةُ كَثْرَةُ الْخَيْرِ وَنَمَاؤُهُ، وَبَرَكَاتُ اللهِ لَا تَتَنَاهَىٰ.

أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلَا يُقَالُ لَهُ: «تَبَارَكَ»، كَمَا يَصْنَعُ بَعْضُ الْجَهَلَةِ فِي تَسْمِيَةِ بَنَاتِهِمْ بِذَلِكَ؛ فَيُسَمِّي بِنْتَهُ: «تَبَارَك»، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ، إِنَّمَا يُقَالُ لَهَا: «مُبَارَكَةٌ»، وَيُقَالُ لِلذَّكَرِ: «مُبَارَكٌ»، يَعْنِي: بَارَكَ اللهُ فِيهِ، وَجَعَلَهُ مُبَارَكًا.

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (١٠/ ٢٤٦، دَارُ هَجَرَ).

وَلَا يُقَالُ لِلْعَبْدِ: «تَبَارَكْتَ»؛ فَهَذَا خَاصٌّ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَوْلُهُ) أَيْ: مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] الْآيَةَ، وَفِيهَا مِنْ آيَاتِ اللهِ:

أَوَّلًا: إِنَّ اللهَ خَلَقَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَلَوْ شَاءَ لَخَلَقَهَا بِلَحْظَةٍ، وَلَكِنَّهُ رَبَطَ الْمُسَبَّبَاتِ بِأَسْبَابِهَا، كَمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ.

ثَانِيًا: أَنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ، أَيْ: عَلَا عَلَيْهِ عُلُوًّا خَاصًّا بِهِ، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهَذَا عُنْوَانُ كَمَالِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ.

* **قُلْتُ**: (**الِاسْتِوَاءُ**) عُلُوٌّ خَاصٌّ عَلَىٰ الْعَرْشِ، الِاسْتِوَاءُ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ، وَالْعُلُوُّ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ ثَابِتَةٌ، الْعُلُوُّ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، وَأَمَّا الِاسْتِوَاءُ فَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ؛ فَهُوَ عُلُوٌّ خَاصٌّ عَلَىٰ الْعَرْشِ.

فَفِي الْآيَةِ: تَقْرِيرُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَهِيَ آيَةٌ مِنْ سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ؛ فِيهَا التَّصْرِيحُ بِاسْتِوَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **ثَالِثًا**: أَنَّهُ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ، أَنْ يَجْعَلَ اللَّيْلَ غِشَاءً لِلنَّهَارِ، أَيْ: غِطَاءً لَهُ فَهُوَ كَالثَّوْبِ يُسْدَلُ عَلَىٰ ضَوْءِ النَّهَارِ فَيُغَطِّيهِ.

رَابِعًا: أَنَّهُ جَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ، مُذَلَّلَاتٍ بِأَمْرِهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ يَأْمُرُهُنَّ بِمَا يَشَاءُ لِمَصْلَحَةِ الْعِبَادِ.

خَامِسًا: عُمُومُ مُلْكِهِ وَتَمَامُ سُلْطَانِهِ حَيْثُ كَانَ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ لَا لِغَيْرِهِ.

سَادِسًا: عُمُومُ رُبُوبِيَّتِهِ لِلْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ.

●●●



الرَّبُّ هُوَ المَعْبُودُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ، وَتَفْسِيرُهُ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١] ....

---

* **قُلْتُ:** (**الرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ**): أَيِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ أَوْ هُوَ الَّذِي يُعْبَدُ لِاسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ، وَلَيْسَ الْمَعْنَىٰ مَا يَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ مِنْ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمَعْبُودُ فَقَطْ؛ وَإِلَّا لَزِمَ مِنْهُ أَنَّ كُلَّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ رَبٌّ، وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَلَكِنْ يُرِيدُ الشَّيْخُ: (**الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ دُونَ سِوَاهُ هُوَ اللهُ**)؛ فَيَقُولُ: وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ دُونَ سِوَاهُ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ ذَكَرَ الْآيَاتِ بَعْدُ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُشِيرُ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (وَالدَّلِيلُ): أَيِ: الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: النِّدَاءُ مُوَجَّهٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ مِنْ بَنِي آدَمَ أَمَرَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا يَجْعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَحَقَّ الْعِبَادَةَ؛ لِكَوْنِهِ هُوَ الْخَالِقَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

* **قُلْتُ**: وَهَذَا أَوَّلُ نِدَاءٍ فِي الْمُصْحَفِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وَهُوَ خِطَابٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، وَالنَّاسُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مُؤْمِنُونَ، وَكَافِرُونَ، وَمُنَافِقُونَ، وَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَفَصَّلَ أَمْرَهُمْ فِي صَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ قَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، فَتَوَجَّهَ الْخِطَابُ لِجَمِيعِ النَّاسِ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ؛ أَمَرَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِطَاعَتِهِ: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، أَطِيعُوهُ بِالْإِيمَانِ وَالِامْتِثَالِ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، مَعَ الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ.

وَهَذِهِ هِيَ الْعِبَادَةُ؛ فَهِيَ طَاعَةُ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ، مَعَ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ وَكَمَالِ التَّعْظِيمِ، مَعَ كَمَالِ الْحُبِّ فِي كَمَالِ الذُّلِّ؛ طَاعَةُ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ فِي كَمَالِ حُبٍّ مَعَ تَمَامِ ذُلٍّ؛ فَهَذِهِ هِيَ الْعِبَادَةُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُصْرَفَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: **﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾**: هَذِهِ صِفَةٌ كَاشِفَةٌ تُعَلِّلُ مَا سَبَقَ أَيِ: اعْبُدُوهُ؛ لِأَنَّهُ رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْ أَجْلِ كَوْنِهِ الرَّبَّ الْخَالِقَ كَانَ لِزَامًا عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلِهَذَا نَقُولُ: يَلْزَمُ كُلَّ مَنْ أَقَرَّ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ، أَنْ يَعْبُدَهُ وَحْدَهُ، وَإِلَّا كَانَ مُتَنَاقِضًا.

* **قُلْتُ:** فَمِنْ أَجْلِ كَوْنِهِ الرَّبَّ الْخَالِقَ، كَانَ لِزَامًا عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ.

خَلَقَكَ وَأَنْشَأَكَ، وَبَرَاكَ وَأَوْجَدَكَ، أَوْجَدَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا، وَلَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مَذْكُورًا؛ فَخَلَقَهُ.

أَفَبَعْدَ أَنْ خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَأَعَدَّكَ وَأَمَدَّكَ تَكْفُرُ بِهِ وَتَعْبُدُ غَيْرَهُ؟!! هَذَا هُوَ الظُّلْمُ الْكَبِيرُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **قَوْلُهُ:** ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾: أَيْ: مِنْ أَجْلِ أَنْ تَحْصُلُوا عَلَى التَّقْوَى، وَالتَّقْوَى هِيَ: اتِّخَاذُ وِقَايَةٍ مِنْ عَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

●●●



قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: جَعَلَهَا فِرَاشًا وَمِهَادًا نَسْتَمْتِعُ فِيهَا مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا تَعَبٍ كَمَا يَنَامُ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾: أَيْ فَوْقَنَا؛ لِأَنَّ الْبِنَاءَ يَصِيرُ فَوْقَ السَّمَاءِ بِنَاءً لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَهِيَ سَقْفٌ مَحْفُوظٌ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

* **قُلْتُ:** كُلُّ مَا عَلَاكَ فَأَظَلَّكَ؛ فَهُوَ سَمَاءٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾: أَيْ: أَنْزَلَ مِنَ الْعُلُوِّ مِنَ السَّحَابِ مَاءً طَهُورًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

* **قُلْتُ:** ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، يَعْنِي مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَيْ: مِنَ السَّحَابِ أَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ.

الثَّمَرَاتُ: جَمْعُ ثَمَرَةٍ، وَالثَّمَرَةُ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ مِنْ حُبُوبٍ، وَمَا تُخْرِجُهُ الْأَشْجَارُ مِنَ الْفَوَاكِهِ، وَلَيْسَ مَا يَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ عَلَىٰ حَسَبِ الِاصْطِلَاحِ اللُّغَوِيِّ الشَّائِعِ، «**الثِّمَارُ**»، لَا بَلْ هِيَ أَعَمُّ ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾؛ لِأَنَّ ثَمَرَاتِ

يَتَصَوَّرُهَا الْإِنْسَانُ الْفَوَاكِهَ، وَالْفَوَاكِهُ رِزْقٌ خَاصٌّ يُتَفَكَّهُ بِهِ بَعْدَ الرِّزْقِ الرَّئِيسِ وَهُوَ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ مِنَ الْحَبِّ.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أَشْبَاهًا وَنُظَرَاءَ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: وَأَنْتُمْ تَعلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْدَادَ لَيسَتْ مُمَاثِلَةً لِلَّهِ تَعالَىٰ، وَلَا مُشَابِهَةً لَهُ.

جَمَعَتِ الْآيَةُ بَيْنَ الْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَالنَّهْيِ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ؛ فَأَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ثُمَّ ذَكَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النَّهْيَ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أَيْ: عَطَاءً لَكُمْ، وَفِي آيَةٍ أُخْرَىٰ: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣].

قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أَيْ: لَا تَجْعَلُوا لِهَذَا الَّذِي خَلَقَكُمْ -وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً، وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ- لَا تَجْعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا تَعْبُدُونَهَا كَمَا تَعْبُدُونَ اللهَ، أَوْ تُحِبُّونَهَا كَمَا تُحِبُّونَ اللهَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ لَائِقٍ بِكُمْ لَا عَقْلًا وَلَا شَرْعًا.

قَوْلُهُ: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أَيْ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا نِدَّ لَهُ، وَأَنَّهُ بِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالرِّزْقُ وَالتَّدْبِيرُ فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكًا فِي الْعِبَادَةِ.

⁂

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»[١] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ الْقُرَشِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، الْحَافِظُ الْمَشْهُورُ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ وَالتَّارِيخِ[٢]، مِنْ تَلَامِيذِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ[٣].



---

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (١/ ١٩٤، دار طيبة).

(٢) هُوَ كِتَابُ «الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» طُبِعَ فِي ٢١ مُجَلَّدًا، دَارُ هَجَرَ، عَلَىٰ نَسَقِ الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ انْتَهَىٰ فِيهِ إِلَىٰ حَوَادِثِ سَنَةِ ٧٦٧هـ.

(٣) انْظُرْ: «الدُّرَرُ الْكَامِنَةُ» لِابْنِ حَجَرٍ (١/ ٤٤٥)، وَ«طَبَقَاتُ الْحُفَّاظِ» لِلسِّيُوطِيِّ (ص٥٣٣، ط الْعِلْمِيَّةُ)، وَ«الْأَعْلَامُ» لِلزِّرِكْلِيِّ (١/ ٣٢٠).

أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، ....

---

* **قُلْتُ:** قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: (**وَمِنْهُ الدُّعَاءُ**)، الصَّوَابُ عَلَىٰ حَسَبِ الْعُرْفِ اللُّغَوِيِّ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ: (وَمِنْهَا)؛ وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، وَمِنْهَا -أَيْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ-: الدُّعَاءُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا بَيَّنَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَيَّنَ فِيمَا يَأْتِي شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مِثْلَ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ.

وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ هِيَ الدِّينُ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1]، مِنْ حَدِيثِ: عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ١: ١، رَقْمُ ٨).

«بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟

قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟

قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**».

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هِيَ الدِّينَ، وَذَلِكَ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلدِّينِ كُلِّهِ.

***



قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلِّهَا للهِ تَعَالَىٰ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: كُلُّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مِمَّا ذَكَرَ وَغَيْرُهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا يَحِلُّ صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- جُمْلَةً مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَذَكَرَ أَنَّ مَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

* **قُلْتُ:** مَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُصَنِّفُ مِثْلَ: أَنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْغَائِبِينَ، أَوْ رَجَاهُمْ، أَوْ خَافَهُمْ، أَوْ سَأَلَهُمْ قَضَاءَ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجَ الْكُرُبَاتِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ؛ لِأَنَّهُ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَكَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ جَحَدَ حَقًّا لِلَّهِ فَصَرَفَهُ لِغَيْرِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ الْأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخبرَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ -وَهِيَ مَوَاضِعُ السُّجُودِ أَوْ أَعْضَاءُ السُّجُودِ- لِلَّهِ، وَرَتَّبَ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ أَيْ: لَا تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ فَتَسْجُدُوا لَهُ.

* **قُلْتُ:** ﴿ٱلْمَسَٰجِدَ﴾: يُمْكِنُ أَنْ تُصرَّفَ لُغَةً لِمَوَاضِعِ السُّجُودِ؛ فَالْجَبْهَةُ مَسْجِدُ الْإِنْسَانِ لِرَبِّهِ، يَعْنِي الْمَوْضِعَ الَّذِي يَسْجُدُ بِهِ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَكَذَلِكَ يَدَاهُ وَرُكْبَتَاهُ، وَرِجْلَاهُ، يَعْنِي أَعْنِي قَدَمَيْهِ، فَكُلُّ ذَلِكَ هِيَ مَوَاضِعُ أَوْ أَعْضَاءُ السُّجُودِ.

وَكَذَلِكَ مَوَاضِعُ السُّجُودِ وَهِيَ: الْمَسَاجِدُ الْمَعْرُوفَةُ فِي الِاصْطِلَاحِ مَا اتُّخِذَ مُحَجَّرًا عَلَىٰ أَنْ يُعْبَدَ فِيهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُصَلَّىٰ فِيهِ للهِ عَزَّوَجَلَّ، بِمَعْنَىٰ الْمَسْجِدِ فِيهِ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ؛ فَسَوَاءٌ هَذَا وَهَذَا مَوَاضِعُ السُّجُودِ، أَوْ أَعْضَاءُ السُّجُودِ؛ هَذِهِ للهِ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بَيَّنَ أَنَّ مَنْ يَدْعُو مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَإِنَّهُ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾: صِفَةٌ كَاشِفَةٌ مُبَيِّنَةٌ لِلْأَمْرِ، وَلَيْسَتْ صِفَةً مُقَيِّدَةً، تُخْرِجُ مَا فِيهِ بُرْهَانٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بُرْهَانٌ عَلَىٰ أَنَّ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ.

* **قُلْتُ:** قَالَ الشَّيْخُ: وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]؛ فَنَفَىٰ الْفَلَاحَ، وَنَفْيُ الْفَلَاحِ يَدُلُّ عَلَىٰ هَلَاكِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾؛ الْبُرْهَانُ بِالْمَعْنَىٰ الْأَخَصِّ لَا بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ، هُوَ: الدَّلِيلُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ فِي الْحَقِّ لَبْسًا، وَهُوَ أَخَصُّ مِنَ الدَّلِيلِ؛ لِأَنَّ الدَّلِيلَ قَدْ

يَكُونُ قَطْعِيًّا، وَقَدْ يَكُونُ ظَنِّيًّا، وَأَمَّا الْبُرْهَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا قَطْعِيًّا.

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: فَإِذَا عَبَدَ إِلَهًا آخَرَ لَهُ بِهِ بُرْهَانٌ؛ فَحِينَئِذٍ يُؤْذَنُ لَهُ، وَيُسْمَحُ بِأَنْ يَعْبُدَهُ؟!!

فَيُقَالُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ**﴾، صِفَةٌ كَاشِفَةٌ.

فَهَذَا الْوَصْفُ: ﴿**لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ**﴾، جَاءَ لِمُوَافَقَةِ الْوَاقِعِ، لَا لِإِخْرَاجِ الْمَفْهُومِ عَنْ حُكْمِ الْمَنْطُوقِ، جَاءَ هَذَا لِمُوَافَقَةِ الْوَاقِعِ لَا لِإِخْرَاجِ الْمَفْهُومِ عَنْ حُكْمِ الْمَنْطُوقِ بِحَيْثُ يُقَالُ: مَنْ عَبَدَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَلَهُ بُرْهَانٌ؛ فَلَا مَانِعَ.

وَمَعْنَىٰ مُوَافَقَةِ الْوَاقِعِ: أَنَّهُ وَصْفٌ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ؛ لِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ بِلَا بُرْهَانٍ.

وَقَالَ لَهُمْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ**﴾، وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا آخَرَ لَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْآخَرِ بُرْهَانٌ!! فَلَيْسَ هُنَالِكَ مُسْتَحِقٌّ لِلْعِبَادَةِ سِوَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَهَذِهِ يُقَالُ لَهَا: (صِفَةٌ كَاشِفَةٌ).

فَتَأَمَّلْ فِي هَذَا، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ: (الصِّفَةُ الْكَاشِفَةُ)، هَذِهِ هُنَا كَمَا رَأَيْتَ جَاءَتْ لِمُوَافَقَةِ الْوَاقِعِ لَا لِإِخْرَاجِ الْمَفْهُومِ عَنْ حُكْمِ الْمَنْطُوقِ.

⊙⊙⊙

النَّوْعُ الأَوَّلُ: الدُّعَاءُ وَأَنْوَاعُهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] ....

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا شُرُوعٌ مِنَ الْمُؤَلِّفِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي أَدِلَّةِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي قَوْلِهِ: «وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ وَمِنْهُ الدُّعَاءُ.. »، إلخ، فَبدَأَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِذِكْرِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ الدُّعَاءِ، وَسَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ- تَفْصِيلُ أَدِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ.

* **قُلْتُ**: وَكَذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُلْقُونَ الْكَلَامَ عَلَىٰ عَوَاهِنِهِ، وَإِنَّمَا يَذْكُرُونَ الشَّيْءَ وَيُتْبِعُونَهُ دَلِيلَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَا يُرْوَىٰ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»[١].

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الدَّعَوَاتِ، ١: ٢، رَقْمُ ٣٣٧١)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، =

* **قُلْتُ**: وَهَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَيُغْنِي عَنْهُ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ صِيَاغَةً؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ الرَّسُولُ ﷺ، قَوْلُهُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١)، هَذَا صَحِيحٌ، وَفِي الصَّحِيحِ غُنْيَةٌ.

وَهَذَا حَدِيثٌ مَشْهُورٌ عَلَىٰ الْأَلْسِنَةِ؛ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَالصَّحِيحُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»، وَالْإِتْيَانُ بِضَمِيرِ الرَّفْعِ الظَّاهِرِ الْمُنْفَصِلِ الْبَارِزِ هَكَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ الِاخْتِصَاصِ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ تَعْرِيفُ طَرَفِي الْجُمْلَةِ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»، وَهَذَا لِأَنَّهُ كَلَامُ الرَّسُولِ ﷺ أَبْلَغُ، وَهُوَ مُغْنٍ عَنِ الضَّعِيفِ.

وَأَيْضًا، مِنَ الْمَشْهُورِ مَا هُوَ شَائِعٌ ذَائِعٌ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَنَّ: «**الْجَنَّةَ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ**»(٢)، ....

=

وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٢٢٣١).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الصَّلَاةِ، ٣٥٦: ١، رَقْمُ ١٤٧٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الدُّعَاءِ، ١: ٣، رَقْمُ ٣٣٧٢)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الدُّعَاءِ، ١: ٢، رَقْمُ ٣٨٢٨)، مِنْ حَدِيثِ: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٥/ رَقْمُ ١٣٢٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الدُّولَابِيُّ فِي «الْكُنَىٰ» (٣/ ١٠٩١، رَقْمُ ١٩١١)، وَأَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «الْفَوَائِدِ» (رَقْمُ ٢٥، دَارُ الصُّمَيْعِيِّ - الرِّيَاضُ)، وَفِي «طَبَقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ» (٣/ ٥٦٨، تَرْجَمَةٌ ٤٩٧)، وَأَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٧/ ٢٧٢، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ)، وَالْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشِّهَابِ» (رَقْمُ ١١٩)، وَالْخَطِيبُ فِي «الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي» (٢/ رَقْمُ ١٧٠٢)، مِنْ طَرِيقِ: مَنْصُورِ بْنِ الْمُهَاجِرِ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ الْأَبَّارِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:...

=

فَهَذَا ضَعِيفٌ أَيْضًا غَيْرُ ثَابِتٍ، وَيُغْنِي عَنْهُ: «**الْزَمْهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا**»(١)، فَهَذَا هُوَ الثَّابِتُ الصَّحِيحُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاسْتَدَلَّ كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

* **قُلْتُ**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾، يَعْنِي: أَخْلِصُوا لِي الْعِبَادَةَ وَوَحِّدُونِي، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: أُجِبْ دُعَاءَكُمْ، وَأَعْفُ عَنْكُمْ، وَأُسَدِّدْكُمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: يَتَعَظَّمُونَ عَنْ إِفْرَادِي بِالْعِبَادَةِ، وَيَسْتَنْكِفُونَ عَنْ ذَلِكَ، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، يَعْنِي: أَذِلَّةً صَاغِرِينَ(٢).

=

الْحَدِيثَ، قَالَ الدُّولَابِيُّ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ كُنْيَتُهُ أَبُو النَّضْرِ الْأَبَّارُ».

وَالْحَدِيثُ ضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الضَّعِيفَةِ» (٥٩٣)، وَفِي «ضَعِيفِ الْجَامِعِ» (٢٦٦٦).

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَىٰ» فِي (الْجِهَادِ، ٦، رَقْمُ ٣١٠٤)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْجِهَادِ، ١٢: ٢، رَقْمُ ٢٧٨١)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ، أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا**»، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٥/ ٢١، رَقْمُ ١١٩٩)، وَفِي «الضَّعِيفَةِ» (٥٩٣).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٠/ ٣٥١ - ٣٥٤، دَارُ هَجَرَ).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَدَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا صَحَّ أَنْ يُقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

* **قُلْتُ**: وَقَدْ أَمَرَ بِدُعَائِهِ تَعَالَىٰ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الَّذِي لَا يَدْعُونِي، وَيَسْتَكْبِرُ عَنْ ذَلِكَ هُوَ مُسْتَكْبِرٌ عَنْ عِبَادَتِي؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ مِنَ الْعِبَادَةِ.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، يَعْنِي عَنْ دُعَائِي وَهُوَ مِنْ عِبَادَتِي؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، بَلْ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، سَوَاءٌ كَانَ الْمَدْعُوُّ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا.

وَمَنْ دَعَا حَيًّا بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: يَا فُلَانُ أَطْعِمْنِي، يَا فُلَانُ اسْقِنِي، فَلَا شَيْءَ فِيهِ.

وَمَنْ دَعَا مَيِّتًا أَوْ غَائِبًا بِمِثْلِ هَذَا، فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ أَوِ الْغَائِبَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِمِثْلِ هَذَا، فَدُعَاؤُهُ إِيَّاهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ لَهُ تَصَرُّفًا فِي الْكَوْنِ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ مُشْرِكًا.

* **قُلْتُ**: يَعْنِي مَنْ دَعَا مَيِّتًا؛ فَقَالَ: اسْقِنِي، لَوْ دَعَا حَاضِرًا عَلَىٰ ذَلِكَ قَادِرٌ، يَعْنِي وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: اسْقِنِي؛ فَهَذَا لَا شَيْءَ فِيهِ، وَلَكِنْ لَوْ دَعَا مَيِّتًا؛

فقَالَ: اسْقِنِي، فَإِنَّهُ لَا يَدْعُوهُ إِلَّا إِذَا اعْتَقَدَ فِيهِ تَصَرُّفًا، وَكَذَلِكَ إِذَا دَعَا غَائِبًا غَيْرَ حَاضِرٍ، وَقَالَ: يَا فُلَانُ اسْقِنِي، وَلَوْ كَانَ حَيًّا، وَلَكِنَّهُ غَائِبٌ، هَذَا يَكُونُ أَيْضًا شِرْكًا أَكْبَرَ، فَتَأَمَّلْ هَذَا التَّفْصِيلَ.

يُقَالُ لَكَ: دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شِرْكٌ وَكُفْرٌ؟!

تَقُولُ: لَيْسَ عَلَىٰ إِطْلَاقِ هَذَا؛ **فِيهِ تَفْصِيلٌ:**

دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِبَادَةٌ لِهَذَا الْمَدْعُوِّ مِنْ دُونِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شِرْكٌ وَكُفْرٌ.

وَأَمَّا إِذَا مَا سُئِلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَكَانَ حَيًّا حَاضِرًا غَيْرَ غَائِبٍ قَادِرًا عَلَىٰ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا لَا شَيْءَ فِيهِ.

فَفِيهِ تَفْصِيلٌ، فَتَأَمَّلْهُ كَمَا سَيَأْتِي فِي التَّفْصِيلِ فِي الِاسْتِعَاذَةِ، وَكَذَلِكَ فِي الِاسْتِعَانَةِ، وَكَذَلِكَ فِي الِاسْتِغَاثَةِ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ فِيهِ تَفْصِيلٌ.

كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَنِّتِينَ إِذَا قُلْتَ: فِيهِ تَفْصِيلٌ، يَقُولُ: هَذَا لَا يَفْهَمُ التَّوْحِيدَ، وَسَتَرَىٰ أَنَّ الْأَئِمَّةَ أَئِمَّةَ هَذَا الْعَصْرِ مِمَّنْ لَهُمْ فِي التَّوْحِيدِ قَدَمُ الصِّدْقِ يَأْتُونَ بِهَذَا التَّفْصِيلِ كَمَا تَرَىٰ.

وَسَيَأْتِي عَلَىٰ نَحْوٍ هُوَ أَوْضَحُ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي الِاسْتِعَانَةِ، وَفِي الِاسْتِعَاذَةِ، وَفِي الِاسْتِغَاثَةِ؛ كَمَا سَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّعَاءَ نَوْعَانِ: دُعَاءُ مَسْأَلَةٍ، وَدُعَاءُ عِبَادَةٍ.

* **قُلْتُ**: **دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ، وَهُوَ**: دُعَاؤُهُ سُبْحَانَهُ بِجَلْبِ الْمَنْفَعَةِ، وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ.

وَدُعَاءُ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ: دُعَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فَدُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ: هُوَ دُعَاءُ الطَّلَبِ، أَيْ: طَلَبُ الْحَاجَاتِ، وَهُوَ عِبَادَةٌ إِذَا كَانَ مِنَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ الِافْتِقَارَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاللُّجُوءَ إِلَيْهِ، وَاعْتِقَادَ أَنَّهُ قَادِرٌ كَرِيمٌ وَاسِعُ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ.

وَيَجُوزُ إِذَا صَدَرَ مِنَ الْعَبْدِ لِمِثْلِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ إِذَا كَانَ الْمَدْعُوُّ يَعْقِلُ الدُّعَاءَ وَيَقْدِرُ عَلَىٰ الْإِجَابَةِ، كَمَا سَبَقَ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ: يَا فُلَانُ أَطْعِمْنِي.

* **قُلْتُ**: دُعَاءُ الْحَيِّ الْحَاضِرِ الْقَادِرِ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ فِي الشَّيْءِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ، لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا يُعْتَبَرُ دَاخِلًا فِي الشِّرْكِ؛ فَلَوْ قُلْتَ لِأَخِيكَ الْحَاضِرِ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَعِنِّي عَلَىٰ قَطْعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ مَيِّتًا أَوْ إِذَا كَانَ غَائِبًا أَوْ إِذَا طَلَبَ مِنَ الْحَيِّ الْحَاضِرِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ؛ فَهَذَا كُلُّهُ شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ لَهُ تَصَرُّفًا فِي الْكَوْنِ؛ فَيَكُونُ بِذَلِكَ مُشْرِكًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا دُعَاءُ الْعِبَادَةِ: فَأَنْ يَتَعَبَّدَ بِهِ لِلْمَدْعُوِّ؛ طَلَبًا لِثَوَابِهِ وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ لِغَيْرِ اللهِ، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ

مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَعَلَيْهِ يَقَعُ الْوَعِيدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

* **قُلْتُ:** فَالَّذِي فِيهِ التَّفْصِيلُ كَمَا مَرَّ إِنَّمَا هُوَ **دُعَاءُ** الْمَسْأَلَةِ.

● ● ●

النَّوْعُ الثَّانِي: الْخَوْفُ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ....

* قُلْتُ: الْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَخَفْ مِنَ اللهِ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ طَالِبًا مَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ، -وَهُوَ يَطْلُبُ مَا لَا يَحْصُلُ لَهُ وَلَمْ يُحَصِّلْهُ، وَلَا يَخَافُ رَبَّهُ فِي طَلَبِهِ، وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ-؛ هَذَا تَبْقَىٰ نَفْسُهُ طَالِبَةً لِمَا تَسْتَرِيحُ بِهِ، وَتَدْفَعُ بِهِ الْغَمَّ وَالْحُزْنَ عَنْهَا وَلَيْسَ عِنْدَهَا مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ مَا تَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ وَبِهِ؛ فَيَسْتَرِيحُ إِلَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ حِينَئِذٍ مِنْ فِعْلِ الْفَوَاحِشِ وَشُرْبِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُغْضِبُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا[1].

فَالْخَوْفُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْجَلِيلَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخَوْفُ، هُوَ: الذُّعْرُ، وَهُوَ: انْفِعَالٌ يَحْصُلُ بِتَوَقُّعِ مَا فِيهِ هَلَاكٌ أَوْ ضَرَرٌ أَوْ أَذًىٰ، وَقَدْ نَهَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْ خَوْفِ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَأَمَرَ بِخَوْفِهِ وَحْدَهُ.

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (١/ ٥٤ - ٥٥).

وَالْخَوْفُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: خَوْفٌ طَبِيعِيٌّ، كَخَوْفِ الْإِنْسَانِ مِنَ السَّبُعِ وَالنَّارِ وَالْغَرَقِ، وَهَذَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ، عَنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨].

لَكِنْ إِذَا كَانَ هَذَا الْخَوْفُ كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سَببًا لِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ كَانَ حَرَامًا؛ لِأَنَّ مَا كَانَ سَبَبًا لِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ فَهُوَ حَرَامٌ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

* **قُلْتُ:** ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] يَعْنِي: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ، يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ، يُخَوِّفُكُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَيُعَظِّمُهُمْ فِي صُدُورِكُمْ، وَيُكَبِّرُهُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ.

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّ الْخَوْفَ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الْإِيمَانِ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ فَأَتَىٰ بِهَذَا الشَّرْطِ؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ نَفْيَ هَذَا الْخَوْفِ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الْإِيمَانِ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْخَوْفُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ يَكُونُ مَحْمُودًا، وَيَكُونُ غَيْرَ مَحْمُودٍ.

فَالْمَحْمُودُ: مَا كَانَتْ غَايَتُهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَةِ اللهِ، بِحَيْثُ يَحْمِلُكَ عَلَىٰ فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَإِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ الْغَايَةُ سَكَنَ الْقَلْبُ وَاطْمَأَنَّ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْفَرَحُ بِنِعْمَةِ اللهِ، وَالرَّجَاءُ لِثَوَابِهِ.

وَغيرُ الْمَحْمُودِ: مَا يَحمِلُ العَبْدَ عَلَىٰ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالْقُنُوطِ، وَحِينَئِذٍ يَتَحَسَّرُ الْعَبْدُ وَيَنكَمِشُ، وَرُبَّمَا يَتَمَادَىٰ فِي الْمَعْصِيَةِ لِقُوَّةِ يَأْسِهِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: خَوْفُ العِبَادَةِ؛ أَنْ يَخَافَ أَحَدًا يَتَعَبَّدُ بِالْخَوْفِ لَهُ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ شِرْكٌ أَكْبَرُ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: خَوْفُ السِّرِّ؛ كَأَنْ يَخَافَ صَاحِبَ الْقَبْرِ، أَوْ وَلِيًّا بَعِيدًا عَنْهُ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، لَكِنَّهُ يَخَافُهُ مَخَافَةَ سِرٍّ؛ فَهَذَا أَيْضًا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِنَ الشِّرْكِ.

* **قُلْتُ**: هَذَا شَائِعٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَمَا يَخْلُو بِنَفْسِهِ، يَجْتَرِئُ عَلَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ لَا يُبَالِي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ إِنْ كَانَ عِنْدَ قَبْرٍ فَإِنَّهُ يَخْشَىٰ صَاحِبَ الْقَبْرِ؛ لِأَنَّهُ يَطَّلِعُ عَلَىٰ سِرِّهِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَمُرُّ عَلَىٰ بَعْضِ الْخَلْقِ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيهِمُ الْوِلَايَةَ - وَآيَاتُ الْوِلَايَةِ عِنْدَهُ أَنْ يَكُونَ الْوَلِيُّ الَّذِي يَعْتَقِدُهُ مُحْدِثًا عَلَىٰ نَفْسِهِ! قَدْ سَالَ مُخَاطُهُ عَلَىٰ صَدْرِهِ، وَتَنَاثَرَ الْقُمَّلُ عَلَىٰ ثِيَابِهِ!! وَتَرَكَ الصَّلَوَاتِ، وَأَفْطَرَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ!! وَأَتَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ!! فَيَعْتَقِدُ فِيهِ الْوِلَايَةَ بِعَلَامَاتِهَا هَذِهِ عِنْدَهُ إِذَا مَرَّ بِهِ وَكَانَ قَدِ ارْتَكَبَ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْمَعَاصِي؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ سِرِّهِ، وَيَخْشَىٰ أَنْ يَفْضَحَهُ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَهَذَا خَوْفُ السِّرِّ.

يَقُولُ: فُلَانٌ وَتِدُ هَذَا الْمَكَانِ، وَهَؤُلَاءِ الْأَوْتَادِ يَنبَغِي أَنْ نَتَأَدَّبَ فِي حَضْرَاتِهِمْ؛ فَيَخَافُهُ خَوْفَ سِرٍّ، يَخَافُهُ مَا لَا يَخَافُ الرَّبَّ مِثْلَهُ ﷻ، هَذَا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الشَّارِحُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- مِنْ أَنْوَاعِ الْخَوْفِ.

هُنَاكَ نَوْعٌ رَابِعٌ: وَهُوَ: أَنْ يَتْرُكَ الْإِنْسَانُ مَا يُحِبُّ خَوْفًا مِنَ النَّاسِ؛ كَأَنْ يَتْرُكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ خَوْفًا مِنَ النَّاسِ؛ هَذَا خَوْفٌ مُحَرَّمٌ مَذْمُومٌ.

وَهُنَالِكَ نَوْعٌ خَامِسٌ -أَيْضًا-؛ هُوَ: الْخَوْفُ الْوَهْمِيُّ[(١)].

الْخَوْفُ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ:

خَوْفُ عِبَادَةٍ: أَنْ يَخَافَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

الثَّانِي: خَوْفٌ هُوَ الشِّرْكُ: وَهُوَ أَنْ يَخَافَ الْعَبْدَ؛ كَأَنْ يَخَافَ الْجِنِّيَّ أَوِ الْمَيِّتَ؛ كَخَوْفِهِ مِنَ اللهِ أَوْ أَشَدَّ.

الثَّالِثُ: الْخَوْفُ الَّذِي هُوَ مَعْصِيَةٌ، وَهُوَ أَنْ يَخَافَ الْإِنْسَانُ مِنْ إِنْسَانٍ غَيْرِهِ حَتَّىٰ يَتْرُكَ الْوَاجِبَ أَوْ يَرْتَكِبَ الْمُحَرَّمَ؛ خَوْفًا مِنْهُ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَىٰ حَدِّ الْإِكْرَاهِ، وَهَذَا قَيْدٌ مُهِمٌّ هَاهُنَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ أُكْرِهَ؛ فَفَعَلَ؛ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، فَهَذَا الْخَوْفُ مَعْصِيَةٌ.

وَالرَّابِعُ: الطَّبْعِيُّ، مِنَ الْحَيَّةِ وَالسَّبُعِ وَالنَّارِ وَالْغَرَقِ.

وَالْخَامِسُ: الْوَهْمِيُّ، وَهُوَ: مَا لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ أَصْلًا، أَوْ لَهُ سَبَبٌ ضَعِيفٌ؛ فَهَذَا خَوَرٌ وَجُبْنٌ.

◉◉◉

---

(١) «الْقَوْلُ السَّدِيدُ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ - بَابُ: إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ» لِلسَّعْدِيِّ (ص١٣٢، ط الْوَزَارَةِ).

النَّوْعُ الثَّالِثُ: الرَّجَاءُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ؛ قَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرَّجَاءُ طَمَعُ الْإِنْسَانِ فِي أَمْرٍ قَرِيبِ الْمَنَالِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْحَقِيقَةِ بَعِيدَ الْمَنَالِ تَنْزِيلًا لَهُ مَنْزِلَةَ الْقَرِيبِ.

وَالرَّجَاءُ الْمُتَضَمِّنُ لِلذُّلِّ وَالْخُضُوعِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ شِرْكٌ إِمَّا أَصْغَرُ، وَإِمَّا أَكْبَرُ بِحَسَبِ مَا يَقُومُ بِقَلْبِ الرَّاجِي.

* **قُلْتُ:** وَهَذَا تَفْصِيلٌ مُهِمٌّ أَيْضًا.

وَفِي هَذِهِ الْأُمُورِ يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَقِّيًا؛ لِأَنَّكَ إِنْ حَكَمْتَ عَلَىٰ خَلْقِ اللهِ؛ فَيَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا وَعَادِلًا؛ فَالْحُكْمُ عَلَىٰ النَّاسِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، لَا يَكُونُ بِالْجَهْلِ، وَلَا بِالظُّلْمِ.

إِذَا حَكَمْتَ عَلَىٰ خَلْقِ اللهِ -وَخَاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقَائِدِ- فَيَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا بِمَا تَحْكُمُ بِهِ وَفِيهِ، وَأَنْ تَكُونَ مُتَوَرِّعًا، وَأَنْ تَكُونَ عَادِلًا، وَأَمَّا الَّذِي

يَحْكُمُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ بِالظُّلْمِ وَالْجَهْلِ؛ فَهُوَ عَلَىٰ شَفَا هُلْكٍ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُكَفِّرُ مُسْلِمًا، وَقَدْ يُبَدِّعُهُ وَهُوَ لَا يَسْتَحِقُّ لَا التَّكْفِيرَ وَلَا التَّبْدِيعَ وَلَا التَّفْسِيقَ؛ فَيَنبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَوَقِّيًا، وَيَعْرِفَ هَذِهِ التَّفْصِيلَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّجَاءَ الْمَحْمُودَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ وَرَجَا ثَوَابَهَا، أَوْ تَابَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَرَجَا قَبُولَ تَوْبَتِهِ، فَأَمَّا الرَّجَاءُ بِلَا عَمَلٍ فَهُوَ غُرُورٌ وَتَمَنٍّ مَذْمُومٌ.

* **قُلْتُ**: فَرْقٌ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي وَالْغُرُورِ، هَذِهِ تَفْصِيلَاتٌ مُهِمَّةٌ أَيْضًا؛ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعرِفَهَا.

الْخَشْيَةُ وَالْخَوْفُ هَلْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ؟

الْخَشْيَةُ بِمَعْنَىٰ الْخَوْفِ، وَلَكِنَّ الْخَشْيَةَ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ؛ لِأَنَّ الْخَشْيَةَ مَقْرُونَةٌ بِمَعْرِفَةِ اللهِ؛ فَهِيَ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ، فَالْخَشْيَةُ خَوْفٌ خَاصٌّ؛ أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَبَّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]؟!

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]؛ فَالْخَشْيَةُ خَوْفٌ، وَلَكِنَّهَا خَوْفٌ مَخْصُوصٌ.

الرَّجَاءُ بِلَا عَمَلٍ هُوَ غُرُورٌ، وَهُوَ تَمَنٍّ وَهُوَ مَذْمُومٌ.

«وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي: أَنَّ الرَّجَاءَ يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ، وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

وَأَمَّا التَّمَنِّي، فَيَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ»[(١)].

وَالَّذِي يَقُولُ لَكَ أَنَا عِنْدِي رَجَاءٌ فِي رَحْمَةِ اللهِ، وَأَنَا أَرْجُو رَبِّي، وَلَا يَعْمَلُ، لَا يُصَلِّي، لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ، لَا يَنْكَفُّ عَنِ الشَّرِّ، وَيَقُولُ: أَنَا أَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، مَعَ تَرْكِ الْعَمَلِ هَذَا تَمَنٍّ، وَهَذَا غُرُورٌ.

وَأَمَّا مَعَ الْعَمَلِ فَهُوَ رَجَاءٌ؛ فَيَتُوبُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَيَرْجُو قَبُولَ التَّوْبَةِ، يَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، يَعْمَلُ الطَّاعَةَ، وَيَرْجُو الثَّوَابَ مِنَ اللهِ؛ فَهَذَا عَامِلٌ، وَيَرْجُو الْعَطَاءَ مِنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

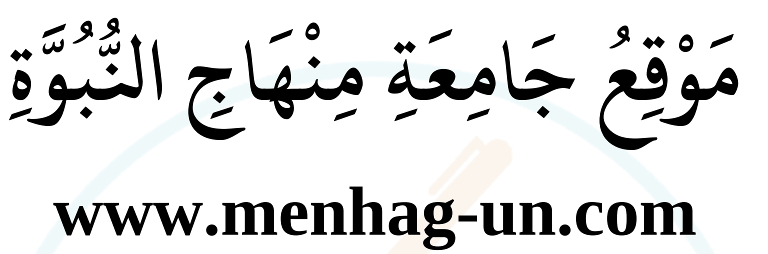
وَأَمَّا الَّذِي يَنْكَفُّ عَنِ الْعَمَلِ أَوْ يَأْتِي بِالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا رَاجٍ رَحْمَةَ اللهِ، فَهَذَا مُتَمَنٍّ، وَهَذَا مَغْرُورٌ.

●●●

---

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (٢/ ٣٧، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتُ)، وَ«الرُّوحُ» (ص٢٤٥، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ).


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةَ السَّادِسَةَ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

النَّوْعُ الرَّابِعُ: التَّوَكُّلُ وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، **وَقَالَ:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: التَّوَكُّلُ عَلَىٰ الشَّيْءِ: الِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ.

وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ: الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ كِفَايَةً وَحَسَبًا فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

* **قُلْتُ:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾، لَا عَلَىٰ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ كَمَا تَرَىٰ قَدْ قَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ، كَمَا تَقُولُ فِي التَّقْدِيرِ: بِسْمِ اللهِ أَقْرَأُ، فَتُقَدِّرُ مَحْذُوفًا فِعْلًا؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي ذَلِكَ الْأَفْعَالُ لَا الْأَسْمَاءُ، وَتُقَدِّرُهُ خَاصًّا عَلَىٰ حَسَبِ مَا تَأْتِي بِهِ، فَإِذَا كُنْتَ قَارِئًا تَقُولُ: بِسْمِ اللهِ. يَعْنِي: بِسْمِ اللهِ أَقْرَأُ، وَإِنْ كُنْتَ شَارِبًا تَقُولُ: بِسْمِ اللهِ أَشْرَبُ، فَيُقَدَّرُ خَاصًّا عَلَىٰ حَسَبِ مَا تَأْتِي بِهِ.

ثُمَّ يُقَدَّرُ مُؤَخَّرًا، لِمَاذَا؟

لِلتبَرُّكِ بِاسْمِ اللهِ، بِسْمِ اللهِ أَقْرَأُ، فَتُقَدِّمُ اسْمَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تبرُّكًا بِذِكْرِهِ، وَأَيْضًا لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ وَالِاخْتِصَاصِ؛ لِأَنَّ تَقَدُّمَ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ يُفِيدُ ذَلِكَ، فَإِذَا قَدَّمْتَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ فِي قَوْلِكَ بِسْمِ اللهِ، وَقَدَّرْتَ أَشْرَبُ، فَعِنْدَ هَذَا التَّقْدِيمِ لِمَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ أَفَدْتَ بِذَلِكَ الْحَصْرَ وَالْقَصْرَ وَالِاخْتِصَاصَ.

قَالَ تعالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾.

فَتَوَكَّلُوا عَلَىٰ اللهِ: الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ حَقُّهُ التَّأْخِيرُ، وَلَكِنْ قُدِّمَ هَا هُنَا لِإِفَادَةِ الْقَصْرِ وَالِاخْتِصَاصِ، فَالتَّوَكُّلُ للهِ وَحْدَهُ؛ وَلِذَلِكَ سَيَأْتِي هَا هُنَا مُؤَاخَذَةٌ -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ فِي اعْتِمَادِهِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، كَفَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مَا أَهَمَّهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، أَيْ: كَافِيهِ، ثُمَّ طَمْأَنَ الْمُتَوَكِّلَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣]، فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

* **قُلْتُ:** حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: أَنْ يَعْتَمِدَ الْعَبْدُ عَلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اعْتِمَادًا صَادِقًا فِي مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، مَعَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ الْمَأْذُونِ فِيهَا، هَذِهِ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ.

وَأَمَّا تَرْكُ الْأَسْبَابِ فَسَيَأْتِي أَنَّ ذَلِكَ طَعْنٌ فِي الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَتْ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَكَذَلِكَ الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ الْأَسْبَابِ شِرْكٌ.

فَالتَّوَكُّلُ اعْتِقَادٌ وَاعْتِمَادٌ وَعَمَلٌ؛ تَعْتَقِدُ: أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ كَافِيكَ وَرَاعِيكَ، وَأَنَّهُ كَالِئُكَ، فَهَذَا اعْتِقَادٌ، وَاعْتِمَادٌ: بِالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَعَمَلٌ، أَيْ: أَخْذٌ بِالْأَسْبَابِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ التَّوَكُّلَ أَنْوَاعٌ:

* **قُلْتُ**: وَهَذَا غَرِيبٌ؛ لِأَنَّ التَّوَكُّلَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ، وَلَكِنَّ الشَّيْخَ تَوَسَّعَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ رَحْمَةً وَاسِعَةً- فِي إِطْلَاقِ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ التَّوْكِيلِ، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْأَوَّلُ: التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِ صِدْقِهِ، وَهُوَ وَاجِبٌ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ، وَسَبَقَ دَلِيلُهُ.

الثَّانِي: تَوَكُّلُ السِّرِّ بِأَنْ يَعْتَمِدَ عَلَىٰ مَيِّتٍ فِي جَلْبِ مَنْفَعَةٍ، أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مِمَّنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَذَا الْمَيِّتِ تَصَرُّفًا سِرِّيًّا فِي الْكَوْنِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ طَاغُوتًا عَدُوًّا لِلَّهِ تَعَالَىٰ.

* **قُلْتُ**: هَذَا التَّوَكُّلُ هُوَ الشِّرْكُ، فَإِذَا تَوَكَّلَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ فَهُوَ مُشْرِكٌ شِرْكًا أَكْبَرَ، يَعْتَمِدُ عَلَىٰ مَيِّتٍ فِي جَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ بِتَوَكُّلِ السِّرِّ، يَعْنِي يَقُولُ: فُلَانٌ الْوَلِيُّ هُوَ عَلَىٰ عِلْمٍ بِمَا سَنَصْنَعُ مِنْ هَذَا الَّذِي نَأْخُذُ فِيهِ سَعْيَنَا، وَيَجْلِبُ لَنَا الْمَنْفَعَةَ، وَيَدْفَعُ عَنَّا الْمَضَرَّةَ، وَيَتَّكِئُ عَلَىٰ ذَلِكَ اتِّكَاءً، فَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، هَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مِمَّنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَذَا الْمَيِّتِ تَصَرُّفًا سِرِّيًّا فِي الْكَوْنِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّالِثُ: التَّوَكُّلُ عَلَىٰ الْغَيْرِ فِيمَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ الْغَيْرُ، مَعَ الشُّعُورِ بِعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ وَانْحِطَاطِ مَرْتَبَةِ الْمُتَوَكِّلِ عَنْهُ، مِثْلَ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْهِ فِي حُصُولِ الْمَعَاشِ وَنَحْوِهِ، فَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ؛ لِقُوَّةِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِهِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ.

أَمَّا لَوِ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ عَلَىٰ أَنَّهُ سَبَبٌ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَىٰ يَدِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا بَأْسَ بِهِ، إِذَا كَانَ لِلْمُتَوَكَّلِ عَلَيْهِ أَثَرٌ صَحِيحٌ فِي حُصُولِهِ.

الرَّابِعُ: التَّوَكُّلُ عَلَىٰ الغَيْرِ فِيمَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ الْمُتَوَكِّلُ، بِحَيْثُ يُنِيبُ غَيْرَهُ فِي أَمْرٍ تَجُوزُ فِيهِ النِّيَابَةُ؛ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ بِدَلَالَةِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالإِجْمَاعِ.

* **قُلْتُ**: الْحَقُّ أَنَّ بِهِ بَأْسًا، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ لَا مِنَ الْكِتَابِ وَلَا مِنَ السُّنَّةِ وَلَا الْإِجْمَاعِ عَلَىٰ حَسَبِ اللَّفْظِ الظَّاهِرِ.

وَأَمَّا عَلَىٰ حَسَبِ الْمَعْنَىٰ الْمُرَادِ، فَكَلَامُ الشَّيْخِ مُسْتَقِيمٌ؛ الشَّيْخُ لَا يُرِيدُ التَّوَكُّلَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ التَّوْكِيلَ وَالوِكَالَةَ، وَتُوَكِّلُ فُلَانًا عَنْكَ فِي فِعْلِ كَذَا، وَفِي إِتْيَانِ كَذَا، وَفِي بَيْعِ كَذَا، وَفِي شِرَاءِ كَذَا.

فَهَذِهِ وِكَالَةٌ، وَلَيْسَتْ تَوَكُّلًا، لَا يُقَالُ لَهَا تَوَكُّلٌ؛ وَلِذَلِكَ حَظَرَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: مُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ اللهِ ثُمَّ عَلَيْكَ، حَتَّىٰ وَلَوْ جِئْتَ بِثُمَّ، وَقَالُوا: نَعَمْ، أَنْتَ لَكَ أَنْ تَقُولَ: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ.

وَلَكِنْ لَا تَقُولُ: أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ اللهِ ثُمَّ عَلَيْكَ؛ لِأَنَّ التَّوَكُّلَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ هَذَا هُوَ التَّوَكُّلُ، أَمَّا الْوِكَالَةُ فَشَيْءٌ آخَرُ، الشَّيْخُ أَرَادَ هَذَا الْمَعْنَىٰ، وَلَكِنَّ اللَّفْظَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**هَذَا لَا بَأْسَ بِهِ بِدَلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ**».

يَعْنِي فِي التَّوْكِيلِ فِي الْوِكَالَةِ نَعَمْ لَا بَأْسَ بِهِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ، وَهُوَ بَابٌ بِرَأْسِهِ فِي الْفِقْهِ، وَلَهُ أَحْكَامُهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَقَدْ قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، وَوَكَّلَ النَّبِيُّ ﷺ، عَلَىٰ الصَّدَقَةِ عُمَّالًا وَحُفَّاظًا[(١)].

* **قُلْتُ:** فَالتَّوْكِيلُ جَائِزٌ وَلَا شَيْءَ فِيهِ، وَالْوِكَالَةُ جَائِزَةٌ وَلَا شَيْءَ فِيهَا، وَأَمَّا التَّوَكُّلُ فَعَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُصَحَّحَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَوَكَّلَ فِي إِثْبَاتِ الْحُدُودِ وَإِقَامَتِهَا[(٢)]، وَوَكَّلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَدْيِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِجُلُودِهَا وَجِلَالِهَا، وَأَنْ يَنْحَرَ مَا بَقِيَ مِنَ الْمِائَةِ بَعْدَ أَنْ نَحَرَ ﷺ بِيَدِهِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ[(٣)]، وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ عَلَىٰ جَوَازِ ذَلِكَ فَمَعْلُومٌ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ.

* **قُلْتُ:** نَعَم: الصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: تَوْكِيلُهُ لَا التَّوَكُّلُ، فَلَا يُقَالُ: التَّوَكُّلُ عَلَىٰ الْغَيْرِ فِيمَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ الْغَيْرُ مَعَ الشُّعُورِ بِعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ وَانْحِطَاطِ مَرْتَبَةِ الْمُتَوَكَّلِ عَنْهُ، مِثْلُ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْهِ فِي حُصُولِ الْمَعَاشِ وَنَحْوِهِ، فَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ؛ لِقُوَّةِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِهِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْوَكَالَةِ، ١٠، رَقْمُ ٢٣١١) وَفِي مَوَاضِعَ، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ**... الْحَدِيثُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْوَكَالَةِ، ١٣: ١، رَقْمُ ٢٣١٤) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْحُدُودِ، ٥: ١٦، رَقْمُ ١٦٩٧)، مِنْ حَدِيثِ: زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَىٰ امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا**».

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْحَجِّ، ١٩: ١، رَقْمُ ١٢١٨)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لَوِ اعْتَمَدَ عَلَىٰ أَنَّهُ سَبَبٌ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَىٰ يَدِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا بَأْسَ بِهِ، إِذَا كَانَ لِلْمُتَوَكَّلِ عَلَيْهِ لَا لِلْمُوَكَّلِ، لِمَنْ لَهُ الْوِكَالَةُ، لِمَنْ وُكِّلَ، وَأَمَّا لِلْمُتَوَكَّلِ عَلَيْهِ أَثَرٌ صَحِيحٌ فِي حُصُولِهِ، لَا يُتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ، التَّوَكُّلُ عَلَىٰ الْغَيْرِ فِيمَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ الْمُتَوَكِّلُ بِحَيْثُ يُنِيبُ غَيْرَهُ فِي أَمْرٍ تَجُوزُ فِيهِ النِّيَابَةُ، فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ بِدِلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ.

الصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: تَوْكِيلُهُ لَا التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ، وَإِنَّمَا وَكَّلْتُ فُلَانًا، وَلَا تَقُولُ: تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ، وَلَا قِيَاسَ هَا هُنَا، يَعْنِي إِذَا صَحَّ أَنْ تَقُولَ: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ: مُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ اللهِ ثُمَّ عَلَيْكَ.

حَتَّىٰ وَلَوْ قُلْتَ: ثُمَّ.

يَعْنِي: إِنْ صَحَّ أَنْ تَقُولَ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ-: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ. إِنْ صَحَّ هَذَا، فَلَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ: مُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ اللهِ ثُمَّ عَلَيْكَ؛ لِأَنَّ التَّوَكُّلَ عِبَادَةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ فَتَقُولُ: وَكَّلْتُ فُلَانًا، وَأَنْتَ إِذَا أَسْنَدْتَ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ تَصَرُّفًا، فَهَذا لَا يُسَمَّىٰ تَوَكُّلًا، وَإِنَّمَا يُسَمَّىٰ تَوْكِيلًا، الْوِكَالَةُ مَعْرُوفَةٌ أَنَّكَ تُوَكِّلُ أَحَدًا يَقْضِي لَكَ حَاجَةً فَأَنْتَ تُوَكِّلُهُ، وَلَا تَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يُصَحَّحَ هَذَا.

⊙⊙⊙



النَّوْعُ الخَامِسُ وَالسَّادِسُ وَالسَّابِعُ:
الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالخُشُوعُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ....

---

* **قُلْتُ:** قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، الرَّغَبُ: مَصْدَرُ رَغِبَ يَرْغَبُ رَغَبًا وَرَغْبَةً، ﴿وَرَهَبًا﴾: مَصْدَرُ رَهِبَ يَرْهَبُ رَهَبًا وَرَهْبَةً.

الرَّغَبُ: بِمَعْنَىٰ الضَّرَاعَةِ وَالْمَسْأَلَةِ، **وَالرَّهَبُ**: بِمَعْنَىٰ الْخَوْفِ، وَالْمَعْنَىٰ: يَدْعُونَنَا رَغَبًا فِي رَحْمَتِنَا وَرَهَبًا مِنْ عُقُوبَتِنَا.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: رَغْبَةً فِي رَحْمَتِنَا، وَرَهْبَةً مِنْ عُقُوبَتِنَا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ خَاضِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّغْبَةُ: مَحَبَّةُ الْوُصُولِ إِلَىٰ الشَّيْءِ الْمَحْبُوبِ.

الرَّهْبَةُ: الْخَوْفُ الْمُثْمِرُ لِلْهَرَبِ مِنَ الْمَخُوفِ، فَهِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِعَمَلٍ.

* **قُلْتُ: وَالرَّهْبَةُ وَالرَّهَبُ**: مَخَافَةٌ مَعَ تَحَرُّزٍ وَاضْطِرَابٍ[1].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الْخُشُوعُ**: الذُّلُّ وَالتَّطَامُنُ لِعَظَمَةِ اللهِ؛ بِحَيْثُ يَسْتَسْلِمُ لِقَضَائِهِ الْكَوْنِيِّ وَالشَّرْعِيِّ.

* **قُلْتُ**: الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ السَّبَبِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ شِرْكٌ، وَتَرْكُ السَّبَبِ قَدْحٌ فِي الشَّرِيعَةِ؛ لِأَنَّهَا جَاءَتْ بِالْأَمْرِ بِذَلِكَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **قَوْلُهُ**: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ الْخُلَّصَ مِنْ عِبَادِهِ بِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللهَ تَعَالَىٰ رَغَبًا وَرَهَبًا مَعَ الْخُشُوعِ لَهُ، وَالدُّعَاءُ هُنَا شَامِلٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ وَدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ، فَهُمْ يَدْعُونَ اللهَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ وَطَمَعًا فِي ثَوَابِهِ مَعَ خَوْفِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ وَآثَارِ ذُنُوبِهِمْ.

وَالْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أَنْ يَسْعَىٰ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَيُغَلِّبَ الرَّجَاءَ فِي جَانِبِ الطَّاعَةِ؛ لِيَنْشَطَ عَلَيْهَا وَيُؤَمِّلَ قَبُولَهَا، وَيُغَلِّبَ الْخَوْفَ إِذَا هَمَّ بِالْمَعْصِيَةِ؛ لِيَهْرُبَ مِنْهَا وَيَنْجُوَ مِنْ عِقَابِهَا.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: يُغَلِّبُ جَانِبَ الرَّجَاءِ فِي حَالِ الْمَرَضِ، وَجَانِبَ الْخَوْفِ فِي حَالِ الصِّحَّةِ؛ لِأَنَّ الْمَرِيضَ مُنْكَسِرٌ ضَعِيفُ النَّفْسِ وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُ فَيَمُوتُ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَفِي حَالِ الصِّحَّةِ يَكُونُ

---

(١) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» لِلرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ (ص٣٦٦، دَارُ الْقَلَمِ).

نَشِيطًا مُؤَمِّلًا طُولَ الْبَقَاءِ فَيَحْمِلُهُ ذَلِكَ عَلَىٰ الْأَشَرِ وَالْبَطَرِ فَيُغَلِّبُ جَانِبَ الْخَوْفِ لِيَسْلَمَ مِنْ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: يَكُونُ رَجَاؤُهُ وَخَوْفُهُ وَاحِدًا سَوَاءً؛ لِئَلَّا يَحْمِلَهُ الرَّجَاءُ عَلَىٰ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْخَوْفُ عَلَىٰ الْيَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكِلَاهُمَا قَبِيحٌ مُهْلِكٌ لِصَاحِبِهِ.

● ● ●

النَّوْعُ الثَّامِنُ: الْخَشْيَةُ وَهِيَ خَمسَةُ أَنْوَاعٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ؛ قَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْخَشْيَةُ هِيَ الْخَوْفُ الْمَبْنِيُّ عَلَىٰ الْعِلْمِ بِعَظَمَةِ مَنْ يَخْشَاهُ وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ.

* **قُلْتُ:** الْخَشْيَةُ: خَوفٌ يَشُوبُهُ تعْظِيمٌ(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، أَيِ: الْعُلَمَاءُ بِعظَمَتِهِ، وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ فَهِيَ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ.

* **قُلْتُ:** أَيْ هَذَا الْمَقَامُ مَقَامُ الْخَشْيَةِ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ؛ لِأَنَّهَا خَوْفٌ مَشُوبٌ بِالتَّعْظِيمِ، الْخَوْفُ قَدْ لَا يَكُونُ مَعَهُ تَعْظِيمٌ، وَأَمَّا الْخَوْفُ الَّذِي يَشُوبُهُ التَّعْظِيمُ فَإِنَّهُ يُسَمَّىٰ خَشْيَةً.

---

(١) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» لِلرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ (ص٢٨٣، دَارُ الْقَلَمِ).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَتَّضِحُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِالْمِثَالِ: فَإِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ قَادِرٌ عَلَيْكَ أَمْ لَا؟ فَهَذَا خَوْفٌ، وَإِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْكَ فَهَذِهِ خَشْيَةٌ.

وَيُقَالُ فِي أَقْسَامِ أَحْكَامِ الْخَشْيَةِ مَا يُقَالُ فِي أَقْسَامِ أَحْكَامِ الْخَوْفِ.

* **قُلْتُ**: الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ وَالْخُشُوعُ وَالْإِخْبَاتُ وَالْوَجَلُ مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ.

الْخَوْفُ: يَمْنَعُ الْعَبْدَ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ وَتُشَارِكُهُ الْخَشْيَةُ فِي ذَلِكَ، وَتَزِيدُ أَنَّ خَوْفَهُ يَكُونُ مَقْرُونًا بِمَعْرِفَةِ رَبِّهِ.

الْخُشُوعُ وَالْإِخْبَاتُ وَالْوَجَلُ: كُلُّ ذَلِكَ يَنْشَأُ عَنِ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ للهِ. فَيَخْضَعُ الْعَبْدُ للهِ، وَيُخْبِتُ إِلَىٰ رَبِّهِ مُنِيبًا إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، وَيَحْدُثُ لَهُ الْوَجَلُ مَا يَسْتَقِيمُ بِهِ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ.

الْخُشُوعُ: هُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ هَذَا مُهِمٌّ.

مَا الْخُشُوعُ الَّذِي هُوَ رُوحُ الصَّلَاةِ؟

مَعْرِفَتُهُ مُهِمَّةٌ جِدًّا، الْخُشُوعُ: حُضُورُ الْقَلْبِ وَقْتَ تَلَبُّسِهِ بِطَاعَةِ اللهِ مَعَ سُكُونِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَهَذَا خُشُوعٌ خَاصٌّ.

وَأَمَّا الْخُشُوعُ الدَّائِمُ الَّذِي هُوَ وَصْفُ خَوَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَمُرَاقَبَتِهِ لَهُ، فَيَسْتَوْلِي ذَلِكَ عَلَىٰ الْقَلْبِ كَمَا تَسْتَوْلِي عَلَىٰ الْقَلْبِ الْمَحَبَّةُ، فَخُشُوعٌ خَاصٌّ وَخُشُوعٌ عَامٌّ.

الْخُشُوعُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ بِهِ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فِي صَلَوَاتِهِ هُوَ تَلَبُّسُ الْقَلْبِ فِي حَالِ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ، وَحُضُورُ الْقَلْبِ فِي حَالِ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ مُتَلَبِّسًا بِالْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَالتَّعْظِيمِ لَهُ، وَحِينَئِذٍ يَسْكُنُ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَإِذَا خَشَعَ الْقَلْبُ سَكَنَتِ الْجَوَارِحُ، وَهَذَا خُشُوعٌ خَاصٌّ.

وَأَمَّا الْخُشُوعُ الدَّائِمُ الَّذِي هُوَ وَصْفُ الْعِبَادِ الْمُقَرَّبِينَ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ- فَهَذَا لَا يَنْفَكُّ عَنِ الْقَلْبِ بِحَالٍ، وَأَمَّا أَنْ يَتَلَبَّسَ الْقَلْبُ بِحَالِ الْخُشُوعِ فِي حَالِ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ وَالْإِتْيَانِ بِهَا وَفِعْلِهَا فَهَذَا خُشُوعٌ خَاصٌّ.

وَأَمَّا الْعَامُّ وَهُوَ مَا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ الْمُجَاهِدُونَ وَيَتَنَافَسُ فِي تَحْصِيلِهِ الْمُتَنَافِسُونَ، فَهَذَا وَصْفُ خَوَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ وَمُرَاقَبَتِهِ لَهُ، فَيَسْتَوْلِي ذَلِكَ الْخُشُوعُ عَلَىٰ الْقَلْبِ كَمَا تَسْتَوْلِي عَلَيْهِ الْمَحَبَّةُ(١).

●●●

(١) «فَوَائِدُ قُرْآنِيَّةٌ» لِلسَّعْدِيِّ (ص٩٦).

النَّوْعُ التَّاسِعُ: الإِنَابَةُ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] .....

---

* **قُلْتُ:** ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾: ارْجِعُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾: الْمُرَادُ بِالْإِسْلَامِ هُنَا الْإِسْلَامُ الشَّرْعِيُّ، لَا الِاسْتِسْلَامُ الْقَهْرِيُّ الْكَوْنِيُّ الْقَدَرِيُّ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ هُنَا الِاسْتِسْلَامُ وَالِانْقِيَادُ لِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْإِنَابَةُ الرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ مَعْنَىٰ التَّوْبَةِ إِلَّا أَنَّهَا أَرَقُّ مِنْهَا؛ لِمَا تَشْعُرُ بِهِ مِنَ الِاعْتِمَادِ عَلَىٰ اللهِ وَاللُّجُوءِ إِلَيْهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَدَلِيلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾.

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾: الْإِسْلَامَ الشَّرْعِيَّ، وَهُوَ الِاسْتِسْلَامُ لِأَحْكَامِ اللهِ الشَّرْعِيَّةِ، **وَذَلِكَ أَنَّ الْإِسْلَامَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ نَوْعَانِ:**

الْأَوَّلُ: إِسْلَامٌ كَوْنِيٌّ وَهُوَ الِاسْتِسْلَامُ لِحُكْمِهِ الْكَوْنِيِّ، وَهَذَا عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ وَبَرٍّ وَفَاجِرٍ، لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَكْبِرَ

عَنْهُ، وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

الثَّانِي: إِسْلَامٌ شَرْعِيٌّ وَهُوَ الِاسْتِسْلَامُ لِحُكْمِهِ الشَّرْعِيِّ وَهَذَا خَاصٌّ بِمَنْ قَامَ بِطَاعَتِهِ مِنَ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ بِإِحْسَانٍ، وَدَلِيلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، وَمِنْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* **قُلْتُ**: الْإِنَابَةُ الَّتِي هِيَ الْعِبَادَةُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُصَنِّفُ أَعْلَىٰ مِنَ التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ إِقْلَاعٌ وَنَدَمٌ وَعَزْمٌ عَلَىٰ أَلَّا يَعُودَ، وَالْإِنَابَةُ فِيهَا الْمَعَانِي الثَّلَاثَةُ الَّتِي هِيَ فِي التَّوْبَةِ، وَتَزِيدُ مَعْنًىٰ آخَرَ: وَهُوَ الْإِقْبَالُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْعِبَادَاتِ، تَوْبَةٌ وَإِقْلَاعٌ وَنَدَمٌ وَعَزْمٌ عَلَىٰ أَلَّا يَعُودَ.

الْإِنَابَةُ تَشْمَلُ هَذَا، وَتَشْمَلُ شَيْئًا آخَرَ وَهُوَ الْإِقْبَالُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ، فَهَذِهِ إِنَابَةٌ، وَهِيَ أَعْلَىٰ مِنَ التَّوْبَةِ.

وَالْإِنَابَةُ قِسْمَانِ: إِنَابَةٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَابَةٌ لِأُلُوهِيَّتِهِ جَلَّ وَعَلَا.

الْإِنَابَةُ لِرُبُوبِيَّتِهِ: يَشْتَرِكُ فِيهَا جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٣].

وَهَذَا عَامٌّ فِي حَقِّ كُلِّ دَاعٍ أَصَابَهُ ضُرٌّ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا، فَدَعَا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُنِيبًا إِلَىٰ رَبِّهِ فِي حَالِ ضُرِّهِ بِالْإِنَابَةِ إِلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ بِالْإِنَابَةِ إِلَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَالْمَحَكُّ إِنَّمَا هُوَ فِي الْإِنَابَةِ إِلَىٰ الْأُلُوهِيَّةِ، الْإِنَابَةُ إِلَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ يَأْتِي بِهَا جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، فَهَذِهِ إِنَابَةٌ إِلَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَهَذِهِ الْإِنَابَةُ لَا تَسْتَلْزِمُ الْإِسْلَامَ، بَلْ تُجَامِعُ الشِّرْكَ وَالْكُفْرَ، فَقَدْ يَكُونُ الدَّاعِي الْمُنِيبُ كَافِرًا، وَقَدْ يَكُونُ مُشْرِكًا.

وَأَمَّا الْإِنَابَةُ إِلَىٰ الْأُلُوهِيَّةِ: فَهِيَ إِنَابَةُ أَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وَيُحِبُّهُمْ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وَهِيَ إِنَابَةُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَتَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ: مَحَبَّتَهُ، وَالْخُضُوعَ لَهُ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَاهُ.

هَذِهِ هِيَ إِنَابَةُ الْعُبُودِيَّةِ، إِنَابَةُ الْأُلُوهِيَّةِ، الْمُنِيبُ إِلَىٰ اللهِ الْمُسْرِعُ إِلَىٰ مَرْضَاتِهِ، الرَّاجِعُ إِلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ، الْمُتَقَدِّمُ إِلَىٰ مَحَابِّهِ، فَهَذَا هُوَ الْمُنِيبُ(١).

● ● ●

---

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (١/ ٤٣٣ - ٤٣٤، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتُ).

النَّوْعُ الْعَاشِرُ: الِاسْتِعَانَةُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الِاسْتِعَانَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، **وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»** ....

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الِاسْتِعَانَةُ طَلَبُ الْعَوْنِ وَهِيَ أَنْوَاعٌ:

الْأَوَّلُ: الِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ وَهِيَ: الِاسْتِعَانَةُ الْمُتَضَمِّنَةُ لِكَمَالِ الذُّلِّ مِنَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَاعْتِقَادِ كِفَايَتِهِ، وَهَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَدَلِيلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَوَجْهُ الِاخْتِصَاصِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدَّمَ الْمَعْمُولَ ﴿إِيَّاكَ﴾، وَقَاعِدَةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ أَنَّ تَقْدِيمَ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ يُفِيدُ الْحَصْرَ وَالِاخْتِصَاصَ، وَعَلَىٰ هَذَا يَكُونُ صَرْفُ هَذَا النَّوْعِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ شِرْكًا مُخْرِجًا عَنِ الْمِلَّةِ.

* **قُلْتُ: الِاسْتِعَانَةُ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ، تَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:**

الْأَوَّلُ: الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ للهِ.

الثَّانِي: الثِّقَةُ بِاللهِ تَعَالَىٰ.

الثَّالِثُ: الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ.

هَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ، فَمَنِ اسْتَعَانَ بِغَيْرِهِ تَعَالَىٰ مُحَقِّقًا هَذِهِ الْمَعَانِيَ الثَّلَاثَةَ، فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، فَتَأَمَّلْ.

هَذَا هُوَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْ أَقْسَامِ الِاسْتِعَانَةِ، لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَإِذَا صُرِفَ إِلَىٰ غَيْرِهِ كَانَ شِرْكًا أَكْبَرَ، الْخُضُوعُ وَالذُّلُّ وَالثِّقَةُ وَالِاعْتِمَادُ، فَإِذَا صُرِفَ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَانَ شِرْكًا مُخْرِجًا عَنِ الْمِلَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الثَّانِي**: الِاسْتِعَانَةُ بِالْمَخْلُوقِ عَلَىٰ أَمْرٍ قَادِرٍ عَلَيْهِ.

* **قُلْتُ**: يَعْنِي: طَلَبَ مِنَ الْمَخْلُوقِ الْحَاضِرِ أَنْ يُعِينَهُ، وَأَنْ يُسَاعِدَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذِهِ عَلَىٰ حَسَبِ الْمُسْتَعَانِ عَلَيْهِ؛ فَإِنْ كَانَتْ عَلَىٰ بِرٍّ فَهِيَ جَائِزَةٌ لِلْمُسْتَعِينِ مَشْرُوعَةٌ لِلْمُعِينِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وَإِنْ كَانَتْ عَلَىٰ إِثْمٍ فَهِيَ حَرَامٌ عَلَىٰ الْمُسْتَعِينِ وَالْمُعِينِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

وَإِنْ كَانَتْ عَلَىٰ مُبَاحٍ فَهِيَ جَائِزَةٌ لِلْمُسْتَعِينِ وَالْمُعِينِ، لَكِنَّ الْمُعِينَ قَدْ يُثَابُ عَلَىٰ ذَلِكَ ثَوَابَ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْغَيْرِ، وَمِنْ ثَمَّ تَكُونُ فِي حَقِّهِ مَشْرُوعَةً؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

* **قُلْتُ:** فَتَأَمَّلْ فِي هَذِهِ الْأَحْكَامِ هَدَانِي اللهُ وَإِيَّاكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **الثَّالِثُ:** الِاسْتِعَانَةُ بِمَخْلُوقٍ حَيٍّ حَاضِرٍ غَيْرِ قَادِرٍ فَهَذِهِ لَغْوٌ لَا طَائِلَ تَحْتَهَا مِثْلَ أَنْ يَسْتَعِينَ بِشَخْصٍ ضَعِيفٍ عَلَىٰ حَمْلِ شَيْءٍ ثَقِيلٍ.

الرَّابِعُ: الِاسْتِعَانَةُ بِالْأَمْوَاتِ مُطْلَقًا أَوْ بِالْأَحْيَاءِ عَلَىٰ أَمْرٍ غَائِبٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ مُبَاشَرَتِهِ، فَهَذَا شِرْكٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنْ شَخْصٍ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ تَصَرُّفًا خَفِيًّا فِي الْكَوْنِ.

الْخَامِسُ: الِاسْتِعَانَةُ بِالْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ الْمَحْبُوبَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهَذِهِ مَشْرُوعَةٌ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- لِلنَّوْعِ الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥].

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[١].

***

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الرِّقَاقِ، ٥٩: ٣، رَقْمُ ٢٥١٦)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٥٣٠٢).

النَّوْعُ الْحَادِي عَشَرَ: الِاسْتِعَاذَةُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] ....

---

* **قُلْتُ:** الِاسْتِعَاذَةُ: هِيَ الِاعْتِصَامُ وَالِالْتِجَاءُ إِلَىٰ مَنْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُعِيذُكَ وَيُلْجِئُكَ فَتَعُوذُ بِهِ، وَتَلْتَجِئُ إِلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الِاسْتِعَاذَةُ: طَلَبُ الْإِعَاذَةِ، وَالْإِعَاذَةُ الْحِمَايَةُ مِنْ مَكْرُوهٍ، فَالْمُسْتَعِيذُ مُحْتَمٍ بِمَنِ اسْتَعَاذَ بِهِ وَمُعْتَصِمٌ بِهِ.

وَالِاسْتِعَاذَةُ أَنْوَاعٌ:

الْأَوَّلُ: الِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَهِيَ الْمُتَضَمِّنَةُ لِكَمَالِ الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ وَالِاعْتِصَامِ بِهِ، وَاعْتِقَادِ كِفَايَتِهِ وَتَمَامِ حِمَايَتِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَاضِرٍ أَوْ مُسْتَقْبَلٍ، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، بَشَرٍ أَوْ غَيْرِ بَشَرٍ، وَدَلِيلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١-٢] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٤] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

الثَّانِي: الِاسْتِعَاذَةُ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ كَكَلَامِهِ وَعَظَمَتِهِ وَعِزَّتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ:

قَوْلُهُ ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»(١).

* **قُلْتُ**: وَهِيَ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ كَلَامَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّهُ حَاشَا وَكَلَّا أَنْ يَسْتَعِيذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَخْلُوقٍ.

فَلَوْ كَانَتْ كَلِمَاتُ اللهِ -كَمَا يَقُولُ الْمُعَطِّلَةُ وَالْمُؤَوِّلَةُ- مَخْلُوقَةً لَكَانَ النَّبِيُّ -وَحَاشَاهُ- ﷺ مُسْتَعِيذًا بِمَخْلُوقٍ فِي قَوْلِهِ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**».

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَوْلُهُ: «**أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»(٢).

وَقَوْلُهُ فِي دُعَاءِ الْأَلَمِ: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(٣).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الدَّعَوَاتِ، ١٦: ٢، رَقْمُ ٢٧٠٨)، مِنْ حَدِيثِ: خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ، بِلَفْظِ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**».

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْأَدَبِ، ١١٠: ٨، رَقْمُ ٥٠٧٤)، وَالنَّسَائِيُّ فِي (الِاسْتِعَاذَةِ، ٦٠: ١، رَقْمُ ٥٥٢٩)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي (الدُّعَاءِ، ١٤: ٥، رَقْمُ ٣٨٧١)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٦٥٩).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الطِّبِّ، ٩، رَقْمُ ٢٢٠٢)، مِنْ حَدِيثِ: عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**»(١).

وَقَوْلُهُ ﷺ حِينَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ**﴾ [الأنعام: ٦٥]، فَقَالَ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»(٢).

الثَّالِثُ: الِاسْتِعَاذَةُ بِالْأَمْوَاتِ أَوْ بِالْأَحْيَاءِ غَيْرِ الْحَاضِرِينَ الْقَادِرِينَ عَلَىٰ الْعَوْذِ، فَهَذَا شِرْكٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾ [الجن: ٦].

الرَّابِعُ: الِاسْتِعَاذَةُ بِمَا يُمْكِنُ الْعَوْذُ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَوِ الْأَمَاكِنِ أَوْ غَيْرِهَا، فَهَذَا جَائِزٌ، وَدَلِيلُهُ:

قَوْلُهُ ﷺ فِي ذِكْرِ الْفِتَنِ: «**مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الصَّلَاةِ، ٤٢: ٨، رَقْمُ ٤٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّوْحِيدِ، ١٦، رَقْمُ ٧٤٠٦) وَفِي مَوَاضِعَ، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٢٥: ٢٩، رَقْمُ ٣٦٠١)، وَفِي (الْفِتَنِ، ٩، رَقْمُ ٧٠٨١، وَ٧٠٨٢)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْفِتَنِ، ٣: ٣، رَقْمُ ٢٨٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي «شَرْح صَحِيح مُسْلِمٍ» (١٨/ ٩): «أَمَّا (تَشَرَّفَ) فَرُوِيَ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ مَشْهُورَيْنِ، أَحَدُهُمَا: بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ وَالشِّينِ وَالرَّاءِ، وَالثَّانِي: (يُشْرِفْ) بِضَمِّ الْيَاءِ وَإِسْكَانِ الشِّينِ وَكَسْرِ الرَّاءِ، وَهُوَ مِنَ الْإِشْرَافِ لِلشَّيْءِ، وَهُوَ الِانْتِصَابُ وَالتَّطَلُّعُ إِلَيْهِ وَالتَّعَرُّضُ لَهُ، وَمَعْنَىٰ (تَسْتَشْرِفْهُ)
=

وَقَدْ بَيَّنَ ﷺ هَذَا الْمَلْجَأَ وَالْمَعَاذَ، بِقَوْلِهِ: «**فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ**» الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَفِي صَحِيحِهِ أَيْضًا(٢)؛ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَأُتِيَ بِهَا النَّبِيُّ** ﷺ، **فَعَاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ**»، الْحَدِيثَ.

وَفِي صَحِيحِهِ أَيْضًا(٣)؛ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ**» الْحَدِيثَ.

وَلَكِنْ إِنِ اسْتَعَاذَ مِنْ شَرِّ ظَالِمٍ وَجَبَ إِيوَاؤُهُ وَإِعَاذَتُهُ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، وَإِنِ اسْتَعَاذَ؛ لِيَتَوَصَّلَ إِلَىٰ فِعْلِ مَحْظُورٍ أَوِ الْهَرَبِ مِنْ وَاجِبٍ حَرُمَ إِيوَاؤُهُ.

* **قُلْتُ**: يَعْنِي: إِنِ اسْتَعَاذَ بِكَ فَلَجَأَ إِلَيْكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُؤْوِيَه وَكَانَ هَارِبًا مِنْ شَرِّ ظَالِمٍ وَجَبَ إِيوَاؤُهُ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِفِعْلِ مَحْظُورٍ أَوْ لِلْهَرَبِ مِنْ وَاجِبٍ فَيَحْرُمُ عَلَيْكَ إِيوَاؤُهُ.

وَلِذَلِكَ لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَحْدَثَ فِي الْمَدِينَةِ، مَنْ أَحْدَثَ: أَيْ مَنِ ابْتَدَعَ فِي مَدِينَتِهِ ﷺ، وَمَنْ آوَىٰ فِيهَا مُحْدِثًا، فَإِنْ كُنْتَ صَاحِبَ عَقَارٍ فِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ

=

تَقَلُّبُهُ وَتَصَرُّعُهُ، وَقِيلَ: مِنَ الْإِشْرَافِ بِمَعْنَىٰ الْإِشْفَاءِ عَلَىٰ الْهَلَاكِ، وَمِنْهُ: أَشْفَىٰ الْمَرِيضُ عَلَىٰ الْمَوْتِ وَأَشْرَفَ».

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْفِتَنِ، ٣: ٦، رَقْمُ ٢٨٨٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْحُدُودِ، ٢: ٤، رَقْمُ ١٦٨٩).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْفِتَنِ، ٢: ١، رَقْمُ ٢٨٨٢).

فَحَذَارِ أَنْ تُؤَجِّرَ مَحَلًّا لِلسُّكْنَىٰ لِمُبْتَدِعٍ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، فَإِنْ فَعَلَ الْأَبْعَدُ فَهُوَ مَلْعُونٌ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَمَنْ أَحْدَثَ فِي الْمَدِينَةِ، وَمَنْ آوَىٰ فِيهَا مُحْدِثًا(١)، فَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَصَابَتْهُ دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ.

فَهَذِهِ كَمَا تَرَىٰ أَقْسَامٌ فِي الِاسْتِعَاذَةِ، فَلَيْسَتْ شَيْئًا وَاحِدًا كَمَا تَرَىٰ، فَتَأَمَّلْ وَلَا تَكُنْ مُتَهَجِّمًا، وَتَوَقَّ وَاحْذَرْ، وَكُنْ سُنِّيًّا سَلَفِيًّا عَلَىٰ الْجَادَّةِ يَدْرِي مَا يَقُولُ وَيَضَعُ الْأَحْكَامَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِعِلْمٍ، لَا يَتَكَلَّمُ بِجَهْلٍ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَىٰ النَّاسِ بِجَهْلٍ، وَإِنَّمَا يَسْتَوْفِي الشُّرُوطَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَفَّرَ فِيمَنْ يَحْكُمُ عَلَىٰ خَلْقِ اللهِ بِجَرْحٍ أَوْ تَعْدِيلٍ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَيَحْكُمُ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، لَا بِظُلْمٍ وَلَا بِجَهْلٍ.

●●●

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (فَضَائِلِ الْمَدِينَةِ، ١: ٤، رَقْمُ ١٨٧٠)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْحَجِّ، ٨٥: ١٥، رَقْمُ ١٣٧٠)، وَفِي (الْعِتْقِ، ٤: ٥)، مِنْ حَدِيثِ: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بِلَفْظِ: «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَىٰ ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَىٰ مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا، ...**»، الْحَدِيثَ.

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا فِي (الْأَضَاحِيِّ، ٨، رَقْمُ ١٩٧٨)، مِنْ حَدِيثِ: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بِلَفْظِ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ**»، وَسَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

النَّوْعُ الثَّانِي عَشَرَ: الِاسْتِغَاثَةُ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الِاسْتِغَاثَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٩] ....

---

* **قُلْتُ:** مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الِاسْتِغَاثَةِ وَالِاسْتِعَاذَةِ؟ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِفُلَانٍ، وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ، هَلْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ؟

الْفَرْقُ بَيْنَ الِاسْتِغَاثَةِ وَالِاسْتِعَاذَةِ: أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ أَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَعْصِمَكَ وَأَنْ يَمْنَعَكَ وَأَنْ يُحَصِّنَكَ.

وَالِاسْتِغَاثَةُ: أَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ مَا فِيكَ مِنْ شِدَّةٍ، وَالِاثْنَتَانِ تَتَطَلَّبَانِ كَمَالَ الِافْتِقَارِ إِلَىٰ اللهِ مَعَ اعْتِقَادِ كِفَايَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الِاسْتِغَاثَةُ: طَلَبُ الْغَوْثِ، وَهُوَ: الْإِنْقَاذُ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْهَلَاكِ، **وَهُوَ أَقْسَامٌ:**

الْأَوَّلُ: الِاسْتِغَاثَةُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَذَا مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَكْمَلِهَا، وَهُوَ دَأْبُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَدَلِيلُهُ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

* **قُلْتُ**: مُمِدُّكُمْ: مُعِينُكُمْ مِنَ الإِمْدَادِ، مُرْدِفِينَ: يَعْنِي مُتَتَابِعِينَ[١].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَانَ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ حِينَ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ فِي أَلْفِ رَجُلٍ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَدَخَلَ الْعَرِيشَ يُنَاشِدُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَافِعًا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ**[٢] **مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»، وَمَا زَالَ يَسْتَغِيثُ بِرَبِّهِ رَافِعًا يَدَيْهِ حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ[٣].

* **قُلْتُ**: وَهَذَا مُهِمٌّ جِدًّا، أَقْسَامُ الِاسْتِغَاثَةِ مُهِمَّةٌ جِدًّا؛ لِأَنَّ مِنَ الْأَغْمَارِ مَنْ يَقُولُ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، قِسْمٌ وَاحِدٌ، وَأَنَّ مَنِ اسْتَغَاثَ بِغَيْرِ اللهِ مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ التَّفْصِيلِ الْوَارِدِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ قَالَ بِالتَّفْصِيلِ فَهُوَ جَاهِلٌ بِالتَّوْحِيدِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خُزَعْبَلَاتِهِمْ، وَمَا يَأْتُونَ بِهِ، وَإِلَىٰ اللهِ الْمُشْتَكَىٰ.

---

(١) «تَفْسِيرُ الْجَلَالَيْنِ» (ص٢٢٨، دَارُ الْحَدِيثِ - الْقَاهِرَةُ).

(٢) قَالَ النَّوَوِيُّ فِي «شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٢/ ٨٥): «ضَبَطُوهُ (**تَهْلِكْ**) بِفَتْحِ التَّاءِ، وَضَمِّهَا، فَعَلَىٰ الْأَوَّلِ: تُرْفَعُ الْعِصَابَةُ عَلَىٰ أَنَّهَا فَاعِلٌ، وَعَلَىٰ الثَّانِي: تُنْصَبُ تَكُونُ مَفْعُولَةً، وَالْعِصَابَةُ الْجَمَاعَةُ».

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْجِهَادِ، ١٨، رَقْمُ ١٧٦٣)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الثَّانِي**: الِاسْتِغَاثَةُ بِالْأَمْوَاتِ أَوْ بِالْأَحْيَاءِ غَيْرِ الْحَاضِرِينَ الْقَادِرِينَ عَلَىٰ الْإِغَاثَةِ، فَهَذَا شِرْكٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ تَصَرُّفًا خَفِيًّا فِي الْكَوْنِ فَيَجْعَلُ لَهُمْ حَظًّا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

الثَّالِثُ: الِاسْتِغَاثَةُ بِالْأَحْيَاءِ الْعَالِمِينَ الْقَادِرِينَ عَلَىٰ الْإِغَاثَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ كَالِاسْتِعَانَةِ بِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

الرَّابِعُ: الِاسْتِغَاثَةُ بِحَيٍّ غَيْرِ قَادِرٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ لَهُ قُوَّةً خَفِيَّةً مِثْلَ أَنْ يَسْتَغِيثَ الْغَرِيقُ بِرَجُلٍ مَشْلُولٍ، فَهَذَا لَغْوٌ وَسُخْرِيَةٌ بِمَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ فَيُمْنَعُ مِنْهُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وَلِعِلَّةٍ أُخْرَىٰ وَهِيَ الْغَرِيقُ رُبَّمَا اغْتَرَّ بِذَلِكَ غَيْرُهُ فَتَوَهَّمَ أَنَّ لِهَذَا الْمَشْلُولِ قُوَّةً خَفِيَّةً يُنْقِذُ بِهَا مِنَ الشِّدَّةِ.

* **قُلْتُ**: فَيَتَوَهَّمُ أَنَّ لِهَذَا الْمَشْلُولِ قُوَّةً خَفِيَّةً يُنْقِذُ بِهَا مِنَ الشِّدَّةِ، وَعِنْدَهُ مِنْ أُصُولِ الْوَلَايَةِ الْمُدَّعَاةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْوَلَايَةِ الْمَزْعُومَةِ الَّتِي لَيْسَتْ بِالْوَلَايَةِ الَّتِي أَثْبَتَهَا الشَّرْعُ عَلَىٰ حَسَبِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْأَوْلِيَاءِ، وَأَنَّ الْوَلِيَّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا؛ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٣]، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ هُوَ لِلهِ وَلِيٌّ.

وَلَكِنْ عَلَىٰ حَسَبِ تِلْكَ الشُّرُوطِ الْمَزْعُومَةِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْخُرَافِيِّينَ وَالْقُبُورِيِّينَ، فَمَاذَا يَصْنَعُونَ إِذَا وَجَدَ ذَلِكَ الْغَرِيقَ يَسْتَغِيثُ بِذَلِكَ الْمَشْلُولِ، وَهُوَ حَاضِرٌ حَيٌّ، وَلَكِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِغَاثَتِهِ وَإِنْقَاذِهِ؟!! فَيَخْدَعُ مَنْ يَكُونُ هُنَالِكَ، وَيَقُولُ: مَا اسْتَغَاثَ بِهِ فِي هَذِهِ الشِّدَّةِ إِلَا لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْقِذَهُ، وَأَنْ يُغِيثَهُ فَيَعْتَقِدُ فِيهِ الْوَلَايَةَ، فَبَعْدَ أَنْ يَغْرَقَ هَذَا يَذْهَبُ هُوَ لِيَتَمَسَّحَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ ثَبَتَتْ لَهُ الْوَلَايَةُ.

فَهَذِهِ أَقْسَامٌ -كَمَا تَرَىٰ-.

◉ ◉ ◉

النَّوْعُ الثَّالِثَ عَشَرَ: الذَّبْحُ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣] الْآيَة، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١) ....

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الذَّبْحُ إِزْهَاقُ الرُّوحِ بِإِرَاقَةِ الدَّمِ عَلَىٰ وَجْهٍ مَخْصُوصٍ، وَيَقَعُ عَلَىٰ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَقَعَ عِبَادَةً بِأَنْ يُقْصَدَ بِهِ تَعْظِيمُ الْمَذْبُوحِ لَهُ، وَالتَّذَلُّلُ لَهُ وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَىٰ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَدَلِيلُهُ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾.

الثَّانِي: أَنْ يَقَعَ إِكْرَامًا لِضَيْفٍ أَوْ وَلِيمَةٍ لِعُرْسٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا مَأْمُورٌ بِهِ: إِمَّا

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْأَضَاحِيِّ، ٨، رَقْمُ ١٩٧٨)، مِنْ حَدِيثِ: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وُجُوبًا أَوِ اسْتِحْبَابًا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»(١).

وَقَوْلُهُ ﷺ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»(٢).

الثَّالِثُ: أَنْ يَقَعَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّمَتُّعِ بِالْأَكْلِ أَوِ الِاتِّجَارِ بِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا مِنْ قِسْمِ الْمُبَاحِ فَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِبَاحَةُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١- ٧٢]، وَقَدْ يَكُونُ مَطْلُوبًا أَوْ مَنْهِيًّا عَنْهُ حَسْبَ مَا يَكُونُ وَسِيلَةً لَهُ.

* **قُلْتُ: الذَّبَائِحُ**: مَشْرُوعَةٌ، وَمُبَاحَةٌ، وَمُحَرَّمَةٌ تَكُونُ شِرْكًا أَكْبَرَ، وَلَا تَكُونُ كَذَلِكَ.

الْمَشْرُوعَةُ -أَيِ الذَّبَائِحُ الْمَشْرُوعَةُ-: الضَّحَايَا وَالْهَدَايَا -أَيِ الْهَدْيُ، مَا كَانَ هَدْيًا-، وَالنُّذُورُ للهِ تَعَالَىٰ، وَالْعَقِيقَةُ، وَالْوَلَائِمُ، وَلِإِكْرَامِ الضَّيْفِ، وَصَدَقَةٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِدْيَةٌ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَكُلُّ هَذِهِ ذَبَائِحُ مَشْرُوعَةٌ.

وَمِنْهَا مَا هُوَ مُبَاحٌ: كَذَبْحِ الْجَزَّارِ لِلْبَيْعِ، وَكَذَبْحِ الرَّجُلِ لِلْأَكْلِ، هَذَا مُبَاحٌ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْأَدَبِ، ٣١: ١، رَقْمُ ٦٠١٨) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ١٩: ٢، رَقْمُ ٤٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (النِّكَاحِ، ٥٦، رَقْمُ ٥١٥٥) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (النِّكَاحِ، ١٣: ٤، رَقْمُ ١٤٢٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَمِنْهَا مَا هُوَ مُحَرَّمٌ.

وَالْمُحَرَّمُ مِنْهُ مَا يَكُونُ شِرْكًا أَكْبَرَ: كَالذَّبْحِ لِلْأَصْنَامِ، وَالذَّبْحِ لِلْجِنِّ، وَالذَّبْحِ لِلْقِبَابِ وَالْمَشَاهِدِ وَالْقُبُورِ، وَالذَّبْحِ فِي حَفَلَاتِ الزَّارِ لِاسْتِخْرَاجِ الْجِنِّ، فَهُوَ ذَبْحٌ لِلْجِنِّ أَيْضًا، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَالذَّبْحُ لِلْبِئْرِ الْجَدِيدَةِ قَبْلَ الشُّرْبِ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ الذَّبْحُ عِنْدَ الِانْتِهَاءِ مِنَ الْبَيْتِ لِلْجِنِّ حَتَّىٰ لَا يَسْكُنَ الْبَيْتَ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِ الْعَرُوسَيْنِ الْبَيْتَ مِنْ أَجْلِ الْجِنِّ فَيَخُوضَانِ فِي الدِّمَاءِ بَعْدَ سَفْحِهَا، فَكُلُّ هَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ.

وَمِنْهَا -أَيْ مِنَ الذَّبَائِحِ الْمُحَرَّمَةِ-: الذَّبْحُ فِي مَكَانٍ خَاصٍّ يُفَضِّلُ الذَّابِحُ الذَّبْحَ فِيهِ، وَيَأْتِي ذَلِكَ مِنْهُ عَلَىٰ سَبِيلِ الِاعْتِقَادِ.

وَمِنْهَا -أَيْ مِنَ الْمُحَرَّمَةِ- وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ: الذَّبْحُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ لِإِرْضَاءِ الْخَصْمِ، وَلَا يَرْضَىٰ الْخَصْمُ إِلَّا بِذَلِكَ، عَدَّهُ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ شِرْكًا أَكْبَرَ، وَالذَّبْحُ عِنْدَ الْقِمَارِ لِيَذْبَحَهُ الْمَغْلُوبُ لِلْمُقَامِرِينَ الْغَالِبِينَ وَلِلْحَاضِرِينَ مِنَ الْمُشَاهِدِينَ، وَكُلُّ ذَلِكَ ذَبْحٌ مُحَرَّمٌ، وَالذَّبْحُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِنْدَ الْقَبْرِ كُلُّ ذَلِكَ ذَبْحٌ مُحَرَّمٌ.

⁂

النَّوْعُ الرَّابِعَ عَشَرَ: النَّذْرُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ النَّذْرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] ...

---

* **قُلْتُ:** النَّذْرُ: أَنْ يُلْزِمَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ شَيْئًا غَيْرَ لَازِمٍ بِأَصْلِ الشَّرْعِ، فَيُلْزِمَ نَفْسَهُ بِصَدَقَةٍ أَوْ صِيَامٍ أَوْ صَلَاةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، إِمَّا بِتَعْلِيقِهِ بِشَيْءٍ أَوْ يَكُونُ ابْتِدَاءً، إِمَّا أَنْ يُعَلِّقَ الْمَنْذُورَ بِشَيْءٍ، يَعْنِي كَأَنْ يَتَحَصَّلَ عَلَىٰ كَذَا، أَوْ أَلَّا يُصِيبَهُ كَذَا، فَهَذَا مُعَلَّقٌ بِشَيْءٍ، أَوْ يَكُونُ ابْتِدَاءً، فَيَنْذِرُ للهِ مِنْ غَيْرِ مَا مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ.

الْجُمْهُورُ عَلَىٰ أَنَّ النَّذْرَ مَكْرُوهٌ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ بِتَحْرِيمِ النَّذْرِ، وَلَكِنَّهُ إِنْ وَقَعَ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ، يَعْنِي سَوَاءٌ كَانَ يَقُولُ: بِأَنَّهُ مَكْرُوهٌ. أَوْ يَقُولُ: إِنَّهُ مُحَرَّمٌ، إِذَا نَذَر فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفِيَ بِنَذْرِهِ.

شُرُوطُ النَّذْرِ سِتَّةٌ[1]:

أَنْ يَكُونَ للهِ لَا لِغَيْرِهِ[2].

---

(١) «مَعَارِجُ الْقَبُولِ» (٢/ ٤٥٥ - ٤٥٧، دَارُ ابْنِ الْقَيِّمِ - الدَّمَّامُ).

(٢) لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

أَنْ يَكُونَ فِي طَاعَةٍ لَا فِي مَعْصِيَةٍ: لَا يَنْذِرُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا مَا صَنَعَ كَذَا وَقُدِّرَ لَهُ كَوْنُ كَذَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعَاصِي لَيَذْبَحَنَّ كَذَا وَكَذَا، لَا يَكُونُ النَّذْرُ فِي مَعْصِيَةٍ، بَلْ يَكُونُ فِي طَاعَةٍ(١).

أَنْ يَكُونَ النَّذْرُ فِيمَا يُطِيقُهُ الْإِنْسَانُ لَا فِيمَا لَا يُطِيقُهُ(٢).

وَأَنْ يَكُونَ فِيمَا يَمْلِكُهُ لَا فِيمَا لَا يَمْلِكُهُ: فِيمَا يَمْلِكُهُ يَعْنِي نَذَرْتُ للهِ نَذْرًا إِنْ آتَانِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَذَا لَأَذْبَحَنَّ بَقَرَتَكَ.

وَأَلَّا يَكُونَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ يُعْبَدُ فِيهِ غَيْرُ اللهِ أَوْ ذَرِيعَةً لِعِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ(٣).

---

(١) لِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (النَّذْرِ، ٣، رَقْمُ ١٦٤١)، مِنْ حَدِيثِ: عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه.

(٢) لِمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (جُزْءِ الصَّيْدِ، ٢٧: ١، رَقْمُ ١٨٦٥)، وَفِي (الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، ٣١: ٢، رَقْمُ ٦٧٠١)، وَمُسْلِمٌ فِي (النَّذْرِ، ٤: ١، رَقْمُ ١٦٤٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ شَيْخًا يُهَادَىٰ بَيْنَ ابْنَيْهِ، قَالَ: «**مَا بَالُ هَذَا؟**»، قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ**»، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ.

(٣) لِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، ٢٦: ٣، رَقْمُ ٣٣١٣)، مِنْ حَدِيثِ: ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِـ (بُوَانَةَ)، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِـ (بُوَانَةَ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**»، وَالْحَدِيثُ أَصْلُهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٨٧٢).

وَالشَّرْطُ السَّادِسُ: أَلَّا يَعْتَقِدَ النَّاذِرُ تَأْثِيرَ النَّذْرِ فِي حُصُولِ مَا نَذَرَ مِنْ أَجْرٍ(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ): أَيْ: دَلِيلُ كَوْنِ النَّذْرِ مِنَ الْعِبَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

وَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ اللهَ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ لِإِيفَائِهِمْ بِالنَّذْرِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ ذَلِكَ، وَكُلُّ مَحْبُوبٍ لِلَّهِ مِنَ الْأَعْمَالِ فَهُوَ عِبَادَةٌ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

* **قُلْتُ**: هَذِهِ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ: **كُلُّ مَحْبُوبٍ للهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ فَهُوَ عِبَادَةٌ**.

لِمَاذَا؟ وَمِنْ أَيْنَ أُخِذَ هَذَا؟

مِنْ تَعْرِيفِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- لِلْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ بِالْمَعْنَىٰ الْخَاصِّ(٢).

الْعِبَادَةُ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ أَوِ الْعُبُودِيَّةُ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ تَشْمَلُ الْكُلَّ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَمُسْلِمٍ وَكَافِرٍ؛ فَالْكُلُّ عَبْدٌ للهِ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ مَقْهُورٌ مَرْبُوبٌ مُسَخَّرٌ.

---

(١) لِمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْقَدَرِ، ٦: ١، رَقْمُ ٦٦٠٨)، وَفِي (الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، ٢٦: ٢، رَقْمُ ٦٦٩٣)، وَمُسْلِمٌ فِي (النَّذْرِ، ٢: ١ و ٤، رَقْمُ ١٦٣٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: نَهَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**».

(٢) «الْعُبُودِيَّةُ - مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» (١٠/ ١٤٩).

وَأَمَّا الْعُبُودِيَّةُ أَوِ الْعِبَادَةُ بِالْمَعْنَىٰ الْخَاصِّ، فَكُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ النَّذْرَ الَّذِي امْتَدَحَ اللهُ تَعَالَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَائِمِينَ بِهِ هُوَ جَمِيعُ الْعِبَادَاتِ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ الْعِبَادَاتِ الْوَاجِبَةَ إِذَا شَرَعَ فِيهَا الْإِنْسَانُ فَقَدِ الْتَزَمَ بِهَا، وَدَلِيلُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

* **قُلْتُ**: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾، يَعْنِي: مَا عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ مِنْ حَلْقٍ وَطَوَافٍ، وَرَمْيِ جَمْرَةٍ وَمَوْقِفٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا﴾، أَيْ: يَطُوفُوا، قِيلَ: طَوَافُ يَوْمِ النَّحْرِ.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾؛ لِأَنَّ اللهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ سُمِّيَ عَتِيقًا؛ لِأَنَّ اللهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، أَوْ لِحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ وَجَمَالِهِ فِي أَعْيُنِ وَقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَالْعَتِيقُ: الْحَسَنُ فِي اللُّغَةِ[١]، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْتَقَهُ أَيْضًا مِنَ الْجَبَابِرَةِ أَنْ يَصِلُوا إِلَىٰ هَدْمِهِ وَتَخْرِيبِهِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ (**عَتِيقٌ**) حُرٌّ لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٢].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالنَّذْرُ الَّذِي هُوَ إِلْزَامُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مَا، أَوْ طَاعَةٍ لِلَّهِ غَيْرِ وَاجِبَةٍ مَكْرُوهٌ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّهُ مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ

---

(١) «الصِّحَاحُ» (٤/ ١٥٢٠)، وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٠/ ٢٣٦).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (١٦/ ٥٢٥ - ٥٣٢، دَارُ هَجَرَ).

عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»(١).

* **قُلْتُ:** وَأَمَّا الْعَبْدُ الَّذِي يَتَّصِفُ بِالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ، فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ النَّذْرِ لِكَيْ يَفْعَلَ الْخَيْرَ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ مِنْ غَيْرِ مَا إِلْزَامٍ لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا مَحَبَّةً فِي اللهِ وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعَ ذَلِكَ فَإِذَا نَذَرَ الْإِنْسَانُ طَاعَةً لِلَّهِ وَجَبَ عَلَيْهِ فِعْلُهَا؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ**»(٢).

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ النَّذْرَ يُطْلَقُ عَلَىٰ الْعِبَادَاتِ الْمَفْرُوضَةِ عُمُومًا، وَيُطْلَقُ عَلَىٰ النَّذْرِ الْخَاصِّ وَهُوَ إِلْزَامُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ النَّذْرَ الْخَاصَّ إِلَىٰ أَقْسَامٍ، وَمَحَلُّ بَسْطِهَا كُتُبُ الْفِقْهِ.

* **قُلْتُ:** وَبِهَذِهِ الْعِبَادَةِ وَبِذِكْرِ دَلِيلِهَا فَرَغَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- مِنْ بَيَانِ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ.

وَالْحَمْدُ للهِ الْكَرِيمِ الدَّيَّانِ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

◉ ◉ ◉

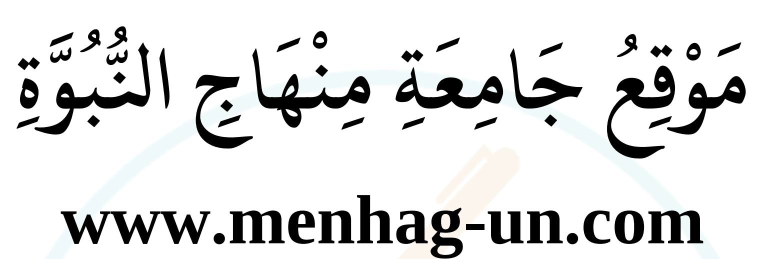
---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (النُّذُورِ، ٢٦: ٢، رَقْمُ ٦٦٩٣) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (النُّذُورِ، ٢: ٣، رَقْمُ ١٦٣٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (النُّذُورِ، ٢٨، رَقْمُ ٦٦٩٦) فِيهِ أَيْضًا (٣١: ١، رَقْمُ ٦٧٠٠)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.



جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ السَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ



جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ مِنَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ يَعْنِي: أَنْ يَعْرِفَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِأَدِلَّتِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

* **قُلْتُ:** فَلَيْسَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ، وَلَا بِالتَّقْلِيدِ، وَلَا بِالتَّخَرُّصِ، وَالظَّنِّ وَالْوَهْمِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَىٰ مِنْ عِنْدِ الْإِنْسَانِ، وَلَكِنَّ الدِّينَ بِالْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ بَاطِنُ الْخُفِّ أَوْلَىٰ بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ**»(١).

«**مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ**»: بَعْدَ أَنْ فَرَغَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْكَلَامِ عَنِ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَحَقَّقَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَحْقِيقًا بَدِيعًا، وَسَاقَ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةَ الْكَافِيَةَ، انْتَقَلَ إِلَىٰ الْأَصْلِ الثَّانِي، وَهُوَ مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَالدِّينُ فِي اللُّغَةِ: يُطْلَقُ عَلَىٰ عِدَّةِ مَعَانٍ:

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الطَّهَارَةِ، ٦١: ٢، و٣، و٤، و٥، رَقْمُ ١٦٢، و١٦٣، و١٦٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٠٣).

مِنْهَا: **الطَّاعَةُ وَالِانْقِيَادُ**، يُقَالُ: دَانَ لَهُ دَيْنًا وَدِيَانَةً إِذَا خَضَعَ وَذَلَّ وَأَطَاعَ(١).

وَمِنْ مَعَانِي الدِّينِ أَيْضًا: **مَا يَتَدَيَّنُ بِهِ الْإِنْسَانُ**(٢)، يُقَالُ: دَانَ بِكَذَا، أَيِ: اتَّخَذَهُ دِينًا وَمُعْتَقَدًا، وَتَعَبَّدَ بِهِ.

فَالدِّينُ يَكُونُ عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ وَذَاكَ، وَلَهُ مَعَانٍ فِي اللُّغَةِ كَثِيرَةٌ(٣).

بَعْدَ أَنْ فَرَغَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- مِنَ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ شَرَعَ فِي بَيَانِ الْأَصْلِ الثَّانِي، وَهَذَا الْأَصْلُ الثَّانِي هُوَ الْإِجَابَةُ عَنِ السُّؤَالِ الثَّانِي فِي الْقَبْرِ: «**مَا دِينُكَ؟**» دِينِي الْإِسْلَامُ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ عَالِمًا بِهِ، مُحِيطًا بِأَبْعَادِهِ، فَاهِمًا لِمَرَامِيهِ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ آتِيًا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ للهِ فِيهِ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءَ، وَيَحْسَبُ نَفْسَهُ آتِيًا بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنْهُ بِمَبْعَدَةٍ.

«وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ الدِّينُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَجَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَاتَمَ الْأَدْيَانِ وَأَكْمَلَهُ لِعِبَادِهِ، وَأَتَمَّ بِهِ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ»(٤).

● ● ●

---

(١) «الصِّحَاحُ» (٥/ ٢١١٨)، «النِّهَايَةُ» (٢/ ١٤٨ - ١٤٩، الْمَكْتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ - بَيْرُوتُ)، «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٣/ ١٦٩).

(٢) «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٣/ ١٧٠).

(٣) انْظُرْ: «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٣/ ١٦٦ - ١٧١، دَارُ صَادِر - بَيْرُوتُ).

(٤) «نُبْذَةٌ فِي الْعَقِيدَةِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» (٥/ ٩٩).

تَعْرِيفُ الإِسْلَامِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ: الِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ..

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: دِينُ الْإِسْلَامِ -وَإِنْ شِئْتَ فَقُلِ: الْإِسْلَامُ- هُوَ: «الِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ»، فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ.

* **قُلْتُ: فَدِينُ الْإِسْلَامِ يَقُومُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أُسُسٍ:**

الْأَوَّلُ: الِاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ.

الثَّانِي: الِانْقِيَادُ للهِ بِالطَّاعَةِ.

الثَّالِثُ: الْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

قَوْلُهُ: (لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ): قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ بِأَنْ يَسْتَسْلِمَ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ اسْتِسْلَامًا شَرْعِيًّا، وَذَلِكَ بِتَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَهَذَا الْإِسْلَامُ هُوَ الَّذِي يُحْمَدُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ وَيُثَابُ عَلَيْهِ.

* **قُلْتُ:** قَالَ: «**اسْتِسْلَامًا شَرْعِيًّا**»: يَعْنِي لَا يُرَادُ هَا هُنَا الِاسْتِسْلَامُ الْقَدَرِيُّ الْكَوْنِيُّ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ فِيهِ سَوَاءٌ.

فَالْكُلُّ كَوْنًا مُسْتَسْلِمٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالطَّائِعُ وَالْعَاصِي، الْكُلُّ مُسْتَسْلِمٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهَذَا لَا ثَوَابَ فِيهِ، إِذَا نُظِرَ إِلَىٰ الِاسْتِسْلَامِ الْقَدَرِيِّ.

فَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ سَيَأْتِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَبْدًا؛ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، حَتَّىٰ الشَّيَاطِينُ دَاخِلُونَ تَحْتَ الْقَهْرِ، حَتَّىٰ الشَّيَاطِينُ مَرْبُوبُونَ مُسَخَّرُونَ مَقْهُورُونَ، فَهُمْ مُسْتَسْلِمُونَ اسْتِسْلَامًا قَدَرِيًّا.

وَالشَّأْنُ فِي الْمَدْحِ هَا هُنَا وَالْمُرَادُ هُوَ مَا كَانَ اسْتِسْلَامًا شَرْعِيًّا بِتَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَعِبَادَتِهِ وَصَرْفِ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَهَذَا مَا يُمْدَحُ هَا هُنَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: أَمَّا الِاسْتِسْلَامُ الْقَدَرِيُّ فَلَا ثَوَابَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا حِيلَةَ لِلْإِنْسَانِ فِيهِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٣].

* **قُلْتُ:** وَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ عَبْدٌ مُذَلَّلٌ مُسَخَّرٌ، فَالْعَبْدُ بِالْمَعْنَىٰ الْكَوْنِيِّ الْقَدَرِيِّ لَا يُمْدَحُ وَلَا يُذَمُّ، الْكُلُّ مُسْتَسْلِمٌ.

وَإِنَّمَا الَّذِي يُمْدَحُ هُوَ الْعَبْدُ بِالْمَعْنَىٰ الشَّرْعِيِّ الَّذِي يُوَحِّدُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَصْرِفُ الْعِبَادَةَ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

الَّذِي يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْإِطَارِ يَكُونُ مَذْمُومًا، وَالَّذِي يَلْتَزِمُ بِهَذِهِ الْأَوَامِرِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا مِنْ تَوْحِيدِهِ وَصَرْفِ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَمُرَاعَاةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَهَذَا هُوَ الْعَبْدُ الْمَحْمُودُ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَهَذَا هُوَ الْأَسَاسُ الْأَوَّلُ.

قَوْلُهُ: (وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ): قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَذَلِكَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؛ لِأَنَّ الطَّاعَةَ طَاعَةٌ فِي الْأَمْرِ بِفِعْلِهِ وَطَاعَةٌ فِي النَّهْيِ بِتَرْكِهِ.

* **قُلْتُ:** وَالتَّقْوَىٰ هِيَ فِعْلُ الْمَأْمُورِ وَاجْتِنَابُ الْمَحْظُورِ، فَمَنْ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، فَهُوَ الْمُتَّقِي للهِ حَقًّا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ أَيْ: أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَيَتَخَلَّىٰ مِنْهُ وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ الْبَرَاءَةَ مِنْ أَهْلِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

* **قُلْتُ:** وَهَذِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا بَعْضُ النَّاسِ، أَوْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا إِلَّا بَعْضُ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَسْلِمًا اسْتِسْلَامًا شَرْعِيًّا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا لِلْأَوَامِرِ وَمُجْتَنِبًا لِلنَّوَاهِي، وَلَكِنَّهُ يَغْفُلُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الثَّالِثِ، وَهُوَ عَظِيمُ الْخَطَرِ جِدًّا، وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ.

⊙⊙⊙

مَرَاتِبُ الدِّينِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ ....

---

* **قُلْتُ:** «**الْمَرَاتِبُ**: جَمْعُ مَرْتَبَةٍ، وَالْمَرْتَبَةُ وَالرُّتْبَةُ: الْمَنْزِلَةُ وَالْمَكَانَةُ، وَرَتَّبَ الشَّيْءَ تَرْتِيبًا يَعْنِي: أَثْبَتَهُ، وَجَعَلَهُ فِي مَرْتَبَتِهِ: أَيْ فِي مَنْزِلَتِهِ وَفِي مَكَانَتِهِ»[(١)].

فَدِينُ الْإِسْلَامِ مَرَاتِبُ، وَبَعْضُهَا أَوْسَعُ مِنْ بَعْضٍ، وَبَعْضُهَا أَعْلَىٰ مِنْ بَعْضٍ؛ فَالْإِسْلَامُ أَوْسَعُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ أَوْسَعُ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَالْإِحْسَانُ أَعْلَىٰ، وَالْإِيمَانُ أَعْلَىٰ مِنَ الْإِسْلَامِ، هَذَا عِنْدَمَا يُذْكَرُ هَذَا كُلُّهُ مَجْمُوعًا، وَأَمَّا إِذَا ذُكِرَ كُلٌّ وَحْدَهُ، فَلَهُ مَعْنًىٰ يَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَيَّنَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أَنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَهِيَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

---

(١) «الصِّحَاحُ» (١/ ١٣٣)، «النِّهَايَةُ» (رتب) (٢/ ١٩٣)، «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١/ ٤٠٩ - ٤١١)، «الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ» لِلْفَيُّومِيِّ (١/ ٢١٨).

دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ جَاءَ جِبْرِيلُ يَسْأَلُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَبَيَّنَ لَهُ ﷺ ذَلِكَ، وَقَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١).

* **قُلْتُ:** «**لَهَا أَرْكَانٌ**»، أَرْكَانُ الشَّيْءِ: جَوَانِبُهُ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا، وَلَا يَقُومُ بِدُونِهَا، وَتَكُونُ جُزْءًا مِنْهُ(٢).

قَوْلُهُ: (فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ): قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: دَلِيلُ ذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**»(٣).

* **قُلْتُ:** «وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِسْلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ هَذِهِ الْخَمْسِ، فَهِيَ كَأَرْكَانِ وَدَعَائِمِ الْبُنْيَانِ، وَالْمَقْصُودُ تَمْثِيلُ الْإِسْلَامِ بِبُنْيَانٍ وَدَعَائِمُ الْبُنْيَانِ هَذِهِ الْخَمْسُ، لَا يَثْبُتُ الْبُنْيَانُ بِدُونِهَا؛ -لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَاقِلٍ يَبْنِي عَلَىٰ غَيْرِ أَسَاسٍ، وَلَيْسَ مِنْ عَاقِلٍ يَبْنِي عَلَىٰ غَيْرِ أَرْكَانٍ، وَلَيْسَ مِنْ عَاقِلٍ يَبْنِي عَلَىٰ الرِّمَالِ،

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ» لِابْنِ الْأَثِيرِ (٢/ ٢٦٠)، «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٣/ ١٨٥ - ١٨٦)، «التَّعْرِيفَاتُ» لِلْجُرْجَانِيِّ (ص١١٢، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٢، رَقْمُ ٨)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٥: ٤، رَقْمُ ١٦)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فَلَا تَثْبُتُ أَرْكَانُ دِينِ الْإِسْلَامِ هَذِهِ إِلَّا إِذَا تَحَصَّلَتْ، ثُمَّ لَا يَثْبُتُ الْإِسْلَامُ عَلَيْهَا إِلَّا إِذَا وُجِدَتْ، وَكَانَتْ قَائِمَةً-، وَبَقِيَّةُ الْخِصَالِ هِيَ كَالتَّتِمَّةِ لِلْبُنْيَانِ»(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: شَهَادَةُ أَنْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ) رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا كَانَتَا رُكْنًا وَاحِدًا مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ شِقَّيْنِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَاتِ تَنْبَنِي عَلَىٰ تَحْقِيقِهِمَا مَعًا، فَلَا تُقْبَلُ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ مَا تَتَضَمَّنُهُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاتِّبَاعُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم وَهُوَ مَا تَتَضَمَّنُهُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

* **قُلْتُ**: وَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَكَانَ صَوَابًا.

فَلَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ شَرْطِ الْإِخْلَاصِ وَشَرْطِ الْمُتَابَعَةِ؛ لِأَجْلِ ذَلِكَ كَانَتَا كَالرُّكْنِ الْوَاحِدِ، وَإِنْ تَكَوَّنَ هَذَا الرُّكْنُ مِنْ شِقَّيْنِ؛ مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ لِلْعَزِيزِ الْمَجِيدِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، هَذَا هُوَ الْإِخْلَاصُ، وَتَجْرِيدُ الْمُتَابَعَةِ لِلْمَعْصُومِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَهَذِهِ: (أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم).

⊙ ⊙ ⊙

---

(١) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ - شَرْحُ الْحَدِيثِ الثَّالِثِ» لِابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ (١/ ١٤٥، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ؛ «لَا إِلَهَ»: نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ «إِلَّا اللهُ»: مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ ....

---

* **قُلْتُ**: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، فَالشَّهَادَةُ شَهَادَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهَا رُكْنَانِ:

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: النَّفْيُ، «لَا إِلَهَ».

وَالرُّكْنُ الثَّانِي: الْإِثْبَاتُ، «إِلَّا اللهُ».

النَّفْيُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِتَوْحِيدٍ؛ يَعْنِي يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ «لَا إِلَهَ» هَذَا لَيْسَ تَوْحِيدًا، وَكَذَلِكَ الْإِثْبَاتُ الْمَحْضُ؛ لِأَنَّ الْآلِهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ مَعْبُودَةٌ بِبَاطِلٍ.

فَإِذَنْ النَّفْيُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِتَوْحِيدٍ، وَالْإِثْبَاتُ الْمَحْضُ كَذَلِكَ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا، يَعْنِي: مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ مُوَحِّدًا تَوْحِيدًا صَحِيحًا، وَهُوَ تَوْحِيدُ الْمُرْسَلِينَ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ، لَا بُدَّ مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، هَذَا هُوَ النَّفْيُ: ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾، هَذَا هُوَ الْإِثْبَاتُ، وَهَذَا هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]: نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، فَلَا بُدَّ مِنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

أَنْ تَنْفِيَ كُلَّ مَعْبُودٍ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّهُ لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ الرُّكْنَيْنِ: النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ شَهَادَةُ اللهِ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَشَهَادَةُ الْمَلَائِكَةِ وَشَهَادَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ أَيِ الْعَدْلِ، ثُمَّ قَرَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

* **قُلْتُ:** هَذِهِ الْآيَةُ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ»(١)، وَاسْتَنْبَطَ مِنْهَا عَشَرَةَ أَوْجُهٍ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ الْعِلْمِ وَشَرَفِ أَهْلِهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ حَيْثُ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ مَعَهُ وَمَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِمْ أُولُو الْعِلْمِ بِشَرِيعَتِهِ، وَيَدْخُلُ فِيهِمْ

---

(١) «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ٤٨ - ٤٩، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ).

دُخُولًا أَوَّلِيًّا رُسُلُهُ الْكِرَامُ.

* **قُلْتُ:** وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ حقًّا، وَهُمُ الَّذِينَ أَدَّوُا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ إِلَىٰ أُمَمِهِمْ حَتَّىٰ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، هَذِهِ الشَّهَادَةُ أَعْظَمُ شَهَادَةٍ لِعِظَمِ الشَّاهِدِ وَالْمَشْهُودِ بِهِ.

فَالشَّاهِدُ هُوَ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَأُولُو الْعِلْمِ، وَالْمَشْهُودُ بِهِ تَوْحِيدُ اللهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وَكَمَا سَيَأْتِي: لَمْ يَكُنِ النِّزَاعُ فِي إِثْبَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، يَعْنِي لَمْ يَأْتِ النَّبِيُّ ﷺ بِـ: «لَا رَبَّ إِلَّا اللهُ»، وَإِنَّمَا كَانَ النِّزَاعُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ، فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، فِي صَرْفِ الْعِبَادَةِ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ أَعْظَمُ شَهَادَةٍ لِعِظَمِ الشَّاهِدِ وَالْمَشْهُودِ بِهِ، فَالشَّاهِدُ هُوَ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ، وَأُولُو الْعِلْمِ، وَالْمَشْهُودُ بِهِ تَوْحِيدُ اللهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ، وَتَقْرِيرُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

* **قُلْتُ:** ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾: الْمُرَادُ بِهِمْ أَهْلُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُسْتَشْهَدُونَ عَلَىٰ أَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَأَمَّا قَوْلُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾، فَقَائِمًا: حَالٌ مِنْ شَهِدَ، يَعْنِي: حَالَةَ كَوْنِهِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: وَمَعْنَاهَا أَيْ: مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

* **قُلْتُ:** فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهَا رُكْنَانِ؛ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، كَمَا أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تفرَّدَ فِي مُلْكِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يُفْرَدَ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لَمَّا قَالَ لَهُمْ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

لَمَّا قَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، فَهِمُوا الْمُرَادَ، وَعَلِمُوا أَنَّ مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِكُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ.

وَلِذَلِكَ تَعَجَّبُوا لِأَنَّهُمْ فَهِمُوا الْمَعْنَىٰ، وَهَذا -وَا أَسَفَاهُ- مِمَّا يَجْهَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَفْهَمُ مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَهْمًا صَحِيحًا، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُقَدِّرُ مَا لَا يُقَدَّرُ هَا هُنَا، فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ، فَيَجْعَلُ الْخَبَرَ لِـ(لَا) الَّتِي هِيَ لِلتَّبْرِئَةِ، يُقَالُ لَهَا: (لَا) التَّبْرِئَةُ، هِيَ: (لَا) نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ، يَعْنِي: أَنْتَ تتبَرَّأُ مِنْ جَمِيعِ الْمَعْبُودَاتِ إِلَّا اللهُ، عِنْدَمَا تَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يُقَالُ لَهَا: (لَا) التَّبْرِئَةُ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُقَدِّرُ لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ، أَوْ لَا إِلَهَ مَعْبُودٌ إِلَّا اللهُ، الْآلِهَةُ الْمَوْجُودَةُ كَثِيرَةٌ وَهِيَ بَاطِلَةٌ، وَلَكِنْ لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، فَهَذا هُوَ الَّذِي يَسْتَقِيمُ، وَهَذَا مَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ، أَوْ قَالُوا مَعْنَاهُ، لَمَّا دَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَإِلَىٰ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فَفَهِمُوا الْمُرَادَ(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (التَّفْسِيرِ، ٣٩: ١، رَقْمُ ٣٢٣٢)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، =

فَاحْفَظْ هَذَا جَيِّدًا، مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهَا رُكْنَانِ: نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ؛ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

الْآلِهَةُ الَّتِي تُعْبَدُ بِغَيْرِ حَقٍّ كَثِيرَةٌ وَالْآلِهَةُ الْبَاطِلَةُ كَثِيرَةٌ، وَالنَّاسُ يَعْبُدُونَ مَعْبُودَاتٍ شَتَّىٰ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ يُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ لِوَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ.

مَازَالَ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا أَقْوَامٌ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ، مَازَالَ أَقْوَامٌ يَعْبُدُونَ الْحَجَرَ، هُنَاكَ وَثَنِيَّاتٌ مازَالَتْ قَائِمَةً عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَنْ يَعْتَرِفَ الْإِنْسَانُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ بِأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ (إِلَه) بِمَعْنَىٰ مَأْلُوهٍ، وَالتَّأَلُّهُ: التَّعَبُّدُ.

=

قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ، قَالَ: وَشَكَوْهُ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: «**إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**»، قَالَ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ؟! قَالَ: «**كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ**» قَالَ: «**يَا عَمِّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ، قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ،... الْحَدِيثَ.

وَالْحَدِيثُ ضَعَّفَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الضَّعِيفَةِ» (١٣/ ٩٧، رَقْمُ ٦٠٤٢)، وَقَالَ: «وَالْقِصَّةُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» فِي (الْإِيمَانِ، ٩، رَقْمُ ٢٤، و٢٥)، وَغَيْرُهُ، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مُخْتَصَرَةٌ جِدًّا؛ فَهُوَ شَاهِدٌ قَاصِرٌ».

* **قُلْتُ**: (**وَالتَّأَلُّهُ: التَّعَبُّدُ**)، مِنْ أَلِهَ يَأْلَهُ إِلَاهَةً، أَيْ: عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً[1].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَجُمْلَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، أَمَّا النَّفْيُ فَهُوَ «لَا إِلَهَ»، وَأَمَّا الْإِثْبَاتُ فَهُوَ «إِلَّا اللهُ».

وَ«اللهُ»: لَفْظُ الْجَلَالَةِ بَدَلٌ مِنْ خَبَرِ «لا» الْمَحْذُوفِ، وَالتَّقْدِيرُ «لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ» وَبِتَقْدِيرِنَا الْخَبَرَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ «حَقٌّ» يَتَبَيَّنُ الْجَوَابُ عَنِ الْإِشْكَالِ التَّالِي: وَهُوَ كَيْفَ يُقَالُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مَعَ أَنَّ هُنَاكَ آلِهَةً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَقَدْ سَمَّاهَا اللهُ تَعَالَىٰ آلِهَةً وَسَمَّاهَا عَابِدُوهَا آلِهَةً؟!

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠١].

* **قُلْتُ**: فَسَمَّاهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ آلِهَةً بَاطِلَةً يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَهُمْ دَعَوْهَا وَسَمَّوْهَا آلِهَةً، فَقَدْ يَقُولُ إِنْسَانٌ مُسْتَشْكِلًا: كَيْفَ نَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُنَالِكَ آلِهَةٌ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؟

قُلِ: التَّقْدِيرُ الصَّحِيحُ الَّذِي مَرَ يَنْفِي عَنْكَ هَذَا الْإِشْكَالَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نُثْبِتَ الْأُلُوهِيَّةَ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالرُّسُلُ يَقُولُونَ لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]؟

---

(١) «الصِّحَاحُ» لِلْجَوْهَرِيِّ (٦/ ٢٢٢٣ - ٢٢٢٤)، «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٣/ ٤٦٧ - ٤٦٩)، «الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ» (١/ ١٩).

وَالْجَوابُ عَلَىٰ هَذَا الْإِشْكَالِ يَتَبَيَّنُ بِتَقْدِيرِ الْخَبَرِ فِي «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فَنَقُولُ: هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ هِيَ آلِهَةٌ لَكِنَّهَا آلِهَةٌ بَاطِلَةٌ لَيْسَتْ آلِهَةً حَقَّةً، وَلَيْسَ لَهَا مِنْ حَقِّ الْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وَيَدُلُّ لِذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ (١) إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ١٩- ٢٣].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

إِذَنْ؛ فَمَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ ﷻ، فَأَمَّا الْمَعْبُودَاتُ سِوَاهُ فَإِنَّ أُلُوهِيَّتَهَا الَّتِي يَزْعُمُهَا عَابِدُوهَا لَيْسَتْ حَقِيقِيَّةً أَيْ: أُلُوهِيَّةٌ بَاطِلَةٌ.

* **قُلْتُ**: فَبِذَلِكَ يَنْحَلُّ الْإِشْكَالُ الَّذِي يُورِدُهُ مَنْ يُورِدُهُ.

مِنَ الْخَطَأِ أَنْ تَقُولَ: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللهُ؛ لِأَنَّ هُنَالِكَ مَعْبُودَاتٍ كَثِيرَةً، فَتَكُونُ الْمَعْبُودَاتُ كُلُّهَا هِيَ اللهَ، يَعْنِي عِنْدَمَا تَقُولُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللهُ هُنَالِكَ مَعْبُودَاتٌ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، فَهَلْ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ هِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

---

(١) أَيْ: جَائِرَةٌ عَوْجَاءُ.

وَلَكِنْ قُلْ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، وَأَمَّا إِذَا مَا قُلْتَ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللهُ، **كَلَامُ الْبَشَرِ لَنْ يَضْطَرَّ فِيهِ أَحَدٌ إِلَىٰ تأَوْيلٍ، وَإِلَىٰ حَمْلِهِ عَلَىٰ وَجْهٍ مَقْبُولٍ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعَوامِّ**، فَتَقُولُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللهُ.

يَقُولُ لَكَ: وَهُنَالِكَ مَعْبُودَاتٌ كَثِيرَةٌ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فَهَلْ تَعْنِي بِكَلَامِكَ أَنَّ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ هِيَ اللهُ؟ فَهِيَ تُعْبَدُ، وَأَنْتَ تَقُولُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللهُ، هَذِهِ تُعْبَدُ فَمَا تَقُولُ؟

لَا بُدَّ مِنَ الِاحْتِرَازِ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ الْكَلَامُ فِي الْعَقِيدَةِ، إِذَا كَانَ فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ وَالْمَقَامِ الْعَظِيمِ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، إِذَنْ كُلُّ هَذِهِ الْمَعْبُودَاتِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ هِيَ بَاطِلَةٌ وَعِبَادَتُهَا بَاطِلَةٌ.

◉ ◉ ◉

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] ....

---

* **قُلْتُ:** **(وَتَفْسِيرُهَا)**: أَيْ تَفْسِيرُ «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ **(الَّذِي يُوَضِّحُهَا)**، وَأَبَىٰ أَنْ يَكِلَ فِي بَيَانِ مَعْنَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ أَحَدٍ سِوَىٰ اللهِ، فَجَاءَ بِالْآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ: «وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾»، يَعْنِي: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا آلِهَةً وَعَبَدْتُمُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِبْرَاهِيمُ هُوَ خَلِيلُ اللهِ إِمَامُ الْحُنَفَاءِ، وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَبُوهُ آزَرُ.

﴿بَرَآءٌ﴾: صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مِنَ الْبَرَاءَةِ، وَهِيَ أَبْلَغُ مِنْ بَرِيءٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ يُوَافِي قَوْلَ: «لَا إِلَهَ».

قَوْلُهُ: ﴿فَطَرَنِى﴾: **قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ:** خَلَقَنِي ابْتِدَاءً عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ يُوَافِي قَوْلَ: «إِلَّا اللهُ».

* **قُلْتُ:** فَجاءَ بِالنَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ، وَلَا بُدَّ مِنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْجَلِيلِ حَتَّىٰ يَتَحَقَّقَ التَّوْحِيدُ، وَيَنْتَفِيَ الشِّرْكُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَالْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ مَعْنَاهُ الْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَإِنْكَارُ ذَلِكَ، وَاعْتِقَادُ بُطْلَانِهِ، وَجَاءَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، فَهَذَا هُوَ النَّفْيُ يُسَاوِي (لَا إِلَهَ)، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ يُسَاوِي (إِلَّا اللهُ)، وَهَذَا هُوَ الإِثْبَاتُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ حَصْرُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

* **قُلْتُ:** فَقَدْ تَفَرَّدَ بِالْخَلْقِ، وَهُوَ مَادَامَ قَدْ تَفَرَّدَ بِالْخَلْقِ مُتَفَرِّدٌ بِالْأَمْرِ. وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ عِنْدَ الطَّاعَةِ فِيهِ طَاعَةُ الْأَمْرِ بِالإِتْيَانِ بِهِ، وَالطَّاعَةُ عِنْدَ النَّهْيِ بِاجْتِنَابِهِ وَتَرْكِهِ، يَعْنِي بِتَرْكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، فَهَذِهِ هِيَ الْعِبَادَةُ بِالْتِزَامِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَلَهُ الْخَلْقُ وَلَهُ الْأَمْرُ الْكَوْنِيُّ وَالشَّرْعِيُّ.

* **قُلْتُ:** الْأَمْرُ الْكَوْنِيُّ: يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ بِمَا يَشَاءُ، كَيْفَمَا يَشَاءُ، وَقْتَمَا يَشَاءُ، عَلَىٰ الصُّورَةِ الَّتِي يُرِيدُ، فَهَذَا تَصْرِيفٌ كَوْنِيٌّ قَدَرِيٌّ، وَيُنَزِّلُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَا يَشَاءُ وَهَذَا هُوَ التَّقْدِيرُ الشَّرْعِيُّ، فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ شَرْعًا وَقَدَرًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سَيَدُلُّنِي عَلَىٰ الْحَقِّ وَيُوَفِّقُنِي لَهُ.

* **قُلْتُ**: السِّينُ هَا هُنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ لِلتَّوْكِيدِ[١]، يَعْنِي: سَيُرْشِدُنِي، وَيُوَفِّقُنِي، وَيُثَبِّتُنِي عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أَيْ: هَذِهِ الْكَلِمَةَ، وَهِيَ الْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَىٰ اللهِ.

﴿فِي عَقِبِهِۦ﴾: فِي ذُرِّيَّتِهِ.

* **قُلْتُ**: وَيَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]: مُوَحِّدُونَ، تَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أَيْ إِلَيْهَا مِنَ الشِّرْكِ.

* **قُلْتُ**: وَفِي الْآيَةِ: وُجُوبُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ.

وَفِي الْآيَةِ: فَضِيلَةُ مَنْ يُوَرِّثُ أَوْلَادَهُ هُدًىٰ وَصَلَاحًا، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُرَبِّيَ أَوْلَادَهُ، وَيُورِثُهُمْ الْهُدَىٰ وَالصَّلَاحَ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ جَعَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ.

---

(١) أَيْ: وَلَيْسَتْ لِلتَّسْوِيفِ وَالِاسْتِقْبَالِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] بِدُونِهَا، وَالْقِصَّةُ وَاحِدَةٌ، وَالْمُضَارِعُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلِاسْتِمْرَارِ، «تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ» (٨/ ٤٥، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ)، «حَاشِيَةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ» (٧/ ٤٣٨، دَارُ صَادِرٍ - بَيْرُوتُ)، «فَتْحُ الْبَيَانِ فِي مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ» لِصِدِّيق حَسَن خَان (١٢/ ٣٤٥).

وَفِيهَا: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مِنَ الْكَمَالِ الْعَقْلِيِّ وَالْإِدْرَاكِ السَّلِيمِ أَنْ يَتَّبِعَ الْمَرْءُ الْهُدَىٰ، وَلَوْ خَالَفَهُ أَهْلُهُ، وَلَوْ خَالَفَ قَوْمَهُ، وَلَو خَالَفَ جَمِيعَ أَهْلِ بَلَدِهِ، عَلَيْهِ أَنْ يَتَّبِعَ الْهُدَىٰ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

قَوْلُهُ: ﴿**قُلْ**﴾: **قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ** رَحِمَهُ اللهُ: الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ لِمُنَاظَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.

﴿**تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾ هَذِهِ الْكَلِمَةُ هِيَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، فَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللهَ هِيَ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَمَعْنَىٰ ﴿**سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾ أَنَّنَا نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ سَوَاءٌ فِيهَا.

* **قُلْتُ:** هَذِهِ آيَةٌ أُخْرَىٰ فِي تَفْسِيرِ الشَّهَادَةِ، ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا**﴾، أَيْ: هَلُمُّوا، وَأَقْبِلُوا ﴿**إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾، وَالْكَلِمَةُ السَّوَاءُ هِيَ: الْكَلِمَةُ الْعَادِلَةُ[١]، ﴿**إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ**﴾، أَيْ: إِلَىٰ كَلِمَةٍ عَادِلَةٍ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ كَمَا بَيَّنَهَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ**﴾؛ (أَلَّا نَعْبُدَ) هَذَا نَفْيٌ (إِلا اللهَ) هَذَا إِثْبَاتٌ.

وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْمَأْمُونُ ﷺ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ.

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٥/ ٤٧٣ – ٤٧٥، دَارُ هَجَرَ).

قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: **قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: لَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِحَيْثُ يُعَظَّمُ كَمَا يُعَظَّمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُعْبَدُ كَمَا يُعْبَدُ اللهُ، وَيُجْعَلُ الْحُكْمُ لِغَيْرِهِ.

* **قُلْتُ:** وَهَذَا مِنْ مُقْتَضَيَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أَعْرَضُوا عَمَّا دَعَوْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: **قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: فَأَعْلِنُوا لَهُمْ وَأَشْهِدُوهُمْ أَنَّكُمْ مُسْلِمُونَ لِلَّهِ، بَرِيئُونَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِنَادِ وَالتَّوَلِّي عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

* **قُلْتُ:** وَلَهَا رُكْنَانِ هُمَا: النَّفْيُ، وَالْإِثْبَاتُ، وَلَهَا شُرُوطٌ:

عِلْمٌ يَقِينٌ، وَإِخْلَاصٌ، وَصِدْقُكَ مَعْ ... مَحَبَّةٍ، وَانْقِيَادٍ، وَالْقَبُولِ لَهَا

---

(١) أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (التَّفْسِيرِ، ١٠: ١٣، رَقْمُ ٣٠٩٥)، مِنْ حَدِيثِ: عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ**»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ (بَرَاءَةٌ): ﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**»، وَحَسَّنَهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٢٩٣).

وَزِيــــدَ ثَامِنُهَـــا الْكُفْــرَانُ بِمَـــا   مَــعَ الْإِلَــهِ مِــنَ الْأَشْـيَاءِ قَــدْ أُلِهَــا

فَهَذَا زَادَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ(١).

●●●

(١) ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ فِي «فَتَاوَىٰ نُورٍ عَلَىٰ الدَّرْبِ» (١/ ٤٥) جَمْعُ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ الشُّوَيْعِرِ، وَقَالَ: «قَالَهُ شَيْخُنَا الشَّيْخُ سَعْدُ بْنُ حَمَدِ بْنِ عَتِيقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ»، وَكَذَا نَسَبَهُ الشَّيْخُ الْفَوْزَانُ فِي «شَرْحِ رِسَالَةِ تَفْسِيرِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، ضِمْنَ سِلْسِلَةِ شَرْحِ رَسَائِلِ الْإِمَامِ» جَمْعُ عَبْدِ السَّلَامِ السُّلَيْمَانِ (ص١٤٢، دَارُ الْفُرْقَانِ - الْقَاهِرَةُ).



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّامِنَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ قَوْلُهُ تعالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ....

---

* **قُلْتُ:** ﴿جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ مِنَ الْبَشَرِ، وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْكُمْ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَلَكًا رَسُولًا، وَهُوَ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يَعْنِي شَدِيدٌ عَلَيْهِ شَاقٌّ عَلَيْهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ مِنَ الرَّأْفَةِ مِنَ اللِّينِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْعَطْفِ ﴿رَّحِيمٌ﴾ فَلَيْسَ بِغَلِيظٍ، وَلَا فَظٍّ، وَلَا صَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أَيْ: مِنْ جِنْسِكُمْ بَلْ هُوَ مِنْ بَيْنِكُمْ أَيْضًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أَيْ: يَشُقُّ عَلَيْهِ مَا شَقَّ عَلَيْكُمْ.

* **قُلْتُ:** وَالْعَنَتُ بِمَعْنَىٰ الْمَشَقَّةِ(١)، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بُعِثَ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، كَمَا

---

(١) «لِسَانُ الْعَرَبِ» (٢/ ٦١).

هُوَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِيمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»(١)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بُعِثَ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: أَيْ: عَلَىٰ مَنْفَعَتِكُمْ وَدَفْعِ الضُّرِّ عَنْكُمْ.

قَوْلُهُ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: أَيْ ذُو رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ ﷺ مَأْمُورٌ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ.

وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا كَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ كَثِيرَةٌ جِدًّا تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ حَقًّا.

● ● ●

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/ ٢٦٦، رَقْمُ ٢٢٢٩١)، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٩٢٤).



مَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ ....

* **قُلْتُ:** فَمَا مَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؟

مَعْنَاهَا أَنْ تَعْتَقِدَ بِقَلْبِكَ، وَتَنْطِقَ بِلِسَانِكَ، وَتُطِيعَ بِجَوَارِحِكَ.

التَّلَفُّظُ بِاللِّسَانِ، وَالْإِنْكَارُ بِالْقَلْبِ طَرِيقَةُ الْمُنَافِقِينَ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ بِلِسَانِهِ، وَيُنْكِرُ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ هَذَا صَنِيعُ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَشْهَدُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَقُلُوبُهُمْ مُكَذِّبَةٌ بِهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وَكَذَلِكَ اعْتِقَادُ الْقَلْبِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ مَعَ عَدَمِ نُطْقِ اللِّسَانِ بِذَلِكَ لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَىٰ النُّطْقِ هَذَا هُوَ الْجُحُودُ كَمَا قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] فَكَانُوا يُقِرُّونَ بِقُلُوبِهِمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَلَا يَنْطِقُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِذَلِكَ.

فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، وَصِدْقًا بِقَلْبِكَ، وَأَنْ تَنْطِقَ بِلِسَانِكَ، وَأَنْ تُطِيعَ بِجَوَارِحِكَ، فَإِذًا لَا بُدَّ مِنَ الِاتِّبَاعِ.. لَا بُدَّ مِنَ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ.

(وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ، وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ): فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ.

(طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ)، وَالْأَدِلَّةُ كَثِيرَةٌ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦] فَهَذَا هُوَ الْأَوَّلُ.

وَالثَّانِي: **(تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ)**: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣- ٤].

وَالثَّالِثُ: **(اجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ، وَزَجَرَ)**: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وَالرَّابِعُ: **(أَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ)** ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، يَعْنِي فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ.

فَالْعِبَادَةُ تَوْقِيفِيَّةٌ فَلَا بُدَّ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْأَرْبَعَةِ: لَا بُدَّ مِنَ الطَّاعَةِ عِنْدَ الْأَمْرِ، وَالتَّصْدِيقِ عِنْدَ الْإِخْبَارِ، وَلَا بُدَّ مِنَ اجْتِنَابِ مَا نَهَىٰ عَنْهُ ﷺ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ نَبِيُّهُ ﷺ يَعْنِي مَا بَلَّغَهُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْأَقْضِيَةِ، ٨: ٢، رَقْمُ ١٧١٨)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا تَكُونُ مُتَّبِعًا لِشَرْعِهِ إِلَّا إِذَا جِئْتَ فِيمَا تَأْتِي بِهِ **بِسِتَّةِ أُمُورٍ**(١):

الْأَوَّلُ: أَنْ تُوَافِقَ فِي الْجِنْسِ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُضَحِّيَ مَثَلًا فَعَلَيْكَ أَنْ تُضَحِّيَ بِبَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِذَا أَرَادَ إِنْسَانٌ أَنْ يُضَحِّيَ مَثَلًا بِفَرَسٍ يُقَالُ لَهُ لَمْ تَأْتِ بِالْجِنْسِ الَّذِي دَلَّتِ الْأَدِلَّةُ عَلَيْهِ، وَأَشَارَتِ الشَّرِيعَةُ إِلَيْهِ، وَحَدَّدَتِ الْجِنْسَ.

الثَّانِي: السَّبَبُ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ -سَبَبُ الْعِبَادَةِ- مَشْرُوعًا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَصُومَ السَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ مَثَلًا عَلَىٰ أَنَّهُ يَتَقَرَّبُ بِذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقَالُ لَهُ: هَذَا مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهِ؟ هَذَا السَّبَبُ غَيْرُ مَشْرُوعٍ لَمْ يَشْرَعْهُ الرَّسُولُ ﷺ.

الثَّالِثُ: وَلَا بُدَّ مِنْ مُوَافَقَةِ الْكَيْفِ، فَتُصَلِّي الظُّهْرَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَتَأْتِي بِهَا فِي زَمَانِهَا، وَمَكَانِهَا، وَلَكِنْ يَأْتِي بِرُكُوعَيْنِ، وَيَأْتِي بِسُجُودٍ وَاحِدٍ أَوْ يَجْعَلُ صِيغَةَ التَّشَهُّدِ مَكَانَ الْفَاتِحَةِ قَائِمًا، وَيَأْتِي بِالْفَاتِحَةِ مَكَانَ التَّشَهُّدِ قَاعِدًا فَيُقَالُ خَالَفْتَ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الرَّسُولُ ﷺ.

الرَّابِعُ: وَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ الْكَمِّ، فَيَقُولُ أُصَلِّي الظُّهْرَ مَثَلًا، ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ أَوْ سِتَّ رَكَعَاتٍ مَثَلًا، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّ الْكَيْفَ هَا هُنَا، وَالْعَدَدَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ يُخَالِفُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

---

(١) «الْإِبْدَاعُ فِي بَيَانِ كَمَالِ الشَّرْعِ وَخَطَرِ الِابْتِدَاعِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» (٥/ ٢٥٣ - ٢٥٤).

الْخَامِسُ: كَذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ الزَّمَانِ، الَّذِي يَقِفُ مَثَلًا بِعَرَفَةَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، وَلَا يَقِفُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ فَيُخَالِفُ الزَّمَانَ يَقِفُ فِي يَوْمِ التَّرْوِيَةِ، ثُمَّ لَا يَقِفُ لِلزِّحَامِ مَثَلًا فِي يَوْمِ عَرَفَةَ لَا يُجْزِئُ، وَلَا يَكُونُ مُوَافِقًا، وَلَا مُتَّبِعًا.

السَّادِسُ: كَذَلِكَ إِذَا وَقَفَ يَوْمَ التَّاسِعِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَلَكِنَّهُ وَقَفَ بِمُزْدَلِفَةَ فَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: لَقَدْ خَالَفْتَ فِي الْمَكَانِ.

فَلَا بُدَّ مِنَ الْمُوَافَقَةِ فِي الْجِنْسِ، وَالسَّبَبِ، وَالْكَمِّ، وَالْكَيْفِ، وَالزَّمَانِ، وَالْمَكَانِ لَا تَكُونُ مُتَّبِعًا لِلشَّرْعِ حَتَّىٰ تُوَافِقَ الشَّرْعَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ السِّتَّةِ، فَإِذَا خَالَفْتَ فِيهَا كُلِّهَا أَوْ خَالَفْتَ فِي بَعْضِهَا لَا تَكُونُ مُتَّبِعًا. مَنْ أَتَىٰ بِذَلِكَ مُخَالِفًا شَيْئًا مِنْهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ لَا مُتَّبِعٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَىٰ شَهَادَةِ «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ بِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيَّ الْهَاشِمِيَّ رَسُولُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَلَا عِبَادَةَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وَمُقْتَضَىٰ هَذِهِ الشَّهَادَةِ أَنْ تُصَدِّقَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِيمَا أَخْبَرَ، وَأَنْ تَمْتَثِلَ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَأَنْ تَجْتَنِبَ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا تَعْبُدَ اللهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، وَمُقْتَضَىٰ

هَذِهِ الشَّهَادَةِ أَيْضًا أَنْ لَا تَعْتَقِدَ أَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَقًّا فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَتَصْرِيفِ الْكَوْنِ، أَوْ حَقًّا فِي الْعِبَادَةِ، بَلْ هُوَ ﷺ عَبْدٌ لَا يُعْبَدُ وَرَسُولٌ لَا يُكَذَّبُ، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ شَيْئًا مِنَ النَّفْعِ أَوِ الضُّرِّ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فَهُوَ عَبْدٌ مَأْمُورٌ يَتَّبِعُ مَا أُمِرَ بِهِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١- ٢٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

* **قُلْتُ:** فَالرَّسُولُ ﷺ أَمَرَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُبَلِّغَ الْعَالَمِينَ أَنَّهُ ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا، وَلَا ضَرًّا فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، وَمِنَ الْمَقْبُورِينَ، وَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَالَ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾.

فَنَفَىٰ عَنْهُ ﷺ عِلْمَ الْغَيْبِ، نَفَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ عِلْمَ الْغَيْبِ، فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُ؟!، وَلَا أَحَدَ يُسَامِتُ الرَّسُولَ، وَلَا يُدَانِيهِ ﷺ، فَالْكُلُّ دُونَهُ.

فَإِذَا كَانَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقَرِّرُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ ﷺ، فَكَيْفَ يَدَّعِي عِلْمَ الْغَيْبِ مَنْ دُونَهُ، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ

ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، يَقُولُ: ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾.

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ مَا وَقَعَ مَا وَقَعَ فِي يَوْمِ أُحُدٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَعَ عَلَيْهِ مَا وَقَعَ مِنَ الضُّرِّ فِي يَوْمِ أُحُدٍ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ سِنُّهُ ﷺ، وَجُرِحَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنْبِهِ، وَدَخَلَ حَلْقَةُ مِنْ حَلقَاتِ الْخَوْذَةِ (الْمِغْفَرِ) دَخلَتْ فِي وَجْنَتِهِ ﷺ فَمَا نُزِعَتْ مِنَ اللَّحْمِ الْحَيِّ إِلَّا بَعْدَ نَزْعِ أَسْنَانِ الصَّحَابِيِّ، وَهُوَ يُخرِجُهَا مِنْ لَحْمِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَسْنَانِهِ(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْمُ ٦)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٣/ ٢٦ - ٢٧، و٢٦٦، و٣٧٦، رَقْمُ ٤٣١٥، و٥١٥٩، و٥٦١٠)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (٨/ ١٧٤)، وَفِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٥٦١)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (٣/ ٢٦٣)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِهِ» (٢٥/ ٧٤ - ٧٦، و٤٤٨)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظِمِ» (٤/ ٢٦١، ٢٦٢)، وَالْمَقْدِسِيُّ فِي «الْمُخْتَارَةِ» (٤٩)، مِنْ طَرِيقِ: إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عِيسَىٰ بْنُ طَلْحَةَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:... وَقَدْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، وَقَدْ دَخَلَ فِي وَجْنَتَيْهِ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ،... » الْحَدِيث، وَإِسْحَاقُ: ضَعِيفٌ.

وَذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيرَةِ» (٢/ ٨٠)، عَنْ رَبِيحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: «أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَمَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، فَكَسَرَ رَبَاعِيَتَهُ الْيُمْنَىٰ السُّفْلَىٰ، وَجَرَحَ شَفَتَهُ السُّفْلَىٰ، وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ شَجَّهُ فِي جَبْهَتِهِ، وَأَنَّ ابْنَ قَمِئَةَ جَرَحَ وَجْنَتَهُ فَدَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْنَتِهِ، وَوَقَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفَرِ الَّتِي عَمِلَ أَبُو عَامِرٍ؛ لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ،... ».

فَيَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الرَّسُولُ ﷺ، ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾، ثُمَّ حَدَّدَ الْوَظِيفَةَ: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَبِهَذَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ لَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا مَنْ دُونَهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَيْسَتْ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

* **قُلْتُ**: النُّسُكُ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَبِالْمَعْنَىٰ الْخَاصِّ النُّسُكُ هُوَ الذَّبْحُ(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَنَّ حَقَّهُ ﷺ، أَنْ تُنْزِلَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِيَّاهَا وَهِيَ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

•••

(١) «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٠/ ٤٩٨).

دَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]........

---

* **قُلْتُ:** الصَّلَاةُ الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: الشَّهَادَةُ، وَهِيَ قِسْمَانِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَالشَّهَادَتَانِ الرُّكْنُ الْأَوَّلُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

وَالرُّكْنُ الثَّانِي: رُكْنٌ عَمَلِيٌّ بَدَنِيٌّ، وَهُوَ الصَّلَاةُ، وَالرُّكْنُ الثَّالِثُ: رُكْنٌ مَالِيٌّ، وَهُوَ الزَّكَاةُ فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا﴾ نَفْيٌ، وَإِثْبَاتٌ أَيْضًا ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ الدِّينُ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَهَذَا تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ؛ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أَيْ يُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ يُخْلِصُوا الْعِبَادَةَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿حُنَفَآءَ﴾ يَعْنِي: مُسْتَقِيمِينَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، مَائِلِينَ عَنْ كُلِّ زَيْغٍ، وَعَنْ كُلِّ انْحِرَافٍ فَيَسْتَقِيمُونَ عَلَىٰ الْمَنْهَجِ الْحَقِّ، وَعَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يَأْتُوا بِهَا كَمَا أَمَرَ اللهُ.

(إِقَامُ الصَّلَاةِ) يَعْنِي: أَنْ تَأْتِيَ بِالصَّلَاةِ بِشُرُوطِهَا، وَأَرْكَانِهَا، وَوَاجِبَاتِهَا، وَسُنَنِهَا، وَتَبْتَعِدَ عَنْ مَكْرُوهَاتِهَا فَضْلًا عَنْ مُبْطِلَاتِهَا هَذَا هُوَ إِقَامُ الصَّلَاةِ.

﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يَعْنِي: بِدَفْعِهَا إِلَىٰ مُسْتَحِقِّيهَا، وَبِجَعْلِهَا فِي مَصَارِفِهَا، وَفِي وَقْتِهَا.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ يَعْنِي الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أَيْ دِينُ الْمِلَّةِ الْقَيِّمَةِ فَحَذَفَ هَا هُنَا الْمَوْصُوفَ، وَذُكِرَتِ الصِّفَةُ، وَاكْتَفَىٰ بِالنَّعْتِ، وَحَذَفَ الْمَنْعُوتَ؛ لِوُضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾، وَلِذَلِكَ تَجِدُهَا ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أَيْ دِينُ الْمِلَّةِ الْقَيِّمَةِ، فَهَذَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي حُذِفَ فِيهَا الْمَنْعُوتُ، وَهُوَ الْمِلَّةُ.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ): أَيِ: الدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ مِنَ الدِّينِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْلِصًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَنِيفًا مُتَّبِعًا لِشَرِيعَتِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: هَذَا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَىٰ الْعَامِّ؛ لِأَنَّ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نَصَّ عَلَيْهِمَا لِمَا لَهُمَا مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ؛ فَالصَّلَاةُ عِبَادَةُ الْبَدَنِ، وَالزَّكَاةُ عِبَادَةُ الْمَالِ وَهُمَا قَرِينَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

* **قُلْتُ:** فَيَذْكُرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ كَثِيرًا فِي كِتَابِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَمَا مَنَعَ أَقْوَامٌ الزَّكَاةَ قَالَ: «**وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ**»(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: ﴿وَذَٰلِكَ﴾: أَيْ: عِبَادَةُ اللهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ.

قَوْلُهُ: ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾: أَيْ: دِينُ الْمِلَّةِ الْقَيِّمَةِ الَّتِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا دِينُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَدِينُ اللهِ مُسْتَقِيمٌ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كَمَا تَضَمَّنَتْ ذِكْرَ الْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَقَدْ تَضَمَّنَتْ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ وَأَنَّهُ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ مَيْلٍ إِلَىٰ الشِّرْكِ، فَمَنْ لَمْ يُخْلِصْ لِلَّهِ لَمْ يَكُنْ مُوَحِّدًا، وَمَنْ جَعَلَ عِبَادَتَهُ لِغَيْرِ اللهِ لَمْ يَكُنْ مُوَحِّدًا.

●●●

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الزَّكَاةِ، ١: ٦، رَقْمُ ١٣٩٩)، وَفِي (اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ، ٣: ١، رَقْمُ ٦٩٢٤)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٨: ١، رَقْمُ ٢٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الصِّيَامُ، وَالْحَجُّ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] ....

---

* **قُلْتُ:** ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ أَيْ: فُرِضَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ أَيُّ صِيَامٍ؟ هَذَا مُجْمَلٌ، فَسَّرَهُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

فَالصِّيَامُ فِي الشَّرْعِ، وَهُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ كَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ[1]، وَكَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**»[2].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٣٧، رَقْمُ ٥٠)، وَفِي (التَّفْسِيرِ، ٣١: ٢: ١، رَقْمُ ٤٧٧٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ١: ٥ و ٧، رَقْمُ ٩ و ١٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٢، رَقْمُ ٨)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٥، رَقْمُ ١٦).

كَمَا تَقُولُ: بُنِيَ الْبَيْتُ، بُنِيَ الْمَسْجِدُ عَلَىٰ قَوَاعِدَ، فَهَذِه الْقَوَاعِدُ هِيَ الْأَرْكَانُ هِيَ الْأُسُسُ الَّتِي يُبْنَىٰ عَلَيْهَا الْبُنْيَانُ، فَهِيَ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ، فَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ ﴾، أَيْ: فُرِضَ، ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ بَيَانٌ لِلْحِكْمَةِ مِنَ الصِّيَامِ.

فَالصِّيَامُ فِي الشَّرْعِ: إِمْسَاكٌ بِنِيَّةٍ عَنْ شَهْوَتَيِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَالْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ صِيَامُ رَمَضَانَ.

وَشُرُوطُ وُجُوبِ الصِّيَامِ: التَّكْلِيفُ، وَهُوَ الْبُلُوغُ، وَالْعَقْلُ، وَالْإِقَامَةُ، فَإِذَا كَانَ مُسَافِرًا فَإِنَّهُ يُرَخَّصُ لَهُ فِي الْفِطْرِ، وَكَذَلِكَ يُشْتَرَطُ السَّلَامَةُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُبِيحَةِ لِلْفِطْرِ فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ مَرِيضًا فَإِنَّهُ يُفْطِرُ، وَيَأْتِي بِالصَّوْمِ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ كَانَ الْمَرَضُ غَيْرَ مُلَازِمٍ يَعْنِي لَوْ كَانَ مَرَضًا عَابِرًا يَبْرَأُ مِنْهُ، وَيُشْفَىٰ مِنْهُ فَإِنَّهُ يُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ الْأَيَّامَ الَّتِي يَجِدُ فِيهَا الْمَرَضَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي بِعِدَّةِ تِلْكَ الْأَيَّامِ صِيَامًا بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَ رَمَضَانَ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمَرَضُ مُلَازِمًا إِذَا كَانَ الْمَرَضُ مُزْمِنًا لَا يَزُولُ، وَأَمَرَهُ الطَّبِيبُ الْحَاذِقُ الْمُسْلِمُ بِالْإِفْطَارِ فَإِنَّهُ يُفْطِرُ، وَهُوَ مُعْتَقِدٌ أَنَّ الصِّيَامَ فَرْضٌ عَلَيْهِ، وَوَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَيُفْدِي عَنْ كُلِّ يَوْمٍ أَفْطَرَهُ بِإِطْعَامِ مِسْكِينٍ، ثُمَّ هُنَالِكَ أَيْضًا شَرْطٌ آخَرُ، وَهُوَ دُخُولُ الشَّهْرِ، وَتَزِيدُ الْمَرْأَةُ شَرْطًا آخَرَ، وَهُوَ الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَيْضِ، وَالنِّفَاسِ.

وَيَجِبُ صِيَامُ رَمَضَانَ، وَهُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ كَمَا يَجِبُ أَيْضًا صَوْمُ النَّذْرِ، فَإِذَا نَذَرَ الْإِنْسَانُ صِيامًا فقَدْ وَجبَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ صَوْمُ الْكَفَّارَةِ، أَوْ مَا كَانَ فِدْيَةَ أَذًى فَكُلُّ ذَلِكَ يَجِبُ فِيهِ الصِّيَامُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَدَلِيلُ الصِّيَامِ): أَيْ: دَلِيلُ وُجُوبِهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، **فَوائِدُ**:

أَوَّلًا: أَهَمِّيَّةُ الصِّيَامِ حَيْثُ فَرَضَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِنَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، وَأَنَّهُ لَازِمٌ لِكُلِّ أُمَّةٍ.

ثَانِيًا: التَّخْفِيفُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَيْثُ إِنَّهَا لَمْ تُكَلَّفْ وَحْدَهَا بِالصِّيَامِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ فِيهِ مَشَقَّةٌ عَلَىٰ النُّفُوسِ وَالْأَبْدَانِ.

* **قُلْتُ**: فَبَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّنَا لَسْنَا بِدْعًا فِي الْأُمَمِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثَالِثًا: الْإِشَارَةُ إِلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَكْمَلَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ دِينَهَا حَيْثُ أَكْمَلَ لَهَا الْفَضَائِلَ الَّتِي سَبَقَتْ لِغَيْرِهَا.

* **قُلْتُ**: فَمَا مِنْ فَضِيلَةٍ كَانَتْ عِنْدَ مَنْ سَبَقَنَا إِلَّا وَهِيَ عِنْدَنَا، وَنَزِيدُ نَحْنُ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ مِمَّا أَتَانَا اللهُ إِيَّاهُ، وَمِمَّا دَلَّنَا عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ الْمَعْصُومِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَنَا مُسْلِمِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾: بَيَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حِكْمَةَ

الصِّيَامِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أَيْ: تَتَّقُونَ اللهَ بِصِيَامِكُمْ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ خِصَالِ التَّقْوَىٰ، وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ هَذِهِ الْفَائِدَةِ بِقَوْلِهِ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(١).

* **قُلْتُ:** وَإِنَّمَا الصِّيَامُ يُورِثُ التَّقْوَىٰ، وَيُحَصِّلُ الْعَبْدُ مِنْهُ التقوىٰ، وَيَتَحَصَّلُ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ بِالصِّيَامِ، وَالتَّقْوَىٰ تَكُفُّهُ عَنْ قَوْلِ الزُّورِ، وَعَنِ الْعَمَلِ بِهِ، وَعَنِ الصَّخَبِ، وَعَنْ قَوْلِ الْهَجْرِ مِنَ الْكَلَامِ، وَأَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ الْعَوْرَاءِ فَكُلُّ ذَلِكَ يَكُفُّهُ الصِّيَامُ عَنْهُ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وَالتَّقْوَىٰ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ-: فِعْلُ الْمَأْمُورِ وَاجْتِنَابُ الْمَحْظُورِ، هَذِهِ هِيَ التَّقْوَىٰ فَإِذَا كَانَ الصِّيَامُ مُحَصِّلًا الْعَبْدُ مِنْ وَرَائِهِ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ الْمَأْمُورَ، وَيَجْتَنِبُ الْمَحْظُورَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **قَوْلُهُ: (وَدَلِيلُ الْحَجِّ)** أَيْ: دَلِيلُ وُجُوبِهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ إلخ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَبِهَا كَانَتْ فَرِيضَةُ الْحَجِّ، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلَا حَجَّ عَلَيْهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الصَّوْمِ، ٨، رَقْمُ ١٩٠٣)، وَفِي (الْأَدَبِ، ٥١، رَقْمُ ٦٠٥٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فِي قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ تَرْكَ الْحَجِّ مِمَّنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا يَكُونُ كُفْرًا وَلَكِنَّهُ كُفْرٌ لَا يُخرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ عَلَىٰ قَوْلِ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ؛ لِقَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ[١]: «**كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ**»[٢].

* **قُلْتُ**: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ هَذِهِ يُؤْخَذُ مِنْهَا الْوُجُوبُ، ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ الْبَيْتُ الْكَعْبَةُ، وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْمَشَاعِرِ تَابِعٌ لَهَا أَيْضًا الْبَيْتُ يُحَجُّ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ فِي الْحَجِّ تَذْهَبُ أَنْتَ إِلَىٰ مِنَىٰ، وَتَذْهَبُ إِلَىٰ عَرَفَاتٍ، وَتَذْهَبُ إِلَىٰ الْمُزْدَلِفَةِ، وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ.

إِذَنْ: حَجُّ الْبَيْتِ: الْكَعْبَةُ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْمَشَاعِرِ تَابِعٌ لَهَا ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فَهَذَا فِيهِ بَيَانُ شُرُوطِ الْوُجُوبِ وَالِاسْتِطَاعَةِ، وَبَيَانُ هَذِهِ الشُّرُوطِ مَبْسُوطٌ فِي مَظَانِّهِ، وَهِيَ: اسْتِطَاعَةٌ بَدَنِيَّةٌ، وَمَالِيَّةٌ.

وَشُرُوطُ الْحَجِّ: الْإِسْلَامُ، وَالتَّكْلِيفُ، وَالْحُرِّيَّةُ، وَالِاسْتِطَاعَةُ، وَوُجُودُ الْمَحْرَمِ لِلْمَرْأَةِ لَا بُدَّ مِنْ هَذَا.

وُجُودُ الْمَحْرَمِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ فَلَا تَحُجُّ وَحْدَهَا لَا تَذْهَبُ لِلسَّفَرِ وَحْدَهَا كَمَا سَيَأْتِي فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ الْمَحْرَمِ لِلْمَرْأَةِ.

---

(١) هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَقِيقٍ، الْعُقَيْلِيُّ، بَصْرِيٌّ، ثِقَةٌ، مِنَ الْوُسْطَىٰ مِنَ التَّابِعِينَ، مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِئَةٍ، انْظُرْ: «تَهْذِيبَ الْكَمَالِ» (٣٣٣٣)، وَ«التَّقْرِيبَ» (٣٣٨٥).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٩: ٥، رَقْمُ ٢٦٢٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٥٧٩).

الْمَحْرَمُ: مَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ تَحْرِيمًا مُؤَبَّدًا هَذَا هُوَ الْمَحْرَمُ لَا تَحْرِيمًا مُؤَقَّتًا، فَمِنَ التَّحْرِيمِ الْمُؤَقَّتِ مَثَلًا: زَوْجُ أُخْتِ الْمَرْأَةِ هَذَا لَا يُعَدُّ مَحْرَمًا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ؛ لِأَنَّ أُخْتَهَا إِنْ مَاتَتْ، وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُخْتَهَا، وَكَذَلِكَ إِذَا طَلَّقَهَا، وَانْقَضَتِ الْعِدَّةُ أَيْضًا يُمْكِنُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أَيْضًا، فَإِذَا مَاتَتِ الْمَرْأَةُ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُخْتَهَا، وَكَذَلِكَ إِذَا مَا طَلَّقَ الْمَرْأَةَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُخْتَهَا أَيْضًا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

فَإِذًا الْمَحْرَمُ مَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ تَحْرِيمًا مُؤَبَّدًا لَا تَحْرِيمًا مُؤَقَّتًا، وَهَذَا التَّحْرِيمُ الْمُؤَبَّدُ يَكُونُ بِنَسَبٍ أَوْ بِسَبَبٍ، وَالسَّبَبُ يَكُونُ مُبَاحًا، وَغَيْرَ مُبَاحٍ.

غَيْرُ الْمُبَاحِ لَا يُعْتَدُّ بِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِنَسَبٍ أَوْ بِسَبَبٍ مُبَاحٍ فَأَمَّا النَّسَبُ: فَالْأُبُوَّةُ الْأَبُ، وَإِنْ عَلَا، وَالْبُنُوَّةُ، وَالِابْنُ، وَإِنْ سَفَلَ الِابْنُ، وَابْنُ الِابْنِ، وَابْنُ ابْنِ الِابْنِ.

كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمَحَارِمِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّأْبِيدِ لَا يَجُوزُ لَهُ أَبَدًا فِي أَيِّ حَالٍ، وَلَا فِي أَيِّ زَمَانٍ أَنْ يَنْكِحَ الْمَرْأَةَ، وَأَنْ يَتَزَوَّجَهَا.

فَإِذَنْ النَّسَبُ الْأُبُوَّةُ الْأَبُ، وَإِنْ عَلَا، وَالْجَدُّ، وَجَدُّ الْجَدِّ، وَهَكَذَا، وَالْبُنُوَّةُ، وَالْأُخُوَّةُ، وَالْعُمُومَةُ، وَالْخُؤُولَةُ، وَابْنُ أَخِيهَا، وَابْنُ أُخْتِهَا.

كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمَحَارِمِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّأْبِيدِ نَسَبًا، وَأَمَّا السَّبَبُ فَكَالْمُصَاهَرَةِ مِثْلُ زَوْجِ الْبِنْتِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ يَكُونُ زَوْجُ بِنْتِهَا يَكُونُ بِالنِّسْبَةِ لَهَا مُحَرَّمًا، وَكَذَلِكَ

ابْنُ زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِهَا ابْنُ زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِهَا، وَكَذَلِكَ، وَلَدُهَا مِنَ الرَّضَاعِ، وَابْنُ أُخْتِهَا مِنَ الرَّضَاعِ، وَابْنُ بِنْتِهَا مِنَ الرَّضَاعِ.

وَالسَّبَبُ هَاهُنَا -كَمَا تَرَىٰ- سَبَبٌ مُبَاحٌ، أَمَّا لَوْ كَانَ سَبَبًا غَيْرَ مُبَاحٍ فَإِنَّهُ لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِثْلَ أَنَّ الْمَرْأَةَ مَثَلًا لَيْسَ لَهَا أَنْ تَحُجَّ، وَلَا أَنْ تُسَافِرَ مَعَ مَنْ لَاعَنَهَا، وَإِنْ كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهَا عَلَىٰ سَبِيلِ التَّأْبِيدِ، وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ لَهَا أَنْ تُسَافِرَ مَعَهُ، وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا مَعَ أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّأْبِيدِ مَنْ لَاعَنَهَا؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ غَيْرُ مُبَاحٍ.

عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ**»(١).

لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُسَافِرَ الْمَسَافَةَ الَّتِي تُقْصَرُ فِيهَا الصَّلَاةُ بِغَيْرِ مَحْرَمٍ.

«**مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**» يَعْنِي أَنْ تَسِيرَ عَلَىٰ الدَّابَّةِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِي سَيْرِهَا فَإِذَا حَسَبْتَ ذَلِكَ، وَجَدْتَهُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مُقَدَّرًا؛ لِأَنَّ إِنْسَانًا يَقُولُ نَعَمْ أَنَا أُسَافِرُ إِلَىٰ أَقْصَىٰ الْأَرْضِ فِي أَقَلِّ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

إِذًا فَلْتُسَافِرْ فَإِنَّ الْمَسِيرَ هَا هُنَا أَقَلُّ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَا كَمَا كَانَ فِي لَفْظِ الرَّسُولِ ﷺ، كَانُوا يُسَافِرُونَ عَلَىٰ الْجِمَالِ أَوْ عَلَىٰ الْخَيْلِ فَهَذِهِ الْمَسِيرَةُ لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (تَقْصِيرِ الصَّلَاةِ، ٤: ٣، رَقْمُ ١٠٨٨)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْحَجِّ، ٧٤: ٩، و١٠، و١١، رَقْمُ ١٣٣٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

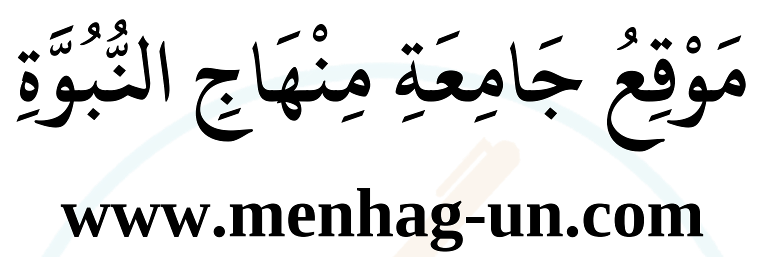
أَنْ تُسَافِرَهَا وَحْدَهَا مِنْ غَيْرِ ذِي مَحْرَمٍ إِذَا كَانَتْ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **دَلِيلَ الْحَجِّ**.

وَالْحَجُّ فِي اللُّغَةِ: الْقَصْدُ.

وَفِي الشَّرْعِ: قَصْدُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ لِعَمَلٍ مَخْصُوصٍ عَلَىٰ هَيْئَةٍ مَخْصُوصَةٍ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ -يَعْنِي فِي أَشْهَرِ الْحَجِّ الْمَعْرُوفَةِ- لِعَمَلٍ مَخْصُوصٍ، الْأَرْكَانُ الْمَعْرُوفَةُ. عَلَىٰ هَيْئَةٍ مَخْصُوصَةٍ مِنْهَا الْإِحْرَامُ. هَذَا هُوَ الْحَجُّ.

●●●



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة التَّاسِعَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ، وَهُوَ: «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(١) ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ): أَيْ مِنْ مَرَاتِبِ الدِّينِ.

قَوْلُهُ: (الْإِيمَانُ): الْإِيمَانُ فِي اللُّغَةِ التَّصْدِيقُ.

* **قُلْتُ**: الْإِيمَانُ فِي اللُّغَةِ: التَّصْدِيقُ، هُوَ لَمْ يَرْضَ هَذَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ شُرُوحِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢)، (الْإِيمَانُ فِي اللُّغَةِ التَّصْدِيقُ)؟! قَالَ: لَا، إِنَّ الْإِيمَانَ فِي اللُّغَةِ: الْإِقْرَارُ بِالشَّيْءِ عَنْ تَصْدِيقٍ بِهِ، هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ فِي اللُّغَةِ، لماذا؟

الدَّلِيلُ أَنَّكَ تَقُولُ: آمَنْتُ بِكَذَا، وَأَقْرَرْتُ بِكَذَا، وَصَدَّقْتُ فُلَانًا، وَلَا تَقُولُ: آمَنْتُ فُلَانًا، فَأَنْتَ تَقُولُ: آمَنْتُ بِكَذَا، وَأَقْرَرْتُ بِكَذَا، وَتَقُولُ: صَدَّقْتُ فُلَانًا، وَلَا تَقُولُ: آمَنْتُ فُلَانًا، فَلَيْسَ هُوَ مُطْلَقُ التَّصْدِيقِ، بَلْ هُوَ الْإِقْرَارُ بِالشَّيْءِ عَنْ تَصْدِيقٍ بِهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٣، رَقْمُ ٩)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ١٢: ١، وَ٢، رَقْمُ ٣٥)، وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حديثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**»، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ بِالشَّكِّ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**».

(٢) «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» جَمْعُ وَتَرْتِيبُ فَهْدِ بْنِ نَاصِرٍ السُّلَيْمَانِ (٨/ ٤١، دَارُ الْوَطَنِ).

فَالْإِيمَانُ يَتَضَمَّنُ مَعْنًىٰ زَائِدًا عَلَىٰ مُجَرَّدِ التَّصْدِيقِ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ، وَالِاعْتِرَافُ.

فَالْإِيمَانُ لَيْسَ أَنْ تُصَدِّقَ؛ فَيُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ النَّبِيَّ هُوَ رَسُولُ اللهِ، كَانَ أَبُو طَالِبٍ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُصَدِّقًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لَمْ يَكُنْ يُكَذِّبُهُ، وَإِنَّمَا صَدَّهُ عَنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنَ الْمُوَاضَعَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ أَنْ يَقُولَ: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)، قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أُتَّهَمَ بِأَنِّي جَزِعْتُ عِنْدَ نُزُولِ الْمَوْتِ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ»(١).

وَمَدَحَ النَّبِيَّ ﷺ بِقَصِيدَةٍ لَامِيَّةٍ عَظِيمَةٍ(٢)، وَلَكِنَّ هَذَا التَّصْدِيقَ لَمْ يُؤَدِّ إِلَىٰ الِامْتِثَالِ وَالْإِذْعَانِ، فَالتَّصْدِيقُ وَحْدَهُ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ النَّبِيَّ هُوَ

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٩: ٤، رَقْمُ ٢٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

(٢) هِيَ قَصِيدَةٌ لَامِيَّةٌ مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ، وَهِيَ مِئَةُ بَيْتٍ وَعَشَرَةُ أَبْيَاتٍ، أَوَّلُهَا قَوْلُهُ: (**خَلِيلَيَّ مَا أُذْنِي لِأَوَّلِ عَاذِلٍ... بِصَغْوَاءَ فِي حَقٍّ وَلَا عِنْدَ بَاطِلِ**)، يَذْكُرُ فِيهَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ عَدَاوَةِ قُرَيْشٍ إِيَّاهُ بِسَبَبِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَدْحِهِ نَفْسَهُ وَنَسَبَهُ، وَذِكْرِ سِيَادَتِهِ وَحِمَايَتِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «هَذِهِ قَصِيدَةٌ عَظِيمَةٌ بَلِيغَةٌ جِدًّا، لَا يَسْتَطِيعُ يَقُولُهَا إِلَّا مَنْ نُسِبَتْ إِلَيْهِ، وَهِيَ أَفْحَلُ مِنَ الْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ، وَأَبْلَغُ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَىٰ فِيهَا جَمِيعًا»، «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» لِابْنِ كَثِيرٍ (٣/ ٧٤، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ)، «عُمْدَةُ الْقَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» لِلْعَيْنِيِّ (٧/ ٣٠).

رَسُولُ اللهِ، وَلَكِنْ لَا يَتَّبِعُهُ لَا يَنْفَعُهُ تَصْدِيقُهُ، وَهَذَا يُسَمَّىٰ بِكُفْرِ الْإِعْرَاضِ، يُعْرِضُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَأَنْتَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَأَنْتَ أَقَلُّ مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ، وَيَمْضِي، كُفْرُ إِعْرَاضٍ.

وَكَذَلِكَ إِذَا صَدَّقَ يُمْكِنُ أَنْ يُصَدِّقَ النَّبِيَّ ﷺ سَيُصَدِّقُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَالْكُفَّارُ كَانُوا يُقِرُّونَ فِي بَوَاطِنِهِمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فَهُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ بَاطِنًا أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ صَادِقٌ، وَكَثُرَ النَّقْلُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَمْتَثِلُوا لِأَمْرِهِ، وَلَمْ يُذْعِنُوا لِمَا جَاءَ بِهِ ﷺ.

فَالْإِيمَانُ لَيْسَ مُجَرَّدَ التَّصْدِيقِ بَلْ هُوَ إِقْرَارٌ، وَاعْتِرَافٌ يَسْتَلْزِمُ الْقَبُولَ لِلْأَخْبَارِ، وَالتَّصْدِيقَ بِهَا، وَيَسْتَلْزِمُ أَيْضًا الْإِذْعَانَ وَالِامْتِثَالَ لِلْأَحْكَامِ.

هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ، فِيهِ مَعْنًىٰ زَائِدٌ عَلَىٰ التَّصْدِيقِ، هُوَ تَصْدِيقٌ يَتَطَلَّبُ وَيَسْتَلْزِمُ إِذْعَانًا وَامْتِثَالًا، يُصَدِّقُ الْخَبَرَ، وَيَمْتَثِلُ لِلْأَمْرِ هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا الْإِيمَانَ الْحَقَّ، وَهُوَ -أَيِ الْإِيمَانُ-: اعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ، وَيَنْقُصُ، وَيَتَفَاضَلُ أَهْلُهُ فِيهِ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ، وَيَنْقُصُ بِالسَّيِّئَاتِ وَالْمَعْصِيَاتِ(١).

---

(١) اسْمُ «الْإِيمَانِ» تَارَةً يُذْكَرُ مُفْرَدًا غَيْرَ مَقْرُونٍ بِاسْمِ «الْإِسْلَامِ»، وَلَا بِاسْمِ «الْعَمَلِ الصَّالِحِ» وَلَا غَيْرِهِمَا، وَتَارَةً يُذْكَرُ مَقْرُونًا؛ إِمَّا بِـ«الْإِسْلَامِ»، وَالِاسْمُ الْوَاحِدُ قَدْ تَخْتَلِفُ دِلَالَتُهُ: بِالْإِفْرَادِ، وَالِاقْتِرَانِ، فَيَكُونُ عِنْدَ الْإِفْرَادِ فِيهِ عُمُومٌ لِمَعْنَيَيْنِ، وَعِنْدَ الِاقْتِرَانِ لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَىٰ أَحَدِهِمَا.

فَإِذَا قُيِّدَ الْإِيمَانُ فَقُرِنَ بِـ«الْإِسْلَامِ» أَوْ بِـ«الْعَمَلِ الصَّالِحِ»، فَإِنَّهُ يُرَادُ بِهِ: **قَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُهُ،** بِاتِّفَاقِ النَّاسِ، وَهُوَ **إِقْرَارٌ بِالتَّصْدِيقِ وَالْحُبِّ وَالِانْقِيَادِ،** وَمَا كَانَ فِي الْقَلْبِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ مُوجِبُهُ وَمُقْتَضَاهُ عَلَىٰ الْجَوَارِحِ، فَيَكُونُ «الْإِسْلَامُ» الَّذِي هُوَ فِي الْأَصْلِ مِنْ بَابِ الْعَمَلِ: عَمَلِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، وَمُوجِبَاتِهِ، وَدَلَائِلِهِ، فَيُقَالُ حِينَئِذٍ: إِنَّ «الْإِيمَانَ» هُوَ: **الْإِقْرَارُ الْقَلْبِيُّ، الْمُسْتَلْزِمُ لِعَمَلِ الْجَوَارِحِ؛** فَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الدِّينَ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ: أَعْلَاهَا «الْإِحْسَانُ»، وَأَوْسَطُهَا «الْإِيمَانُ»، وَيَلِيهِ «الْإِسْلَامُ»، فَكُلُّ مُحْسِنٍ مُؤْمِنٌ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُؤْمِنٍ مُحْسِنًا، وَلَا كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنًا، وَهَكَذَا فِي سَائِرِ كَلَامِهِ ﷺ.

وَإِذَا أُفْرِدَ اسْمُ «الْإِيمَانِ» فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَيَتَنَاوَلُ جَمِيعَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَىٰ» (٧/ ٤٢، ٥٥٢، ٦٤٢)، وَيَكُونُ «الْإِسْلَامُ» حِينَئِذٍ دَاخِلًا فِي مُسَمَّىٰ «الْإِيمَانِ»، وَجُزْءًا مِنْهُ، كَقَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ الشُّعَبِ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً: أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ**»، الْحَدِيثَ، فَأَفْرَدَ ﷺ لَفْظَ «الْإِيمَانِ» فَدَخَلَ فِيهِ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ تُسَمَّىٰ إِسْلَامًا، وَأَنَّهَا تَدْخُلُ تَارَةً فِي مُسَمَّىٰ «الْإِيمَانِ»، وَتَارَةً تَكُونُ لَازِمًا لِمُسَمَّىٰ «الْإِيمَانِ»، بِحَسَبِ إِفْرَادِ الِاسْمِ وَاقْتِرَانِهِ، فَإِذَا قُرِنَ «الْإِيمَانُ» بِـ«الْإِسْلَامِ» =

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي الشَّرْعِ «اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً».

قَوْلُهُ: (بِضْعٌ): الْبِضْعُ: بِكَسْرِ الْبَاءِ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَىٰ التِّسْعَةِ.

قَوْلُهُ: (شُعْبَةً): الشُّعْبَةُ: الْجُزْءُ مِنَ الشَّيْءِ.

قَوْلُهُ: (إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ): أَيْ: إِزَالَةُ الْأَذَىٰ وَهُوَ مَا يُؤْذِي الْمَارَّةَ مِنْ أَحْجَارٍ وَأَشْوَاكٍ، وَنُفَايَاتٍ وَقُمَامَةٍ وَمَا لَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

* **قُلْتُ:** هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ فَتَكُونُ طُرُقُ الْمُسْلِمِينَ يَمُرُّ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، وَغَيْرُهُمْ تَكُونُ نَظِيفَةً مَأْمُونَةً لَيْسَ فِيهَا مَا يُؤْذِي.

إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ، فَكَيْفَ بِوَضْعِ الْأَذَىٰ فِي الطَّرِيقِ؟!

=

كَانَ مُسَمَّىٰ الْإِسْلَامِ خَارِجًا عَنْهُ، كَمَا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنْ كَانَ لَازِمًا لَهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا قُرِنَ «الْإِيمَانُ» بِـ«الْعَمَلِ»، وَأَمَّا إِذَا أُفْرِدَ اسْمُ «الْإِيمَانِ»، دَخَلَ فِيهِ «الْإِسْلَامُ» وَ«الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ»، فَيَتَنَاوَلُ الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَ، وَبِهَذَا تَأْتَلِفُ النُّصُوصُ.

وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي عَامَّةِ الْأَسْمَاءِ؛ يَتَنَوَّعُ مُسَمَّاهَا بِالْإِفْرَادِ وَالِاقْتِرَانِ: كَلَفْظِ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ؛ إِذَا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا تَنَاوَلَ الْآخَرَ، وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا كَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مُسَمًّىٰ يَخُصُّهُ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ، وَلَفْظُ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَهَذَا بَيِّنٌ ظَاهِرٌ لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ، وَسَيَأْتِي -إِنْ شَاءَ اللهُ- فِي فَائِدَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَأَرْكَانِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الْمُسْلِمُونَ كَثِيرًا مَا يُفَرِّطُونَ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ ﷺ.

تَأَمَّلْ: «إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ»، فَلَا تَجِدُ شَوَارِعَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا طُرُقَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا هِيَ عَلَيْهِ، بَلْ يُمِيطُ الْمُسْلِمُونَ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ.

أَمَّا الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْأَذَىٰ فِي الطَّرِيقِ فَقَدْ ضَاعَتْ مِنْهُمْ هَذِهِ الشُّعْبَةُ، وَالَّذِينَ يَرَوْنَ الْأَذَىٰ فِي الطَّرِيقِ، وَلَا يُمِيطُونَهُ، وَيُزِيلُونَهُ عَنِ الطَّرِيقِ ضَاعَتْ مِنْهُمْ هَذِهِ الشُّعْبَةُ أَيْضًا، شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَالْحَيَاءُ): الْحَيَاءُ صِفَةٌ انْفِعَالِيَّةٌ تَحْدُثُ عِنْدَ الْخَجَلِ وَتَحْجِزُ الْمَرْءَ عَنْ فِعْلِ مَا يُخَالِفُ الْمُرُوءَةَ.

* **قُلْتُ:** الْحَيَاءُ، هُوَ: انْقِبَاضُ النَّفْسِ عَنِ الْقَبِيحِ[١]، وَهُوَ: خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَىٰ اجْتِنَابِ الْقَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ[٢]، وَيَنْشَأُ مِنْ خَوْفِ اللهِ، وَاسْتِشْعَارِ مُرَاقَبَتِهِ، هَذَا مِنَ الْحَيَاءِ.

فَالْحَيَاءُ مِنَ الْغَرَائِزِ.. فَلِمَاذَا جُعِلَ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ، «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»؟

---

(١) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» لِلرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ (ص ٢٧٠، دَارُ الْقَلَمِ).

(٢) «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (٢/ ٦)، «فَتْحُ الْبَارِي» لِابْنِ حَجَرٍ (١/ ٥٢).

الْجَوَابُ: أَنَّهُ مِنَ الْغَرَائِزِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَكُونُ تَخَلُّقًا، وَاسْتِعْمَالُهُ فِي الشَّرْعِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِنِيَّةٍ وَاكْتِسَابٍ، فَكَانَ مِنَ الْإِيمَانِ لِهَذَا، وَلِأَنَّهُ يَبْعَثُ عَلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَيَمْنَعُ عَنِ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي فَكَانَ مِنَ الشَّرْعِ[1].

***

(١) «فَتْحُ الْبَارِي» (١/ ٥٢).

فَائِدَةٌ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِضْعًا وَسَبْعِينَ شُعْبَةً وَأَنَّ أَرْكَانَه سِتَّةٌ

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْجَمْعُ بَيْنَ مَا تَضَمَّنَهُ كَلَامُ الْمُؤَلِّفِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- مِنْ أَنَّ الْإِيمَانَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً وَأَنَّ الْإِيمَانَ أَرْكَانُهُ سِتَّةٌ أَنْ نَقُولَ: الْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ الْعَقِيدَةُ أُصُولُهُ سِتَّةٌ وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَمَا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: «**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَأَمَّا الْإِيمَانُ الَّذِي يَشْمَلُ الْأَعْمَالَ وَأَنْوَاعَهَا وَأَجْنَاسَهَا فَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَلِهَذَا سَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الصَّلَاةَ إِيمَانًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يَعْنِي صَلَاتَكُمْ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالتَّوَجُّهِ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ يُصَلُّونَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ(٢).

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٣٠، رَقْمُ ٤٠) وَفِي (التَّفْسِيرِ، ٢: ١٢، رَقْمُ ٤٤٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **قُلْتُ**: الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ إِذَا ذُكِرَا جَمِيعًا صَارَ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مَعْنًى، فَإِذَا قُرِنَا افْتَرَقَا، وَإِذَا تَفَرَّقَا اجْتَمَعَا، إِذَا ذُكِرَ مِنْهُمَا وَاحِدٌ فَقَطْ دَخَلَ فِيهِ الْآخَرُ؛ يَعْنِي عِنْدَمَا تَقُولُ: الْإِسْلَامُ يَدْخُلُ الْإِيمَانُ، وَعِنْدَمَا تَقُولُ الْإِيمَانُ يَدْخُلُ الْإِسْلَامُ، وَعِنْدَمَا تَقُولُ: الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ يَتَفَرَّقَانِ فَإِذَا اجْتَمَعَا تَفَرَّقَا، وَإِذَا تَفَرَّقَا اجْتَمَعَا يَعْنِي مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَىٰ.

فَإِذَا ذُكِرَا جَمِيعًا فُسِّرَ الْإِسْلَامُ بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَالْإِيمَانُ لِلْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ، وَهِيَ الْأَرْكَانُ السِّتَّةُ تُؤْمِنُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَمَحَلُّ ذَلِكَ الْقَلْبُ، وَلَا بُدَّ مِنَ اجْتِمَاعِهِمَا فِي الْمُسْلِمِ، يَعْنِي: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا، يَعْنِي: لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ آتِيًا بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَآتِيًا بِالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ أَيْضًا؛ الْإِيمَانُ يُقِيمُ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ، وَيُقِيمُ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ أَيْضًا.

الْإِيمَانُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ يَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَهُ:

الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

لَيْسَ الْإِيمَانُ الْمَعْرِفَةَ فَقَطْ، كَمَا يَقُولُ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ(١)، فَإِنَّهُ يَدَّعِي أَنَّ الْإِيمَانَ: مُجَرَّدُ الْمَعْرِفَةِ، حَتَّىٰ وَلَوْ لَمْ يَنْطِقْ بِلِسَانِهِ، وَلَوْ لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ،

---

(١) الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ هُوَ: أَبُو مِحْرِزٍ الرَّاسِبِيُّ مَوْلَاهُمْ (وَرَاسِبٌ، هُمْ: بَنُو الْخَزْرَجِ بْنِ جُدَّةَ مِنْ قُضَاعَةَ)، السَّمَرْقَنْدِيُّ، الْكَاتِبُ، الْمُتَكَلِّمُ، أُسُّ الضَّلَالَةِ، وَرَأْسُ الْجَهْمِيَّةِ، نَشَأَ بِالْكُوفَةِ، وَكَانَ =

مُجَرَّدُ أَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ الرَّزَّاقُ هَذَا يَكْفِي عِنْدَ هَذَا الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ.

وَلَيْسَ الْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ فَقَطْ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ أَهْلِ الزَّيْغِ، وَالضَّلَالِ أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْإِيمَانَ تَصْدِيقًا فَقَطْ، فَهَذَا يَجْعَلُهُ مَعْرِفَةً، وَهَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَهُ تَصْدِيقًا، وَلَيْسَ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالْإِقْرَارُ بِلَا عَمَلٍ يَقُولُ مُرْجِئَةُ الْفُقَهَاءِ، فَيَقُولُونَ: هُوَ التَّصْدِيقُ وَالْإِقْرَارُ، فَيَأْتُونَ بِالتَّصْدِيقِ الْقَلْبِيِّ أَوْ بِالْإِقْرَارِ الْقَلْبِيِّ، وَالتَّصْدِيقُ اللِّسَانِيُّ، وَلَا يُدْخِلُونَ الْأَعْمَالَ فِي مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ، وَحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ.

وَهَذَا خَطَأٌ، «الْإِيمَانُ: حَقِيقَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ عِلْمًا، وَتَصْدِيقُهُ عَقْدًا، وَالْإِقْرَارُ بِهِ نُطْقًا، وَالِانْقِيَادُ لَهُ مَحَبَّةً وَخُضُوعًا، وَالْعَمَلُ بِهِ ظَاهِرًا، وَبَاطِنًا، وَتَمْثِيلُهُ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ.

وَكَمَالُهُ -أَيْ وَكَمَالُ الْإِيمَانِ-: فِي الْحُبِّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضِ فِي اللهِ، وَالْعَطَاءِ للهِ، وَالْمَنْعِ للهِ، وَأَنْ يَكُونَ اللهُ وَحْدَهُ إِلَهَهُ وَمَعْبُودَهُ.

=

رَجُلًا فَصِيحًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَفَاذٌ فِي الْعِلْمِ، فَاتَّصَلَ بِبَعْضِ الزَّنَادِقَةِ، وَكَانَتِ الْكُوفَةُ حَافَّةً بِهِمْ، فَبَلَغُوا بِهِ إِلَىٰ أَنْ يُنْكِرَ صِفَاتِ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ -فِيمَا زَعَمُوا- لَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ بِصِفَاتٍ يُوصَفُ بِهَا خَلْقُهُ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَىٰ أَفْعَالِهِ، وَأَنَّهُ لَا اسْتِطَاعَةَ لَهُ أَصْلًا، وَانْتَقَلَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَىٰ خُرَاسَانَ، وَهُنَاكَ أَخَذَ يَبُثُّ ضَلَالَاتِهِ، هَلَكَ فِي زَمَانِ صِغَارِ التَّابِعِينَ، انْظُرْ: «السِّيَرَ» (٦/ رَقْمُ ٨)، وَ«الْمِيزَانَ» (١/ رَقْمُ ١٥٨٤)، وَ«الْوَافِي بِالْوَفَيَاتِ» (١١/ ١٦٠).

وَالطَّرِيقُ إِلَىٰ الْإِيمَانِ: تَجْرِيدُ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَتَغْمِيضُ عَيْنِ الْقَلْبِ عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَىٰ سِوَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ»(١).

⦿ ⦿ ⦿

(١) «الْفَوَائِدُ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ص١٠٧، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ).

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِاللهِ وَيَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِوُجُودِ اللهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْإِيمَانُ بِاللهِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِوُجُودِ اللهِ تَعَالَىٰ:

وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ وُجُودِهِ تَعَالَىٰ: الْفِطْرَةُ، وَالْعَقْلُ، وَالشَّرْعُ، وَالْحِسُّ.

❊ **قُلْتُ**: اسْتَفَاضَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي بَيَانِ ذَلِكَ كَمَا هِيَ عَادَتُهُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- عِنْدَ شَرْحِ مُتُونِ الِاعْتِقَادِ، فَإِنَّهُ كَأَنَّمَا كَانَ يُرِيدُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أَنْ يَجْعَلَ كُلَّ شَرْحٍ كَأَنَّهُ عَقِيدَةٌ بِذَاتِهَا بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يَأْتِي بِالْعَقِيدَةِ كَامِلَةً، فَلَرُبَّمَا لَمْ يَتَوَفَّرِ السَّامِعُ عَلَىٰ سَمَاعِ شَيْءٍ سِوَىٰ ذَلِكَ، وَلَرُبَّمَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ سِوَىٰ هَذَا الْكِتَابِ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ قَدْ تَحَصَّلَ عَلَىٰ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ بِأَرْكَانِهَا، وَبِمَجْمُوعِهَا، وَبِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْحَمَهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- **أَمَّا دَلَالَةُ الْفِطْرَةِ** عَلَىٰ وُجُودِهِ: فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ قَدْ فُطِرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِخَالِقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ تَفْكِيرٍ أَوْ تَعْلِيمٍ، وَلَا يَنْصَرِفُ عَنْ مُقْتَضَىٰ هَذِهِ الْفِطْرَةِ إِلَّا مَنْ طَرَأَ عَلَىٰ قَلْبِهِ مَا يَصْرِفُهُ عَنْهَا؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1].

٢ - **وَأَمَّا دَلَالَةُ الْعَقْلِ** عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ تَعَالَىٰ: فَلِأَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ سَابِقَهَا وَلَاحِقَهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ خَالِقٍ أَوْجَدَهَا؛ إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجِدَ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ صُدْفَةً.

لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجِدَ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَخْلُقُ نَفْسَهُ، لِأَنَّهُ قَبْلَ وُجُودِهِ مَعْدُومٌ فَكَيْفَ يَكُونُ خَالِقًا؟

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ صُدْفَةً، لِأَنَّ كُلَّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ، وَلِأَنَّ وُجُودَهَا عَلَىٰ هَذَا النِّظَامِ الْبَدِيعِ، وَالتَّنَاسُقِ الْمُتَآلِفِ، وَالِارْتِبَاطِ الْمُلْتَحِمِ بَيْنَ الْأَسْبَابِ وَمُسَبَّبَاتِهَا، وَبَيْنَ الْكَائِنَاتِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ يَمْنَعُ مَنْعًا بَاتًّا أَنْ يَكُونَ وُجُودُهَا صُدْفَةً، إِذِ الْمَوْجُودُ صُدْفَةً لَيْسَ عَلَىٰ نِظَامٍ فِي أَصْلِ وُجُودِهِ فَكَيْفَ يَكُونُ مُنْتَظِمًا حَالَ بَقَائِهِ وَتَطَوُّرِهِ؟!

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (الْجَنَائِزُ، ٧٩: ٥، رَقْمُ ١٣٥٩) (التَّفْسِيرُ، ٣٠: ٢، رَقْمُ ٤٧٧٥)، وَمُسْلِمٌ (الْقَدَرُ، ٦: ٣، رَقْمُ ٢٦٥٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تُوجِدَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا، وَلَا أَنْ تُوجَدَ صُدْفَةً تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ لَهَا مُوجِدٌ وَهُوَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

* **قُلْتُ:** وَالْمَثَلُ الَّذِي ضُرِبَ قَدِيمًا يَعْنِي لَوْ أَنَّ مَطْبَعَةً فِيهَا مَنْ يَصُفُّ الْأَحْرُفَ حَرْفًا بِجِوَارِ حَرْفٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكْتُبَ قَصِيدَةً مثلًا فَيَجْعَلَ حَرْفًا بِجِوَارِ حَرْفٍ، ثُمَّ وَقَعَ زِلْزَالٌ فِي الْمَكَانِ فَوَقَعَ الصُّنْدُوقُ الَّذِي يَحْوِي الْأَحْرُفَ فَتَنَاثَرَتِ الْأَحْرُفُ عَلَىٰ الْأَرْضِ فَلَمَّا جَاءَ الطَّابِعُ بَعْدُ وَنَظَرَ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَجَدَ أَنَّ الْأَحْرُفَ الَّتِي وَقَعَتْ قَدْ شَكَّلَتْ عَلَىٰ الْأَرْضِ قَصِيدَةً لِأَبِي الطَّيِّبِ مَثَلًا.. يُعْقَلُ هَذَا؟!

فَإِذَا قُلْنَا لَهُ مَنْ صَنَعَ هَذَا يَقُولُ: صُدْفَةً صُدْفَةً. نَقُولُ: لَا نُصَدِّقُكَ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يَكُونُ، وَالصُّدْفَةُ لَهَا قَانُونٌ رِيَاضِيٌّ حَازِمٌ، وَحَادٌّ جِدًّا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَخَلَّفَ فَالصُّدْفَةُ لَيْسَتْ هَكَذَا كَمَا يَظُنُّ النَّاسُ، فَإِذَا دَخَلَ الطَّابِعُ، وَدَخَلَ مَعَهُ النَّاسُ لِكَيْ يَرَوْا آثَارَ الزِّلْزَالِ عَلَىٰ الْمَكَانِ فَوَجَدُوا لَا قَصِيدَةً بَلْ وَجَدُوا دِيوَانًا قَدْ تَشَكَّلَ عَلَىٰ الْأَرْضِ مَكْتُوبٌ، يُعْقَلُ هَذَا؟!

لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْقِلَ إِنْسَانٌ مِثْلَ ذَلِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ، وَهُوَ أَمْرٌ هَيِّنٌ كَمَا تَرَىٰ فَكَيْفَ بِالْكَوْنِ فَكَيْفَ بِالْوُجُودِ بِهَذَا النِّظَامِ الْبَدِيعِ؟!

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ وَالْبُرْهَانَ الْقَطْعِيَّ فِي سُورَةِ الطُّورِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾

[الطور: ٣٥] يَعْنِي أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، وَلَا هُمُ الَّذِينَ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ، فَتعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ خَالِقُهُمْ هُوَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِهَذَا لَمَّا سَمِعَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ سُورَةَ الطُّورِ، فَبَلَغَ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥- ٣٧]، وَكَانَ جُبَيْرٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكًا، قَالَ: «**كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي**»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُفَرَّقًا[١].

وَلْنَضْرِبْ مَثَلًا يُوَضِّحُ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَوْ حَدَّثَكَ شَخْصٌ عَنْ قَصْرٍ مُشَيَّدٍ، أَحَاطَتْ بِهِ الْحَدَائِقُ، وَجَرَتْ بَيْنَهَا الْأَنْهَارُ، وَمُلِئَ بِالْفُرُشِ وَالْأَسِرَّةِ[٢]، وَزُيِّنَ بِأَنْوَاعِ الزِّينَةِ مِنْ مُقَوِّمَاتِهِ وَمُكَمِّلَاتِهِ، وَقَالَ لَكَ: إِنَّ هَذَا الْقَصْرَ وَمَا فِيهِ مِنْ كَمَالٍ قَدْ أَوْجَدَ نَفْسَهُ، أَوْ وُجِدَ هَكَذَا صُدْفَةً بِدُونِ مُوجِدٍ، لَبَادَرْتَ إِلَىٰ إِنْكَارِ ذَلِكَ وَتَكْذِيبِهِ، وَعَدَدْتَ حَدِيثَهُ سَفَهًا مِنَ الْقَوْلِ، أَفَيَجُوزُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَوْنُ الْوَاسِعُ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، وَأَفْلَاكِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَنِظَامِهِ الْبَدِيعِ الْبَاهِرِ، قَدْ أَوْجَدَ نَفْسَهُ، أَوْ وُجِدَ صُدْفَةً بِدُونِ مُوجِدٍ؟!

* **قُلْتُ:** قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَغَازِي، ١٢: ٢٦، رَقْمُ ٤٠٢٣) وَفِي (التَّفْسِيرِ، ٥٢: ٢، رَقْمُ ٤٨٥٤)، وَمُسْلِمٌ فِي (الصَّلَاةِ، ٣٥: ١٤، رَقْمُ ٤٦٣)، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٢) جَمْعُ فِرَاشٍ وَسَرِيرٍ.

قَالَ: الْأَثَرُ يَدُلُّ عَلَىٰ الْمَسِيرِ. أَثَرُ السَّيْرِ يَدُلُّ عَلَىٰ الْمَسِيرِ، إِذَا وَجَدْتُ أَثَرَ خُفٍّ وَأَخْفَافٍ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَقُولُ سَارَ هَا هُنَا بَعِيرٌ، وَإِذَا وَجَدْتُ آثَارَ أَظْلَافٍ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَقُولُ كَانَ هَا هُنَا ظَبْيٌ، إِذَا وَجَدْتَ آثَارَ أَقْدَامِ آدَمِيٍّ تَقُولُ مَرَّ هَا هُنَا إِنْسَانٌ، قَالَ: الْأَثَرُ يَدُلُّ عَلَىٰ الْمَسِيرِ، وَالْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ الْبَعِيرِ.

قَالَ: فَإِذَا رَأَيْنَا بَعْرَةً قُلْنَا مِنْ بَعِيرٍ، وَالْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ الْبَعِيرِ، فَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ، وَبِحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ أَلَا يَدُلُّ كُلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ؟!

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣ - **وَأَمَّا دَلَالَةُ الشَّرْعِ** عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ تَعَالَىٰ: فَلِأَنَّ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ كُلَّهَا تَنْطِقُ بِذَلِكَ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِمَصَالِحِ الْخَلْقِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهَا مِنْ رَبٍّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْكَوْنِيَّةِ الَّتِي شَهِدَ الْوَاقِعُ بِصِدْقِهَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهَا مِنْ رَبٍّ قَادِرٍ عَلَىٰ إِيجَادِ مَا أَخْبَرَ بِهِ.

٤ - **وَأَمَّا أَدِلَّةُ الْحِسِّ** عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّنَا نَسْمَعُ وَنُشَاهِدُ مِنْ إِجَابَةِ الدَّاعِينَ، وَغَوْثِ الْمَكْرُوبِينَ، مَا يَدُلُّ دَلَالَةً قَاطِعَةً عَلَىٰ وُجُودِهِ تَعَالَىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[١]: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا»، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَىٰ فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا وَضَعَهَا حَتَّىٰ ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّىٰ رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَفِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ قَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ -أَوْ قَالَ: غَيْرُهُ- فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا»، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا**»، فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَىٰ نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ.

وَمَا زَالَتْ إِجَابَةُ الدَّاعِينَ أَمْرًا مَشْهُودًا إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا لِمَنْ صَدَقَ اللُّجُوءَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَأَتَىٰ بِشَرَائِطِ الْإِجَابَةِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي تُسَمَّىٰ (**الْمُعْجِزَاتِ**) وَيُشَاهِدُهَا النَّاسُ، أَوْ يَسْمَعُونَ بِهَا، بُرْهَانٌ قَاطِعٌ عَلَىٰ وُجُودِ مُرْسِلِهِمْ، وَهُوَ اللهُ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّهَا أُمُورٌ خَارِجَةٌ عَنْ نِطَاقِ الْبَشَرِ، يُجْرِيهَا اللهُ تَعَالَىٰ تَأْيِيدًا لِرُسُلِهِ وَنَصْرًا لَهُمْ.

مِثَالُ ذَلِكَ: آيَةُ مُوسَىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَحْرَ، فَضَرَبَهُ فَانْفَلَقَ اثْنَيْ عَشَرَ طَرِيقًا يَابِسًا، وَالْمَاءُ بَيْنَهَا كَالْجِبَالِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْجُمُعَةِ، ٣٥، رَقْمُ ٩٣٣) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ، ٢: ٢، رَقْمُ ٨٩٧).

* **قُلْتُ:** هَذِهِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ الْإِلَهُ الْقَادِرُ الْقَدِيرُ الْمُقْتَدِرُ الْإِلَهُ الْحَقُّ الَّذِي لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ ﷻ فَهَذِهِ الْآيَةُ، وَالْمُعْجِزَةُ لِمُوسَىٰ عليه السلام دَلِيلٌ عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَمِثَالٌ ثَانٍ: آيَةُ عِيسَىٰ ﷺ حَيْثُ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ بِإِذْنِ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وَقَالَ: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

وَمِثَالٌ ثَالِثٌ: لِمُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ طَلَبَتْ مِنْهُ قُرَيْشٌ آيَةً، فَأَشَارَ إِلَىٰ الْقَمَرِ فَانْفَلَقَ فِرْقَتَيْنِ فَرَآهُ النَّاسُ.

* **قُلْتُ:** وَالنَّاسُ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا يَجِدُونَ صِدْقَ الرَّسُولِ ﷺ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ، وَفِيمَا جَاءَ بِهِ ﷺ؛ قَدْ وُجِدَ فِي الْهِنْدِ حَجَرٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ تَارِيخُ انْفِلَاقِ الْقَمَرِ، وَعِنْدَ مُضَاهَاةِ هَذَا التَّارِيخِ بِتَارِيخِ بَعْثَةِ الرَّسُولِ ﷺ وُجِدَ مُتَطَابِقًا.

فَأَرَادُوا مُعْجِزَةً فَأَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْقَمَرِ فَانْفَلَقَ، وَكَانَ الْجَبَلُ بَيْنَهُمَا قَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ، فَقَالُوا: نَتَلَقَّىٰ الرُّكْبَانَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ، فَكَيْفَ يَسْحَرُهُمْ؟! أَيَسْحَرُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ ﷺ؟! هَذَا لَا يُعْقَلُ، فَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُ فِي لَيلَةِ كَذَا وَقَعَ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا انْشِقَاقُ الْقَمَرِ مُعْجِزَةً لِلرَّسُولِ ﷺ(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (التَّفْسِيرِ، ٥٥: ٥، رَقْمُ ٣٢٨٩)، مِنْ حَدِيثِ: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، =

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١- ٢]، فَهَذِهِ الْآيَاتُ الْمَحْسُوسَةُ الَّتِي يُجْرِيهَا اللهُ تَعَالَىٰ تَأْيِيدًا لِرُسُلِهِ، وَنَصْرًا لَهُمْ، تَدُلُّ دَلَالَةً قَطْعِيَّةً عَلَىٰ وُجُودِهِ تَعَالَىٰ.

◉ ◉ ◉

=

قَالَ: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّىٰ صَارَ فِرْقَتَيْنِ: عَلَىٰ هَذَا الْجَبَلِ، وَعَلَىٰ هَذَا الْجَبَلِ، فَقَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَئِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ»، وَزَادَ رُزَيْنٌ كَمَا فِي «جَامِعِ الْأُصُولِ» (١١/ رَقْمُ ٨٩٣٧): «فَكَانُوا يَتَلَقَّوْنَ الرُّكْبَانَ، فَيُخْبِرُونَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ فَيُكَذِّبُونَهُمْ».

وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٣/ ٣٤١)، وَانْظُرْ: «أَحَادِيثُ مُعَلَّةٌ ظَاهِرُهَا الصِّحَّةُ» لِأَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ مُقْبِلِ بْنِ هَادِي الْوَادِعِيِّ (رَقْمُ ١٠٤، دَارُ الْآثَارِ).

وَالْحَدِيثُ أَصْلُهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٢٧: ١، رَقْمُ ٣٦٣٦) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، ٨: ١، و٢، و٣، رَقْمُ ٢٨٠٠)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِنًىٰ إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْهَدُوا».

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ: أَيْ بِأَنَّهُ وَحْدَهُ الرَّبُّ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مُعِينَ.

وَالرَّبُّ: مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْمُلْكُ، وَالْأَمْرُ، فَلَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، وَلَا مَالِكَ إِلَّا هُوَ، وَلَا أَمْرَ إِلَّا لَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ أَنْكَرَ رُبُوبِيَّةَ اللهِ سُبْحَانَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُكَابِرًا غَيْرَ مُعْتَقِدٍ بِمَا يَقُولُ، كَمَا حَصَلَ مِنْ فِرْعَوْنَ حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، لَكِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ عَنْ عَقِيدَةٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وَقَالَ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ فِيمَا حَكَىٰ اللهُ عَنْهُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

وَلِهَذَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُقِرُّونَ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، مَعَ إِشْرَاكِهِمْ بِهِ فِي الْأُلُوهِيَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾

[المؤمنون: ٨٤- ٨٩].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وَقَالَ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وَأَمْرُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ شَامِلٌ لِلْأَمْرِ الْكَوْنِيِّ وَالشَّرْعِيِّ فَكَمَا أَنَّهُ مُدَبِّرُ الْكَوْنِ الْقَاضِي فِيهِ بِمَا يُرِيدُ حَسْبَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، فَهُوَ كَذَلِكَ الْحَاكِمُ فِيهِ بِشَرْعِ الْعِبَادَاتِ وَأَحْكَامِ الْمُعَامَلَاتِ حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، فَمَنِ اتَّخَذَ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ مُشَرِّعًا فِي الْعِبَادَاتِ أَوْ حَاكِمًا فِي الْمُعَامَلَاتِ فَقَدْ أَشْرَكَ بِهِ وَلَمْ يُحَقِّقِ الْإِيمَانَ.

⊙ ⊙ ⊙

الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأُلُوهِيَّتِهِ

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الثَّالِثُ**: الْإِيمَانُ بِأُلُوهِيَّتِهِ، أَيْ: (بِأَنَّهُ وَحْدَهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ) وَ«الْإِلَهُ» بِمَعْنَى «الْمَأْلُوهِ» أَيِ الْمَعْبُودِ حُبًّا وَتَعْظِيمًا، وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

كُلُّ مَا اتُّخِذَ إِلَهًا مَعَ اللهِ يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ فَأُلُوهِيَّتُهُ بَاطِلَةٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وَتَسْمِيَتُهَا آلِهَةً لَا يُعْطِيهَا حَقَّ الْأُلُوهِيَّةِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي (اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ): ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣]، وَحَكَىٰ عَنْ هُودٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [الأعرف: ٧١]، وَحَكَىٰ عَنْ يُوسُفَ أَنَّهُ قَالَ لِصَاحِبَيِ السِّجْنِ: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٣٩- ٤٠].

وَلِهَذَا كَانَ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَقُولُونَ لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وَلَكِنْ أَبَىٰ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً، يَعْبُدُونَهُمْ مَعَ اللهِ ﷻ، وَيَسْتَنْصِرُونَ بِهِمْ، وَيَسْتَغِيثُونَ، وَقَدْ أَبْطَلَ اللهُ تَعَالَىٰ اتِّخَاذَ الْمُشْرِكِينَ هَذِهِ الْآلِهَةَ بِبُرْهَانَيْنِ عَقْلِيَّيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْآلِهَةِ الَّتِي اتَّخَذُوهَا شَيْءٌ مِنْ خَصَائِصِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لَا تَخْلُقُ، وَلَا تَجْلِبُ نَفْعًا لِعَابِدِيهَا، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرَرًا، وَلَا تَمْلِكُ لَهُمْ حَيَاةً وَلَا مَوْتًا، وَلَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَلَا يُشَارِكُونَ فِيهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ﴾ [سبأ: ٢٢- ٢٣].

وَقَالَ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١- ١٩٢].

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَ تِلْكَ الْآلِهَةِ، فَإِنَّ اتِّخَاذَهَا آلِهَةً مِنْ أَسْفَهِ السَّفَهِ، وَأَبْطَلِ الْبَاطِلِ.

الثَّانِي: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ الرَّبُّ الْخَالِقُ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ

يُوَحِّدُوهُ بِالْأُلُوهِيَّةِ كَمَا وَحَّدُوهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢]، وَقَالَ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

* **قُلْتُ**: يَعْنِي فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ تَعَالَىٰ؟! فَجَعَلَ تَوْحِيدَهُمْ إِيَّاهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ مُسْتَلْزِمًا لِتَوْحِيدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ يَعْنِي بِصَرْفِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَالَ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١- ٣٢].

* **قُلْتُ**: ﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾: عَنْ عِبَادَتِهِ، وَتَتَوَجَّهُونَ بِتِلْكَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ وَجْهِهِ، فَهَذَا هُوَ الْبُرْهَانُ الْعَقْلِيُّ الثَّانِي، الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الشَّمْسَ هِيَ الْمَعْبُودُ يُقَالُ لَهُمْ: مَا الْمَنْهَجُ الَّذِي فَرَضَتْهُ عَلَيْكُمْ كَيْ تَعْبُدُوهَا بِهِ مَا هِيَ أَوَامِرُهَا، وَنَوَاهِيهَا لَكُمْ؟!

وَكَيْفَ تُصَرِّفُ حَيَاتَكُمْ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ؟! فَهَذَا إِلَهٌ يُعْبَدُ؟! هَذَا مَخْلُوقٌ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ كُلُّهَا كَمَا تَرَىٰ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ.



الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ**: أَيْ: إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَىٰ الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَقَالَ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، وَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَقَدْ ضَلَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ طَائِفَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: (الْمُعَطِّلَةُ) الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ أَوْ بَعْضَهَا، زَاعِمِينَ أَنَّ إِثْبَاتَهَا لِلَّهِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، أَيْ تَشْبِيهَ اللهِ تَعَالَىٰ بِخَلْقِهِ، **وَهَذَا الزَّعْمُ بَاطِلٌ لِوُجُوهٍ مِنْهَا:**

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ لَوَازِمَ بَاطِلَةً كَالتَّنَاقُضِ فِي كَلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، وَنَفَىٰ أَنْ يَكُونَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ إِثْبَاتُهَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ لَزِمَ التَّنَاقُضُ فِي كَلَامِ اللهِ، وَتَكْذِيبُ بَعْضِهِ بَعْضًا.

الثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنَ اتِّفَاقِ الشَّيْئَيْنِ فِي اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ أَنْ يَكُونَا مُتَمَاثِلَيْنِ، فَأَنْتَ تَرَىٰ الشَّخْصَيْنِ يَتَّفِقَانِ فِي أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا إِنْسَانٌ سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، مُتَكَلِّمٌ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَمَاثَلَا فِي الْمَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ، وَتَرَىٰ الْحَيَوَانَاتِ لَهَا أَيْدٍ وَأَرْجُلٌ وَأَعْيُنٌ وَلَا يَلْزَمُ مِنَ اتِّفَاقِهَا هَذَا أَنْ تَكُونَ أَيْدِيهَا وَأَرْجُلُهَا وَأَعْيُنُهَا مُتَمَاثِلَةً.

* **قُلْتُ:** فَلَيْسَتْ يَدُ النَّمْلَةِ كَيَدِ الْفِيلِ كَيَدِ الْإِنْسَانِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فَإِذَا ظَهَرَ التَّبَايُنُ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِيمَا تَتَّفِقُ فِيهِ مِنْ أَسْمَاءٍ، أَوْ صِفَاتٍ، فَالتَّبَايُنُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ أَبْيَنُ وَأَعْظَمُ.

الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ: (الْمُشَبِّهَةُ) الَّذِينَ أَثْبَتُوا الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ مَعَ تَشْبِيهِ اللهِ تَعَالَىٰ بِخَلْقِهِ زَاعِمِينَ أَنَّ هَذَا مُقْتَضَىٰ دَلَالَةِ النُّصُوصِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُخَاطِبُ الْعِبَادَ بِمَا يَفْهَمُونَ.

* **قُلْتُ:** هَذَا وَهَذَا عَلَىٰ طَرَفَيْ نَقِيضٍ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُمُ الْوَسَطُ الْمَحْمُودُ؛ لِأَنَّهُمْ بَيْنَ أَهْلِ الْفِرَقِ الَّتِي افْتَرَقَتْ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا الْأُمَّةُ، كَالْمُسْلِمِينَ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَلِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **وَهَذَا الزَّعْمُ بَاطِلٌ لِوُجُوهٍ مِنْهَا:**

الْأَوَّلُ: أَنَّ مُشَابَهَةَ اللهِ تَعَالَىٰ لِخَلْقِهِ أَمْرٌ بَاطِلٌ يُبْطِلُهُ الْعَقْلُ، وَالشَّرْعُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُقْتَضَىٰ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَمْرًا بَاطِلًا.

الثَّانِي: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَاطَبَ الْعِبَادَ بِمَا يَفْهَمُونَ مِنْ حَيْثُ أَصْلُ الْمَعْنَىٰ، أَمَّا الْحَقِيقَةُ وَالْكُنْهُ الَّذِي عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ، فَهُوَ: مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِعِلْمِهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ.

فَإِذَا أَثْبَتَ اللهُ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ سَمِيعٌ، فَإِنَّ السَّمْعَ مَعْلُومٌ مِنْ حَيْثُ أَصْلُ الْمَعْنَىٰ (وَهُوَ إِدْرَاكُ الْأَصْوَاتِ) لَكِنْ حَقِيقَةُ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ سَمْعِ اللهِ تَعَالَىٰ غَيْرُ مَعْلُومَةٍ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ السَّمْعِ تَتَبَايَنُ حَتَّىٰ فِي الْمَخْلُوقَاتِ، فَالتَّبَايُنُ فِيهَا بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، أَبْيَنُ وَأَعْظَمُ.

وَإِذَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ فَإِنَّ الِاسْتِوَاءَ مِنْ حَيْثُ أَصْلُ الْمَعْنَىٰ مَعْلُومٌ، لَكِنَّ حَقِيقَةَ الِاسْتِوَاءِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا غَيْرُ مَعْلُومَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ اسْتِوَاءِ اللهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الِاسْتِوَاءِ تَتَبَايَنُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ، فَلَيْسَ الِاسْتِوَاءُ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ مُسْتَقِرٍّ كَالِاسْتِوَاءِ عَلَىٰ رَحْلِ بَعِيرٍ صَعْبٍ نَفُورٍ، فَإِذَا تَبَايَنَتْ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ، فَالتَّبَايُنُ فِيهَا بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ أَبْيَنُ وَأَعْظَمُ.

* **قُلْتُ**: فَالصِّفَاتُ عَلَىٰ قَدْرِ الذَّوَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بِاللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا يُثْمِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: تَحْقِيقُ تَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ بِحَيْثُ لَا يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِهِ رَجَاءٌ، وَلَا خَوْفٌ، وَلَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ.

الثَّانِيَةُ: كَمَالُ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَعْظِيمُهُ بِمُقْتَضَىٰ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا.

الثَّالِثَةُ: تَحْقِيقُ عِبَادَتِهِ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَىٰ عَنْهُ.

* **قُلْتُ:** مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ هُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ بِوُجُودِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي لَمْ يُسْبَقْ بِضِدٍّ، وَلَمْ يُعْقَبْ بِهِ.

هُوَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، حَيٌّ قَيُّومٌ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

فَتُؤْمِنُ بِوُجُودِهِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ، وَتُوَحِّدُهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَبِأُلُوهِيَّتِهِ، وَبِأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ(١).

⁂

(١) «أَعْلَامُ السُّنَّةِ الْمَنْشُورَةِ» سُؤَالُ: مَا مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ؟ (ص١٩، ط الْوَزَارَةِ).

الرُّكْنُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَيَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِمْ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَلَائِكَتِهِ ....

* **قُلْتُ:** وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ مَعْنَاهُ: الْإِقْرَارُ الْجَازِمُ بِوُجُودِهِمْ، وَأَنَّهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ مَرْبُوبُونَ مُسَخَّرُونَ، وَعِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، وَلَا يَسْأَمُونَ، وَلَا يَمَلُّونَ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمَلَائِكَةُ: عَالَمٌ غَيْبِيٌّ مَخْلُوقُونَ عَابِدُونَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ، خَلَقَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ نُورٍ، وَمَنَحَهُمْ الِانْقِيَادَ التَّامَّ لِأَمْرِهِ، وَالْقُوَّةَ عَلَىٰ تَنْفِيذِهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩- ٢٠].

---

(١) «أَعْلَامُ السُّنَّةِ الْمَنْشُورَةِ» س/ مَا مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ؟ (ص٤١، ط الْوَزَارَةِ).

وَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ الْمِعْرَاجِ: **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رُفِعَ لَهُ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ.**

* **قُلْتُ:** وَكَذَلِكَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَىٰ اللهِ**»، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَضُ(٢).

لَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَضُ»، هَذَا إِدْرَاجٌ مِنْ رَاوِي الْحَدِيثِ مِنْ كَلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِمْ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٦: ١، رَقْمُ ٣٢٠٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٤: ١، رَقْمُ ١٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الزُّهْدِ، ٩: ١، رَقْمُ ٢٣١٢)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الزُّهْدِ، ١٩: ١، رَقْمُ ٤١٩٠)، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٧٢٢).

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَنْ عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ كَجِبْرِيلَ، وَمَنْ لَمْ نَعْلَمِ اسْمَهُ نُؤْمِنُ بِهِمْ إِجْمَالًا.

* **قُلْتُ**: كَحَمَلَةِ الْعَرْشِ.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللهُ: **الثَّالِثُ**: الْإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا مِنْ صِفَاتِهِمْ، كَصِفَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ رَآهُ عَلَىٰ صِفَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، وَلَهُ سِتُّمِئَةِ جَنَاحٍ، قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ(١).

وَقَدْ يَتَحَوَّلُ الْمَلَكُ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَىٰ هَيْئَةِ رَجُلٍ، كَمَا حَصَلَ (لِجِبْرِيلَ) حِينَ أَرْسَلَهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ مَرْيَمَ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، وَحِينَ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ جَاءَهُ بِصِفَةِ رَجُلٍ شَدِيدِ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدِ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِسْلَامِ،

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٧: ٩، رَقْمُ ٣٢٣٢) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٦: ٤، رَقْمُ ١٧٤)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]، قَالَ: «**رَأَىٰ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، لَهُ سِتُّمِئَةِ جَنَاحٍ**».

وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٧: ١٢، رَقْمُ ٣٢٣٥) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٧: ٨، رَقْمُ ١٧٧)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨- ٩]، قَالَتْ: «**ذَاكَ جِبْرِيلُ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الْأُفُقَ**».

وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، وَالسَّاعَةِ، وَأَمَارَاتِهَا، فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَانطَلَقَ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَلُوطٍ كَانُوا فِي صُورَةِ رِجَالٍ.

الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَقُومُونَ بِهَا بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، كَتَسْبِيحِهِ، وَالتَّعَبُّدِ لَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا بِدُونِ مَلَلٍ وَلَا فُتُورٍ.

وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِهِمْ أَعْمَالٌ خَاصَّةٌ.

مِثْلَ: جِبْرِيلَ الْأَمِينِ عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ تَعَالَىٰ، يُرْسِلُهُ اللهُ بِهِ إِلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ.

وَمِثْلَ: مِيكَائِيلَ الْمُوَكَّلِ بِالْقَطْرِ أَيْ: بِالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ.

وَمِثْلَ: إِسْرَافِيلَ الْمُوَكَّلِ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَبَعْثِ الْخَلْقِ.

وَمِثْلَ: مَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

وَمِثْلَ: مَالِكٍ الْمُوَكَّلِ بِالنَّارِ وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ.

وَمِثْلَ: الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالْأَجِنَّةِ فِي الْأَرْحَامِ إِذَا تَمَّ لِلْإِنْسَانِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا وَأَمَرَهُ بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ.

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

وَمِثْلَ: الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِحِفْظِ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ وَكِتَابَتِهَا لِكُلِّ شَخْصٍ، مَلَكَانِ: أَحَدُهُمَا عَنِ الْيَمِينِ، وَالثَّانِي عَنِ الشِّمَالِ.

وَمِثْلَ: الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِسُؤَالِ الْمَيِّتِ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ يَسْأَلَانِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ.

* **قُلْتُ:** وَهِيَ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا.

وَمِثْلُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧].

وَأَيْضًا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ.

وَالْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِتَنْفِيذِ الْأَوَامِرِ فِي أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ بِعَظَمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقُوَّتِهِ، وَسُلْطَانِهِ، فَإِنَّ عَظَمَةَ الْمَخْلُوقِ مِنْ عَظَمَةِ الْخَالِقِ.

الثَّانِيَةُ: شُكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِنَايَتِهِ بِبَنِي آدَمَ، حَيْثُ وَكَّلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ مَنْ يَقُومُ بِحِفْظِهِمْ، وَكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِهِمْ.

الثَّالِثَةُ: مَحَبَّةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

* **قُلْتُ:** «**إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ، وَعِنْدَ الْجِمَاعِ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ**»(١)، بِذَا أَمَرَنا الرَّسُولُ ﷺ.

إِذَا آمَنْتَ بِالْمَلَائِكَةِ، وَآمَنْتَ أَنَّ مَعَكَ مَنْ لَا يُفَارِقُكَ، وَأَنَّهُ يُحْصِي عَلَيْكَ حَرَكَاتِكَ، وَسَكَنَاتِكَ، وَيُحْصِي عَلَيْكَ أَلْفَاظَكَ، وَهُوَ مَعَكَ لَا يُفَارِقُكَ إِلَّا عِنْدَ الْخَلَاءِ أَوْ عِنْدَ الْجِمَاعِ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْجِمَاعِ، وَعِنْدَ الْخَلَاءِ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ، وَأَكْرِمُوهُمْ.

تُكْرِمُ الْمَلَائِكَةَ بِأَلَّا تُوَاقِعَ الْمُنْكَرَ، وَأَلَّا تَقَعَ فِي الْمَعْصِيَةِ، وَأَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَلَا تُقَارِفُ مَا يُغْضِبُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدْ أَنْكَرَ قَوْمٌ مِنَ الزَّائِغِينَ كَوْنَ الْمَلَائِكَةِ أَجْسَامًا، وَقَالُوا: إِنَّهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ قُوَى الْخَيْرِ الْكَامِنَةِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ، وَهَذَا تَكْذِيبٌ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١].

* **قُلْتُ:** بَعْضُ الَّذِينَ كَانُوا يُمَارُونَ فِي الصِّفَاتِ فِي صِفَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الصِّفَةِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي (الْأَدَبِ، ٤٢، رَقْمُ ٢٨٠٠)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٦٤).

قَالَ لَهُ بعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْحَذَقَةِ الْمَهَرَةِ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- قَالَ لَهُ: يقُولُ رَبُّنَا تبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صَوِّرْ لِيَ الْآنَ أَيْنَ الْجَنَاحُ الثَّالِثُ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾؟!

أَيْنَ يَكُونُ؟! فَإِذَا كُنْتَ تَعْجِزُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِمَخْلُوقٍ، وَهِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ فَتُرِيدُ أَنْ تُكَيِّفَ صِفَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّمَا نُثْبِتُ الْمَعْنَىٰ، وَنُفَوِّضُ الْكَيْفَ، فَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَأَمَّا الِاسْتِوَاءُ فَمَعْلُومٌ.

فَيَقُولُ لَهُ: (**مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**) قُلْ لِي أَيْنَ يَكُونُ الْجَنَاحُ الثَّالِثُ أَيْنَ؟! فَانْقَطَعَ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْجِزُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِمَخْلُوقٍ فَتُرِيدُ أَنْ تُكَيِّفَ صِفَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠].

وَقَالَ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وَقَالَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

وَقَالَ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣- ٢٤].

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»(١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**».

وَفِيهِ أَيْضًا(٢): عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**».

وَهَذِهِ النُّصُوصُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَجْسَامٌ لَا قُوًى مَعْنَوِيَّةٌ، كَمَا قَالَ الزَّائِغُونَ وَعَلَىٰ مُقْتَضَىٰ هَذِهِ النُّصُوصِ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ.

* **قُلْتُ:** الشَّيْخُ رَشِيد رِضَا(٣)، ....

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (بَدْءُ الْخَلْقِ، ٦: ٣، رَقْمُ ٣٢٠٩) (الْأَدَبُ، ٤١، رَقْمُ ٦٠٤٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٦: ٥، رَقْمُ ٣٢١١) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْجُمُعَةِ، ٧: ١، رَقْمُ ٨٥٠).

(٣) هُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّد رَشِيد بْنُ عَلِيٍّ رِضَا الْقَلَمُونِيُّ، الْبَغْدَادِيُّ الْأَصْلِ، الْحُسَيْنِيُّ النَّسَبِ: صَاحِبُ مَجَلَّةِ وَتَفْسِيرِ (الْمَنَارِ)، وُلِدَ سَنَةَ ١٢٨٢هـ، الْمُوَافِقَةَ: ١٨٦٥م فِي قَرْيَةِ قَلَمُونَ مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسِ الشَّامِ، وَنَشَأَ بِهَا وَتَعَلَّمَ فِيهَا وَفِي طَرَابُلُسِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَىٰ مِصْرَ سَنَةَ ١٣١٥ هـ الْمُوَافِقَةَ سَنَةَ ١٨٩٦هـ فَلَازَمَ الشَّيْخَ مُحَمَّد عَبْدُه وَتَتَلْمَذَ لَهُ، وَمَاتَ بِمِصْرَ سَنَةَ ١٣٥٤ هـ الْمُوَافِقَةَ سَنَةَ ١٩٣٥ م، «الْأَعْلَامُ» لِلزِّرِكْلِيِّ (٦/ ١٢٦).

ذَكَرَ عَنْ شَيْخِهِ مُحَمَّد عَبْدُه[١] هَذَا الْمَعْنَىٰ الْفَلْسَفِيَّ الْبَاطِلَ فِي «تَفْسِيرِ الْمَنَارِ»: «الْمَلَائِكَةُ قُوًى مَعْنَوِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ بِأَجْسَامٍ...، وَغَيْرَ ذَلِكَ».

هَذَا خَطَأٌ، خَطَأٌ كَبِيرٌ الَّذِي يَعْتَقِدُ ذَلِكَ كَافِرٌ خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَلَا يُقَالُ: إِنَّ فُلَانًا بِعَيْنِهِ كَافِرٌ، وَقَدْ أَنْكَرَ.

لَا، وَإِنَّمَا نَقُولُ: لَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَلَا بُدَّ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ هَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ، وَالَّذِي يَعْتَقِدُ مِثْلَ هَذِهِ الِاعْتِقَادَاتِ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا؛ لِأَنَّهُ يُنْكِرُ مَا هُوَ مَقْطُوعٌ بِهِ فِي دِينِ اللهِ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ الْقَطْعِيَّةُ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَمَا جَاءَ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ.

فَهَذَا لَا يُنْكَرُ هَكَذَا، الزَّائِغُونَ يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ عَلَىٰ حَسَبِ أَهْوَائِهِمْ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ هَذِهِ النُّصُوصِ الَّتِي أَجْمَعَ عَلَىٰ قَبُولِهَا، وَاعْتِقَادِهَا الْمُسْلِمُونَ.

نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَن يَنْفَعنا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد ﷺ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

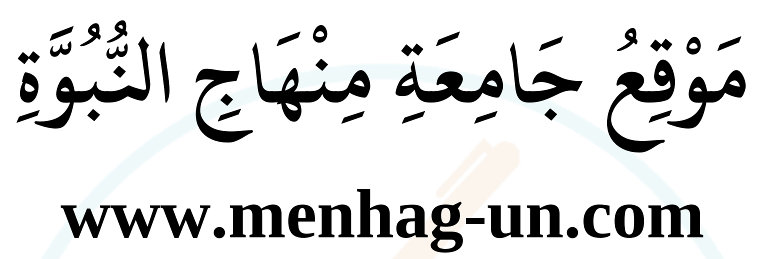
● ● ●

---

(١) هُوَ الشَّيْخُ الصُّوفِيُّ الْمُتَكَلِّمُ مُحَمَّد عَبْدُه بْنُ حَسَن خَيْرُ اللهِ، مِنْ آلِ التُّرْكُمَانِيِّ: مُفْتِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وُلِدَ فِي شِنْرَا مِنْ قُرَىٰ الْغَرْبِيَّةِ بِمِصْرَ سَنَةَ ١٢٦٦هـ الْمُوَافِقَة ١٨٤٩م، وَنَشَأَ فِي مَحَلَّةِ نَصْرٍ بِالْبُحَيْرَةِ، تَعَلَّمَ بِالْجَامِعِ الْأَحْمَدِيِّ بِطَنْطَا، ثُمَّ بِالْأَزْهَرِ، وَعَمِلَ فِي التَّعْلِيمِ، وَكَتَبَ فِي الصُّحُفِ وَاشْتَغَلَ بِالتَّدْرِيسِ وَالتَّأْلِيفِ، وَتَوَلَّىٰ مَنْصِبَ الْقَضَاءِ، ثُمَّ جُعِلَ مُسْتَشَارًا فِي مَحْكَمَةِ الِاسْتِئْنَافِ، فَمُفْتِيًا لِلدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ سَنَةَ ١٣١٧ هـ، وَاسْتَمَرَّ إِلَىٰ أَنْ تُوُفِّيَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ سَنَةَ ١٣٢٣هـ الْمُوَافِقَة سَنَة ١٩٠٥ م، «الْأَعْلَامُ» (٦/ ٢٥٢).



جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْعَاشِرَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الرُّكْنُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُتُبِهِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْكُتُبُ: جَمْعُ (كِتَابٍ) بِمَعْنَىٰ (مَكْتُوبٍ).

* **قُلْتُ:** وَهُوَ مِنَ الْكَتْبِ بِمَعْنَىٰ الْجَمْعِ وَالضَّمِّ، فَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ الْكُتُبَ عَلَىٰ رُسُلِهِ، وَأَنَّهَا كَلَامُهُ، وَأَنَّهَا حَقٌّ، وَنُورٌ، وَهُدًىٰ، وَبُرْهَانٌ.

فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا سَمَّىٰ اللهُ مِنْهَا كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ، وَكَالتَّوْرَاةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالْقُرْآنِ، وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا لَمْ يُسَمَّ مِنْهَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: الْكُتُبُ الَّتِي أَنْزَلَهَا تَعَالَىٰ عَلَىٰ رُسُلِهِ؛ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ، وَهِدَايَةً لَهُمْ، لِيَصِلُوا بِهَا إِلَىٰ سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ نُزُولَهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقًّا.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهَا بِاسْمِهِ كَالْقُرْآنِ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالتَّوْرَاةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، وَالْإِنْجِيلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ، وَالزَّبُورِ الَّذِي أُوتِيَهُ دَاوُدُ ﷺ وَأَمَّا مَا لَمْ نَعْلَمِ اسْمَهُ فَنُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا.

الثَّالِثُ: تَصْدِيقُ مَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِهَا، كَأَخْبَارِ الْقُرْآنِ، وَأَخْبَارِ مَا لَمْ يُبَدَّلْ أَوْ يُحَرَّفْ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ.

الرَّابِعُ: الْعَمَلُ بِأَحْكَامِ مَا لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا، وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ بِهِ سَوَاءٌ فَهِمْنَا حِكْمَتَهُ أَمْ لَمْ نَفْهَمْهَا، وَجَمِيعُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مَنْسُوخَةٌ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] أَيْ: (حَاكِمًا عَلَيْهِ).

وَعَلَىٰ هَذَا فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِأَيِّ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِلَّا مَا صَحَّ مِنْهَا وَأَقَرَّهُ الْقُرْآنُ.

* **قُلْتُ**: وَكُلُّ الَّذِي عِنْدَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا مِنَ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ عِنْدَنَا مِثْلُهُ، وَخَيْرٌ مِنْهُ فَأَغْنَانَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا، وَمَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَالْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ:

أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقًّا.

وَأَنْ نُؤْمِنَ بِمَا سَمَّاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا.

وَأَنْ نُصَدِّقَ مَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِهَا كَأَخْبَارِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَخْبَارِ مَا لَمْ يُبَدَّلْ أَوْ يُحَرَّفْ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ.

وَأَنْ نَعْمَلَ بِأَحْكَامِ مَا لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا، وَأَنْ نَرْضَىٰ، وَنُسَلِّمَ بِهِ سَوَاءٌ فَهِمْنَا حِكْمَتَهُ أَمْ لَمْ نَفْهَمْ.

وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ نَاسِخٌ لِجَمِيعِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، وَمُهَيْمِنٌ عَلَيْهَا، وَحَاكِمٌ عَلَيْهَا فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِأَيِّ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِلَّا مَا صَحَّ مِنْهَا، وَأَقَرَّهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ.

●●●



ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ يُثْمِرُ **ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً مِنْهَا:**

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِعِبَادِهِ حَيْثُ أَنْزَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ كِتَابًا يَهْدِيهِمْ بِهِ.

الثَّانِيَةُ: الْعِلْمُ بِحِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي شَرْعِهِ حَيْثُ شَرَعَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا يُنَاسِبُ أَحْوَالَهُمْ. كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

* **قُلْتُ:** فَالْحِكَمُ الَّتِي لِأَجْلِهَا أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْكُتُبَ لِمُرَاعَاةِ مَصَالِحِ خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَلِكَي يَدُلَّهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتُوا بِهِ، وَمَا يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْتَنِبُوهُ لِكَيْ يَأْتُوا بِالْعِبَادَةِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ، وَيَرْضَاهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الثَّالِثَةُ:** شُكْرُ نِعْمَةِ اللهِ فِي ذَلِكَ.

***

الرُّكْنُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ وَيَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَرُسُلِهِ ....

* **قُلْتُ:** «الرُّسُلُ جَمْعُ رَسُولٍ، وَهُوَ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمٍ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا أَوْ لَمْ يُنْزِلْ عَلَيْهِ كِتَابًا لَكِنْ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ حُكْمًا لَمْ يَكُنْ فِي شَرِيعَةِ مَنْ قَبْلَهُ.

وَأَمَّا النَّبِيُّ، فَهُوَ: مَنْ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ شَرِيعَةٍ سَابِقَةٍ دُونَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِ كِتَابًا أَوْ يُوحِي إِلَيْهِ بِحُكْمٍ جَدِيدٍ نَاسِخٍ أَوْ غَيْرِ نَاسِخٍ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَقِيلَ هُمَا مُتَرَادِفَانِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ(١).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤].

فَذَكَرَ تَعَالَىٰ أَنَّ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَاةِ مَعَ أَنَّ التَّوْرَاةَ أُنْزِلَتْ عَلَىٰ نَبِيٍّ مِنْهُمْ، وَهُوَ مُوسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

---

(١) «مُذَكِّرَةُ التَّوْحِيدِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي مَعَ شَرْحِ شَيْخِنَا أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد رَسْلَان (ص٢٥٠، دَارُ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّةِ).

إِذَنْ هَذَا التَّفْرِيقُ مُهِمٌّ؛ لِأَنَّهُ قِيلَ فِيهِ كَلَامٌ كَثِيرٌ، وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ فِيهِ، وَأَصَحُّهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

«**الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ** هُوَ التَّصْدِيقُ بِهِمْ جَمِيعًا، وَأَنَّهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، بَلْ نُؤْمِنُ بِهِمْ جَمِيعًا مَنْ سَمَّىٰ اللهُ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُسَمِّ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وَأَفْضَلُهُمْ: أُولُو الْعَزْمِ، مِنْهُمْ نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ، ثُمَّ بَقِيَّةُ الرُّسُلِ، ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ، وَأَفْضَلُ الْجَمِيعِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَالْأَدْيَانُ سِوَىٰ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ مَنْسُوخَةٌ كُلُّهَا، لَكِنَّ الْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ، وَأَنَّهُمْ حَقٌّ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ»(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الرُّسُلُ: جَمْعُ (رَسُولٍ) بِمَعْنَىٰ (مُرْسَلٍ) أَيْ (مَبْعُوثٍ) بِإِبْلَاغِ شَيْءٍ.

وَالْمُرَادُ هُنَا: مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَشَرِ بِشَرْعٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ.

وَأَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

---

(١) «شَرْحُ مُذَكِّرَةِ التَّوْحِيدِ» لِشَيْخِنَا أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ- (ص٦٢ - ٦٣، دَارُ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّةِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَىٰ).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»(١): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَىٰ آدَمَ لِيَشْفَعَ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: «**ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ...**»، وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَلَمْ تَخْلُ أُمَّةٌ مِنْ رَسُولٍ يَبْعَثُهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِشَرِيعَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ إِلَىٰ قَوْمِهِ، أَوْ نَبِيٍّ يُوحَىٰ إِلَيْهِ بِشَرِيعَةِ مَنْ قَبْلَهُ لِيُجَدِّدَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟** ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَالرُّسُلُ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ.

* **قُلْتُ**: وَالْجِنُّ لَيْسَ فِيهِمْ رُسُلٌ بَلْ فِيهِمُ النُّذُرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ**

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الرِّقَاقِ، ٥١: ١٧، رَقْمُ ٦٥٦٥)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٨٤: ١٢، رَقْمُ ١٩٣).

لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣٢].

فَلَمْ يَذْكُرُوا رُسُلًا مِنْهُمْ، وَلَا كُتُبًا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا ذَكَرُوا الْكِتَابَيْنِ الْمُنْزَلَيْنِ عَلَىٰ مُوسَىٰ، وَمُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يَأْتِ ذِكْرُ الْإِنْجِيلِ مَعَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي فِي الْإِنْجِيلِ قَدْ جَاءَتْ فِي التَّوْرَاةِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ(١): «وَلَمْ يَذْكُرُوا عِيسَىٰ؛ لِأَنَّ عِيسَىٰ عليه السلام أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْإِنْجِيلُ فِيهِ مَوَاعِظُ، وَتَرْقِيقَاتٌ، وَقَلِيلٌ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَالْمُتَمِّمِ لِشَرِيعَةِ التَّوْرَاةِ فَالْعُمْدَةُ عِنْدَهُمْ التَّوْرَاةُ، فَلِهَذَا قَالُوا ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]»، يَعْنُونَ الْكِتَابَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ(٢).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ سَيِّدُ الرُّسُلِ الْمُرْسَلِينَ وَأَعْظَمُهُمْ جَاهًا عِنْدَ اللهِ: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

---

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٧/ ٣٠٢، دَارُ طَيْبَةَ).

(٢) «شَرْحُ حَدِيثِ جِبْرِيلَ فِي تَعْلِيمِ الدِّينِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْعَبَّادِ الْبَدْرِ (ص٣٣، مَطْبَعَةُ سَفِيرٍ، الرِّيَاضُ).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١- ٢٢].

* **قُلْتُ:** ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾: لَنْ يَمْنَعَنِي مِنْ عَذَابِهِ إِنْ عَصَيْتُهُ مِنَ اللهِ أَحَدٌ، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أَيْ: مَلْجَأً أَوْ حِرْزًا أَوْ رُكْنًا آوِي إِلَيْهِ وَأَرْكَنُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَتَلْحَقُهُمْ خَصَائِصُ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْمَرَضِ، وَالْمَوْتِ، وَالْحَاجَةِ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي وَصْفِهِ لِرَبِّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩- ٨١].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَىٰ كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**»(١).

وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ فِي أَعْلَىٰ مَقَامَاتِهِمْ، وَفِي سِيَاقِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ تَعَالَىٰ فِي نُوحٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وَقَالَ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الصَّلَاةِ، ٣١: ٣، رَقْمُ ٤٠١)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْمَسَاجِدِ، ١٩: ١٠، رَقْمُ ٥٧٢)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ-: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥- ٤٧].

وَقَالَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

* **قُلْتُ:** وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُهُمْ مَا يَكُونُ مُنَفِّرًا، وَهُمْ مَعْصُومُونَ فَلَا يُوَاقِعُونَ الْمَعَاصِيَ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، فَهُمْ مِمَّنِ اخْتَصَّهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَاصْطَفَاهُمْ، وَأَخْلَصَهُمْ لِنَفْسِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ **يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:**

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ رِسَالَتَهُمْ حَقٌّ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَمَنْ كَفَرَ بِرِسَالَةِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِالْجَمِيعِ. كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

* **قُلْتُ:** وَمَعْلُومٌ أَنَّ نُوحًا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هُوَ أَوَّلُ الْمُرْسَلِينَ، فَكَيْفَ يُقَالُ فِي قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَذَّبُوا الْمُرْسَلِينَ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولٌ قَبْلَهُ؟

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فَجَعَلَهُمُ اللهُ مُكَذِّبِينَ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَسُولٌ غَيْرُهُ حِينَ كَذَّبُوهُ.

* **قُلْتُ:** لِأَنَّهُمْ عِنْدَمَا يُكَذِّبُونَ بِهِ يُكَذِّبُونَ بِالرُّسُلِ كُلِّهِمْ.

وَكَذَلِكَ فِيمَنْ تَأَخَّرَ، فَمَنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ كَفَرَ بِجَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ، وَمَنْ كَفَرَ بِوَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَكَفَرَ بِرِسَالَتِهِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْجَمِيعِ كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَفِيهَا دَلِيلٌ كَافٍ شَافٍ كَمَا تَرَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولٌ قَبْلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ رَسُولٌ سِوَاهُ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا كَذَّبُوهُ جَعَلَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُكَذِّبِينَ لِجَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللهُ: وَعَلَىٰ هَذَا فَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ هُمْ مُكَذِّبُونَ لِلْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ غَيْرُ مُتَّبِعِينَ لَهُ أَيْضًا، لَا سِيَّمَا وَأَنَّهُ قَدْ بَشَّرَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا مَعْنَىٰ لِبِشَارَتِهِمْ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ يُنْقِذُهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَنْ عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ مِثْلَ: مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ وَنُوحٍ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ هُمْ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ:

فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وَفِي سُورَةِ الشُّورَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَأَمَّا مَنْ لَمْ نَعْلَمِ اسْمَهُ مِنْهُمْ فَنُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

* **قُلْتُ:** وَقَدْ سَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ ذَكَرَهُمُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ:

فِـي تِلْـكَ حُجَّتُنَـا مِـنْهُمْ ثَمَانِيَـةٌ ... مَنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَىٰ سَبْعَةٌ وَهُمُـو

إِدْرِيسُ هُـودٌ شُـعَيْبٌ صَـالِحٌ، وَكَـذَا ... ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا[1]

(فِي تِلْكَ حُجَّتُنَا) ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَسُولًا، وَنَبِيًّا، وَذَكَرَ سَبْعَةً فِي ثَنَايَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فَجَمَعَهُمُ الشَّاعِرُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ؛ تَيْسِيرًا لِحِفْظِهِمْ يَعْنِي جَمَعَ مَنْ فَصَّلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذِكْرًا، وَمَنْ أَجْمَلَ ذِكْرَهُ فَجَمَعَهُمَا -يَعْنِي الْفَرِيقَيْنِ- لِتَيْسِيرِ حِفْظِ أَسْمَاءِ الرُّسُلِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الثَّالِثُ: تَصْدِيقُ مَا صَحَّ عَنْهُمْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ.

الرَّابِعُ: الْعَمَلُ بِشَرِيعَةِ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْنَا مِنْهُمْ، وَهُوَ خَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، الْمُرْسَلُ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

* **قُلْتُ:** فَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَتَضَمَّنُ هَذِهِ الْأُمُورَ الْأَرْبَعَةَ:

---

(١) «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» لِلْهَرَّاسِ (١/ ٦٣، دَارُ الْهِجْرَةِ - الْخبَر).

أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّ رِسَالَتَهُمْ حَقٌّ، وَمَنْ كَفَرَ بِرِسَالَةِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِالْجَمِيعِ.

وَأَنْ تُؤْمِنَ بِمَنْ عَلِمْتَ اسْمَهُ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ، وَمَنْ لَمْ تَعْلَمِ اسْمَهُ مِنْهُمْ تُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا.

وَتُصَدِّقُ مَا صَحَّ عَنْهُمْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ.

وَتَعْمَلُ بِشَرِيعَةِ مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

«الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَمِنَ الْحَاضِرَةِ دُونَ الْبَادِيَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي النِّسَاءِ نَبِيَّةٌ، وَإِنَّمَا فِيهِنَّ صِدِّيقَاتٌ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ فَالْمُرَادُ بِالْقُرَىٰ الْمُدُنُ لَا أَنَّهُمْ يَعْنِي الرُّسُلَ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي.

وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ لِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَىٰ أَنَّ يَعْقُوبَ نُبِّئَ فِي الْمُدُنِ، وَخَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْبَادِيَةِ أَوْ أَنَّ الْبَدْوَ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ يَعْقُوبُ مُسْتَنِدٌ إِلَىٰ الْحَاضِرَةِ فَأُعْطِيَ حُكْمَهُ»(١).

● ● ●

(١) «شَرْحُ حَدِيثِ جِبْرِيلَ فِي تَعْلِيمِ الدِّينِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْعَبَّادِ الْبَدْرِ (ص٣٤ - ٣٥، مَطْبَعَةُ سَفِيرٍ، الرِّيَاضُ)، «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٤/ ٤٢٣، دَارُ طَيْبَةَ)، «دَفْعُ إِيهَامِ الِاضْطِرَابِ عَنْ آيَاتِ الْكِتَابِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ الشِّنْقِيطِيِّ (ص١٢٣، مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - الْقَاهِرَةُ).

ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِلْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ حَيْثُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ لِيَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيُبَيِّنُوا لَهُمْ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللهَ، لِأَنَّ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ لَا يَسْتَقِلُّ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ.

* **قُلْتُ:** قَدْ يَهْتَدِي الْعَقْلُ إِلَىٰ إِثْبَاتِ وُجُودِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ أَسْمَاءَهُ، وَصِفَاتِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ شَرْعَهُ فَكُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُعْرَفُ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا تَسْتَقِلُّ بِهِ الْعُقُولُ، وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الرُّسُلِ فَمِنْ عِنَايَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَجَعَلَ الرُّسُلَ مِنَ الْبَشَرِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِتَتِمَّ الْأُسْوَةُ، وَلِكَيْ تَكْمُلَ الْحِكْمَةُ وَالِاتِّبَاعُ عَلَىٰ وَجْهِهِ الصَّحِيحِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّانِيَةُ: شُكْرُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَىٰ.

الثَّالِثَةُ: مَحَبَّةُ الرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَتَعْظِيمُهُمْ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ رُسُلُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلِأَنَّهُمْ قَامُوا بِعِبَادَتِهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَالنُّصْحِ لِعِبَادِهِ.

وَقَدْ كَذَّبَ الْمُعَانِدُونَ رُسُلَهُمْ زَاعِمِينَ أَنَّ رُسُلَ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يَكُونُونَ مِنَ الْبَشَرِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الزَّعْمَ وَأَبْطَلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٤- ٩٥].

* **قُلْتُ:** فَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللهِ، وَعِنَايَتِهِ، وَشَفَقَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِالْبَشَرِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَجَعَلَ الرُّسُلَ مِنْ جِنْسِهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لَوْ أَرْسَلَ إِلَىٰ الْبَشَرِ مَلَائِكَةً لَمْ تَتِمَّ الْأُسْوَةُ، وَلَمْ تَكْمُلِ الْقُدْوَةُ، وَلَقَامَ لِلنَّاسِ بَعْضُ حُجَّةٍ.

فَيَقُولُونَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ الَّذِينَ بَلَّغُونَا مَا بَلَّغُونَا مِنْ أَمْرِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ فِعْلِهِ، وَكَانُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ الِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَوْ كَانُوا مِنَ الْبَشَرِ لَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَأْتَمِرُوا، وَأَنْ يَنْتَهُوا فَأَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ الْبَشَرِ رُسُلًا مِنْهُمْ؛ لِكَيْ تَنْقَطِعَ الْأَعْذَارُ، وَالْحُجَجُ، وَلِكَيْ تَتِمَّ الْأُسْوَةُ، وَالْقُدْوَةُ.

فَإِذَا مَا رَأَيْنَا الرَّسُولَ وَهُوَ بَشَرٌ مِنَّا يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَيَمْرَضُ كَمَا يَمْرَضُ النَّاسُ، وَتَجْرِي عَلَيْهِ الْأَعْرَاضُ الَّتِي تَجْرِي عَلَىٰ النَّاسِ إِذَا رَأَىٰ الْبَشَرُ ذَلِكَ، وَهُوَ يَتَحَمَّلُ صَابِرًا، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَيُسَارِعُ إِلَىٰ الِائْتِمَارِ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِمَّا بَلَغَهُ، وَإِلَىٰ الِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِمَّا بَلَغَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ تَتِمُّ بِهِ الْأُسْوَةُ لَا مَحَالَةَ، وَتَنْقَطِعُ الْحُجَّةُ حُجَّةُ الْبَشَرِ عَلَىٰ رَبِّهِمْ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

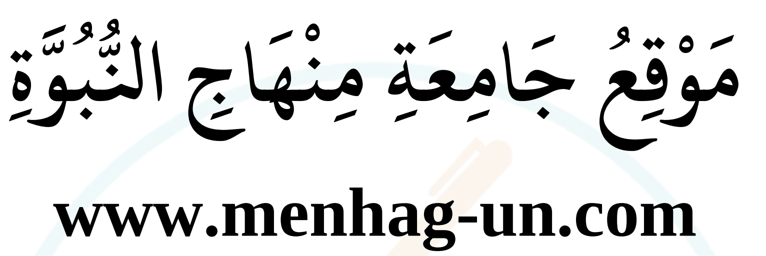
قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَأَبْطَلَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الزَّعْمَ بِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ بَشَرًا؛ لِأَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَهُمْ بَشَرٌ، وَلَوْ كَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ

مَلَائِكَةً لَنَزَّلَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا، لِيَكُونَ مِثْلَهُمْ، وَهَكَذَا حَكَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ**﴾ [إبراهيم: ١٠- ١١].

* **قُلْتُ:** فَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ، فَيَصْطَفِي رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا، وَمِنَ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ الْبَشَرِ رُسُلًا مِنْهُمْ، وَزَعَمَ الزَّاعِمُونَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ أَنَّ ذَلِكَ مُبْطِلٌ لِلْإِرْسَالِ أَصْلًا.

كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا كَانَ يَقُولُهُ أَفْلَاطُونُ مِنْ قَبْلُ فِي حُجَّتِهِ بِإِنْكَارِ النُّبُوَّاتِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَحِيلُ عَقْلًا، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْكَامِلُ، وَهَذَا حَقٌّ فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْكَامِلُ فِي ذَاتِهِ، وَفِي صِفَاتِهِ، وَفِي أَفْعَالِهِ، قَالَ: وَالْبَشَرُ نَاقِصُونَ مَهْمَا كَمُلُوا، وَهَذَا حَقٌّ أَيْضًا بِمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ لَا يَكُونُ لَهُمُ الْكَمَالُ الْإِلَاهِيُّ، وَلَكِنَّ الْكَمَالَ الْبَشَرِيَّ يَجْعَلُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ قَالَ: فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ اتِّصَالٌ بَيْنَ الْكَامِلِ، وَالنَّاقِصِ، فَأَنْكَرَ وَادَّعَىٰ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْبَشَرِ رُسُلٌ كَهَذَا الزَّعْمِ الَّذِي زَعَمَهُ أُولَئِكَ الْمُكَذِّبُونَ، وَأَبْطَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

⊙⊙⊙



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةَ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الرُّكْنُ الْخَامِسُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ....

* **قُلْتُ:** الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، هُوَ: الْإِيمَانُ بِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعِيمِهِ، وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ، وَكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْقَبْرِ.

فَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالَّذِي يَكُونُ بَعْدَ الْقَبْرِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ الْبَعْثُ، وَالنَّشْرُ، وَالْحَشْرُ، وَالْحِسَابُ، وَوَزْنُ الْأَعْمَالِ، وَالصِّرَاطُ، وَالْمِيزَانُ الَّذِي تُوزَنُ بِهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَتَفَاصِيلُ مَا يَحْصُلُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ فَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ كُلِّهِ إِجْمَالًا، وَتَفْصِيلًا.

تَفْصِيلًا فِيمَا فَصَّلَ، وَإِجْمَالًا فِيمَا أَجْمَلَ بِدَايَةً مِنَ الْمَوْتِ إِلَىٰ أَنْ يَسْتَقِرَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، فَكُلُّ مَا صَحَّ فِي هَذَا نُؤْمِنُ، وَلَا نَشُكُّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَمَنْ شَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ عَنِ الْإِسْلَامِ[١].

(١) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» لِلشَّيْخِ صَالِحِ الْفَوْزَانِ (ص٢١٥ - ٢١٦، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْيَوْمُ الْآخِرُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُبْعَثُ النَّاسُ فِيهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَوْمَ بَعْدَهُ، حَيْثُ يَسْتَقِرُّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي مَنَازِلِهِمْ.

* **قُلْتُ**: الدُّنْيَا كَأَنَّهَا الْيَوْمُ الْأَوَّلُ، فَهِيَ يَوْمٌ مَهْمَا طَالَتْ كُلُّهَا مُنْذُ خَلْقِهَا إِلَىٰ أَنْ يَرِثَهَا كَأَنَّهَا يَوْمٌ، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمٌ لَا يَوْمَ بَعْدَهُ، فَهُوَ الْيَوْمُ الْآخِرُ كَمَا تَقُولُ مَثَلًا مُذَكِّرًا وَوَاعِظًا: اتَّقِ لَيْلَةً صُبْحُهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ اتَّقِ لَيْلَةً وَخَفْهَا، لَيْلَةٌ صُبْحُهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ تَكُونُ فِي الْقَبْرِ لَا صُبْحَ لَهَا إِلَّا مَا يَكُونُ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَكَ مَثَلًا وَعْظًا وَتَذْكِيرًا: اتَّقِ يَوْمًا هُوَ الْيَوْمُ الْآخِرُ الَّذِي لَا يَوْمَ بَعْدَهُ، وَاتَّقِ لَيْلَةً صُبْحُهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ **يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ**:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ: وَهُوَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَىٰ حِينَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ، فَيَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاةً غَيْرَ مُنْتَعِلِينَ، عُرَاةً غَيْرَ مُسْتَتِرِينَ، غُرْلًا غَيْرَ مُخْتَتَنِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وَالْبَعْثُ: حَقٌّ ثَابِتٌ دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥- ١٦].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ ثُبُوتِهِ، وَهُوَ مُقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ حَيْثُ تَقْتَضِي أَنْ يَجْعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ لِهَذِهِ الْخَلِيقَةِ مَعَادًا يُجَازِيهِمْ فِيهِ عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ: يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَىٰ عَمَلِهِ، وَيُجَازَىٰ عَلَيْهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥- ٢٦].

وَقَالَ: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الرِّقَاقِ، ٤٥: ٦، رَقْمُ ٦٥٢٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ١٤: ٢، رَقْمُ ٢٨٥٩)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَقَالَ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

* **قُلْتُ**: وَالْقِسْطُ: الْعَدْلُ، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ أَيِ: الْمَوَازِينَ ذَوَاتِ الْعَدْلِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَأَنَّ مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»(٢).

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ إِثْبَاتِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ مُقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَفَرَضَ عَلَىٰ الْعِبَادِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَظَالِمِ، ٢، رَقْمُ ٢٤٤١)، وَمُسْلِمٌ فِي (التَّوْبَةِ، ٨: ٨، رَقْمُ ٢٧٦٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الرِّقَاقِ، ٣١، رَقْمُ ٦٤٩١)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٥٩: ٥، رَقْمُ ١٣١)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَبُولَ مَا جَاءُوا بِهِ، وَالْعَمَلَ بِمَا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ مِنْهُ، وَأَوْجَبَ قِتَالَ الْمُعَارِضِينَ لَهُ وَأَحَلَّ دِمَاءَهُمْ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ.

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ حِسَابٌ، وَلَا جَزَاءٌ لَكَانَ هَذَا مِنَ الْعَبَثِ الَّذِي يُنَزَّهُ الرَّبُّ الْحَكِيمُ عَنْهُ، وَقَدْ أَشَارَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦- ٧].

الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّهُمَا الْمَآلُ الْأَبَدِيُّ لِلْخَلْقِ، فَالْجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَقَامُوا بِطَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، مُخْلِصِينَ لِلَّهِ مُتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ. فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ: «**مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»[1].

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧- ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٨: ٥، رَقْمُ ٣٢٤٤)، وَمُسْلِمٌ فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ، ١: ٣، رَقْمُ ٢٨٢٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا النَّارُ فَهِيَ دَارُ الْعَذَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَىٰ الْبَالِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وَقَالَ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

* **قُلْتُ**: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، أَيْ فُسْطَاطُهَا أَوْ لَهَبُهَا وَدُخَانُهَا، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾، وَالْمُهْلُ: دُرْدِيُّ الزَّيْتِ أَوْ عَكَرُ الزَّيْتِ أَوِ الْمُذَابُ مِنَ الْمَعَادِنِ، ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أَيْ مُتَّكَئًا، وَمَقَرًّا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: ٦٤- ٦٦].

وَيَلْتَحِقُ بِالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِثْلَ:

(أ) فِتْنَةِ الْقَبْرِ: وَهِيَ سُؤَالُ الْمَيِّتِ بَعْدَ دَفْنِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ.

* **قُلْتُ**: وَهِيَ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ فَيَقُولُ الْكَافِرُ:

هَاه، هَاه، لَا أَدْرِي. وَيَقُولُ الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ[(١)].

(ب) **عَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ:** فَيَكُونُ الْعَذَابُ لِلظَّالِمِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

* **قُلْتُ:** هَذَا كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ يَحْدُثُ فِي النَّزْعِ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، فَأَلْحَقَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- ذَلِكَ بِذَلِكَ، وَأَتَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

* **قُلْتُ:** وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، وَإِتْبَاعُهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهَذَا مَا اسْتَدَلَّ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ، فَقَالُوا: إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْقَبْرِ فَيُعْرَضُونَ عَلَىٰ النَّارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا فِي الْبَرْزَخِ حَتَّىٰ يُقِيمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ السَّاعَةَ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (السُّنَّةِ، ٢٧: ٤، رَقْمُ ٤٧٥٣)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٣٥٥٨)، وَأَصْلُهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[(١)]، مِنْ حَدِيثِ: زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.

وَأَمَّا نَعِيمُ الْقَبْرِ فَلِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

* **قُلْتُ**: وَيُقَالُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا قِيلَ فِي الْآيَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّيْخُ فِي الِاسْتِدْلَالِ بِالْآيَاتِ عَلَىٰ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ هَذَا يَكُونُ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ، وَفِي سِيَاقِ الْمَوْتِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣- ٨٩]... إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ١٧، رَقْمُ ٢٨٦٧).

* **قُلْتُ**: هَذَا أَيْضًا كَالَّذِي مَرَّ فَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ فِي الْمُؤْمِنِ إِذَا أَجَابَ الْمَلَكَيْنِ فِي قَبْرِهِ: «**يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**» قَالَ: «**فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ**»، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ[1].

* **قُلْتُ**: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَا يَكُونُ فِي الْقَبْرِ مِنْ نَعِيمٍ، وَعَذَابٍ، وَأَمَّا أَهْلُ الزَّيْغِ، وَالضَّلَالِ فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَقُولُ: لَا نَأْخُذُ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ.

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: لِمَاذَا؟

يَقُولُونَ: أَمَّا الْأَدِلَّةُ الصَّحِيحَةُ فَغَيْرُ صَرِيحَةٍ، وَأَمَّا الْأَدِلَّةُ الصَّرِيحَةُ فَغَيْرُ صَحِيحَةٍ.

يَقُولُونَ: الْأَدِلَّةُ الصَّحِيحَةُ لَا تُصَرِّحُ فَمَا جِئْتُمْ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ مُتَوَاتِرٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ تُؤْخَذُ مِنْهُ الْعَقِيدَةُ عَلَىٰ زَعْمِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يُنَازِعُونَ فِي هَذَا الْأَصْلِ الْكَبِيرِ، وَهُوَ: **هَلْ يُؤْخَذُ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ فِي الْعَقِيدَةِ أَوْ لَا؟**

فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ أَنْكَرَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ الْعَلِيلَةِ، بَلِ الْعِلَّةِ الْمَيِّتَةِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (السُّنَّةِ، ٢٧: ٤، رَقْمُ ٤٧٥٣)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨، رَقْمُ ١٨٥٣٤) وَمَوَاضِعَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وَقَالُوا -دَافِعِينَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ السُّنَّةِ لَمَّا اسْتَدَلُّوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ-: أَمَّا مَا جِئْتُمْ بِهِ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، وَذَلِكَ صَحِيحٌ مُتَوَاتِرٌ فَغَيْرُ صَرِيحٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ الْمَقْصُودِ، وَأَمَّا مَا جِئْتُمْ بِهِ مِنَ النُّصُوصِ الصَّرِيحَةِ الَّتِي تُصَرِّحُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعِيمِهِ فَهِيَ مِمَّا لَا تَنْهَضُ بِه حُجَّةٌ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَبْلُغْ مَبْلَغَ الْمُتَوَاتِرِ، وَهَذِهِ مِنَ الْبِدَعِ الَّتِي تَوَرَّطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ، وَبِخَاصَّةٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُوصَفُ بِالْعِلْمِ عِنْدَ الْعَامَّةِ، وَأَشْبَاهِهِمْ.

يَقُولُونَ: لَا يُؤْخَذُ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ فِي مَسَائِلِ الِاعْتِقَادِ، وَهَذَا وَهْمٌ بَاطِلٌ، وَزَيْغٌ زَائِفٌ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ.

***

ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِلْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ **ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ مِنْهَا**:

الْأُولَى: الرَّغْبَةُ فِي فِعْلِ الطَّاعَةِ وَالْحِرْصِ عَلَيْهَا رَجَاءً لِثَوَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

الثَّانِيَةُ: الرَّهْبَةُ فِي فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ وَالرِّضَا بِهَا خَوْفًا مِنْ عِقَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

* **قُلْتُ**: وَكُلَّمَا كَانَ الْمَرْءُ عَالِمًا بِتَفَاصِيلِ مَا أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِلطَّائِعِينَ، وَبِتَفَاصِيلِ مَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُجْرِمِينَ الْمُنَافِقِينَ الْعَاصِينَ الْمُكَذِّبِينَ -كُلَّمَا كَانَ كَذَلِكَ- كَانَ أَحْرَصَ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَعْصِيَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الثَّالِثَةُ**: تَسْلِيَةُ الْمُؤْمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَثَوَابِهَا.

* **قُلْتُ**: يَزْدَادُ إِيمَانًا بِرَبِّهِ، وَبِحِكْمَةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ تَحَلُّلِهَا، وَذَهَابِهَا فَيُعِيدُهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَبْعَثُ الْخَلْقَ يَقُومُونَ كَمَا كَانُوا: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا غَيْرَ مَخْتُونِينَ يَقُومُونَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَيْضًا فِيهِ: الْإِيمَانُ بِعَدْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا؛ لِأَنَّ الْقَضَايَا الْمُعَلَّقَةَ فِي الْحَيَاةِ كَثِيرَةٌ، وَمَا أَكْثَرَ الْمَظَالِمَ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي لَا يُفْصَلُ فِيهَا!

فَإِذَا كَانَ النَّاسُ يَمُوتُونَ فَيَذْهَبُونَ فِي طَبَقَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا يُبْعَثُونَ، وَلَا يَقُومُونَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَىٰ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ هَذَا ظُلْمًا بَيِّنًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ لَا تُفْصَلُ، وَلَا تُفْصَلُ فِيهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَتَظَلُّ مُعَلَّقَةً، وَيَذْهَبُ صَاحِبُ الْحَقِّ إِلَىٰ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثُمَّ لَا يَحْصُلُ عَلَىٰ حَقِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ فَهَذَا فِيهِ مَا فِيهِ.

وَأَيْضًا فِيهِ -يَعْنِي فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلطَّائِعِينَ وَالْعَاصِينَ مِنَ النَّعِيمِ وَالْجَحِيمِ فِي الْإِيمَانِ بِذَلِكَ- مَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْعَلَ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ وَقَّافًا عِنْدَ حُدُودِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُسَارِعًا فِي الْخَيْرَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَمِنَ الْعِقَابَ أَسَاءَ الْأَدَبَ، فَإِذَا كَانَ دَائِمًا الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ مِنْهُ عَلَىٰ ذُكْرٍ وَعَلَىٰ بَالٍ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَطَاعَهُ الْعَبْدُ أَثَابَهُ، وَإِذَا عَصَىٰ رَبَّهُ عَاقَبَهُ فَجَعَلَ الْعِقَابَ دَائِمًا حَاضِرًا، وَكَذَلِكَ يَكُونُ الثَّوَابُ حَاضِرًا فَإِنَّهُ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ، وَيَبْتَعِدُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ رَجَاءَ ثَوَابِ رَبِّهِ، وَحِرْصًا عَلَىٰ أَنْ تَكُونَ الطَّاعَةُ وِقَايَةً لَهُ مِنَ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْعَاصِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ أَنْكَرَ الْكَافِرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ.

* **قُلْتُ:** وَيَتَعَلَّلُونَ بِعِلَلٍ يَجْعَلُونَ الْعَقْلَ فِيهَا رَائِدَهُمْ فَيَقُولُونَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ تَحَلَّلَ، وَذَهَبَتَ ذَرَّاتُهُ، ثُمَّ صَارَتْ شَيْئًا آخَرَ، فَتَسْتَحِيلُ، فَكَيْفَ يُعَادُ ذَلِكَ؟!

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الزَّعْمُ بَاطِلٌ دَلَّ عَلَى بُطْلَانِهِ الشَّرْعُ، وَالْحِسُّ، وَالْعَقْلُ.

أَمَّا مِنَ الشَّرْعِ: فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧]، وَقَدِ اتَّفَقَتْ جَمِيعُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْحِسُّ: فَقَدْ أَرَىٰ اللهُ عِبَادَهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَىٰ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ خَمْسَةُ أَمْثِلَةٍ عَلَىٰ ذَلِكَ وَهِيَ:

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: قَوْمُ مُوسَىٰ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة: ٥٥]، فَأَمَاتَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ مُخَاطِبًا بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥- ٥٦].

* **قُلْتُ:** ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: أَيِ النَّارُ الَّتِي نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الْمِثَالُ الثَّانِي:** فِي قِصَّةِ الْقَتِيلِ الَّذِي اخْتَصَمَ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَذْبَحُوا بَقَرَةً فَيَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا لِيُخْبِرَهُمْ بِمَنْ قَتَلَهُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢- ٧٣].

* **قُلْتُ:** ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾، يَعْنِي: فَتَدَافَعْتُمْ، وَتَخَاصَمْتُمْ فِيهَا، وَكُلُّكُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ لَمْ يُبَاشِرِ الْقَتْلَ، وَلَمْ يَكُنْ وَسِيلَةً إِلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الْمِثَالُ الثَّالِثُ:** فِي قِصَّةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ وَهُمْ أُلُوفٌ، فَأَمَاتَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

الْمِثَالُ الرَّابِعُ: فِي قِصَّةِ الَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ مَيِّتَةٍ فَاسْتَبْعَدَ أَنْ يُحْيِيَهَا اللهُ تَعَالَىٰ، فَأَمَاتَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِئَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ أَحْيَاهُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً

لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

* **قُلْتُ**: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾، يَعْنِي: وَهِيَ سَاقِطَةٌ عَلَىٰ سُقُوفِهَا الَّتِي هَوَتْ فَسَقَطَتِ السُّقُوفُ، ثُمَّ كَانَتِ الْحِيطَانُ سَاقِطَةً فَوْقَهَا، وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا، ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾، أَيْ: كَيْفَ أَوْ مَتَىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟! ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾: لَمْ يَتَغَيَّرْ مَعَ مُرُورِ السِّنِينَ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدْ ظَلَّ مِئَةَ عَامٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَغَيَّرْ ذَلِكَ الشَّرَابُ الَّذِي كَانَ مَعَهُ، وَلَمْ يَفْسَدْ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ لَهُ لَوْنٌ، وَلَا طَعْمٌ، وَلَا رِيحٌ، بَلْ ظَلَّ عَلَىٰ حَالِهِ كَأَنَّهُ إِنَّمَا قَدْ أُعِدَّ الْآنَ أَوْ مُنْذُ حِينٍ يَسِيرٍ، ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾: وَكَانَ الْحِمَارُ عِظَامًا تَلُوحُ فَأَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تِلْكَ الْعِظَامَ بِأَنْ تَرْتَفِعَ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَأَنْ تُرَدَّ إِلَىٰ أَمَاكِنِهَا مِنَ الْجَسَدِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **الْمِثَالُ الْخَامِسُ**: فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ حِينَ سَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ؟

* **قُلْتُ**: وَقَدْ سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِوُقُوعِ ذَلِكَ لَمْ يَمْتَرِ فِيهِ، وَلَمْ يَشُكَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنَّمَا سَأَلَ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ لَا أَكْثَرَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَذْبَحَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ، وَيُفَرِّقَهُنَّ أَجْزَاءً عَلَىٰ الْجِبَالِ الَّتِي حَوْلَهُ، ثُمَّ يُنَادِيهِنَّ فَتَلْتَئِمَ الْأَجْزَاءُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَيَأْتِينَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ سَعْيًا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فَهَذِهِ أَمْثِلَةٌ حِسِّيَّةٌ وَاقِعِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ إِمْكَانِيَّةِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَقَدْ سَبَقَتِ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ مَا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ آيَاتِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ.

* **قُلْتُ:** هَذَا كُلُّه كَمَا تَرَىٰ يَعُودُ فِي النِّهَايَةِ إِلَىٰ الْكِتَابِ، وَلَوْ كَانَ مُنْكِرُوا الْبَعْثِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ لَآمَنَ بِالْبَعْثِ مِنْ غَيْرِ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ فِي الْقُرْآنِ وَاضِحٌ عَلَىٰ بَعْثِ النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَهَلْ يَنْفَعُ أَنْ يُذَكَّرَ مُنْكِرُ الْبَعْثِ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي هَذِهِ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي ضَرَبَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةٍ وَاحِدَةٍ، قَدْ لَا يَنْفَعُ مَعَ مَنْ يُنْكِرُ الْبَعْثَ فَيُرَدُّ حِينَئِذٍ إِلَىٰ دَلَالَةِ الْعَقْلِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا دَلَالَةُ الْعَقْلِ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، خَالِقُهُمَا ابْتِدَاءً، وَالْقَادِرُ عَلَىٰ ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ لَا يَعْجِزُ عَنْ إِعَادَتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

* **قُلْتُ**: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، هَلْ هُوَ عَلَىٰ بَابِهِ فِي أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ؟ يَعْنِي هَلْ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَيِّنٌ، وَأَهْوَنُ مِنْهُ؟!

حَاشَا، بَلْ كُلُّهُ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَيِّنٌ، وَلَكِنَّ هَذَا مِثَالٌ يُضْرَبُ مِنْ أَجْلِ تَحْرِيكِ الْعَقْلِ بِالنَّظَرِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَمِنْ أَجْلِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَىٰ الْمَقْصُودِ، وَمِنْ أَجْلِ انْتِزَاعِ الْإِقْرَارِ بِالْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ مِنَ الْمُعَارِضِ الْمُخَالِفِ الْمُعَانِدِ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، فَيُقَالُ عَقْلًا: إِذَا كَانَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ خَلَقَ هَذَا الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ أَفَلَا يُعِيدُهُ بَعْدَ أَنْ يُفْنِيَهُ؟ أَفَلَا يُعِيدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَيَرُدُّهُ؟ أَلَيْسَ ذَلِكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ؟

وَأَمَّا عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَلَا يُقَالُ هَذَا وَلَا هَذَا، كُلُّهُ أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَكُلُّهُ هَيِّنٌ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وَقَالَ آمِرًا بِالرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ إِحْيَاءَ الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

* **قُلْتُ**: فَيُقَالُ لِمَنْ يُنْكِرُ الْبَعْثَ هَذَا الْكَوْنُ، وَسَنَعُودُ إِلَىٰ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: هَلْ خُلِقَ هَذَا الْخَلْقُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ؟ أَمْ خَلَقَ نَفْسَهُ؟

خَلَقَتْهُ الصُّدْفَةُ أَمْ خَلَقَ نَفْسَهُ أَمْ خُلِقَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ؟

وَهَذَا بَاطِلٌ عقلًا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ خلقَهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَيُثْبِتُ وُجُودَ الصَّانِعِ يُثْبِتُ وُجُودَ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَإِنَّكَ تَقُولُ لَهُ: إِذَا كَانَ قَدْ أَنْشَأَ، وَخَلَقَ هَذَا، وَكُلُّ هَذَا حَادِثٍ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ خُلِقَ وَلَمْ يَكُنْ، كَانَ مَعْدُومًا فَأَوْجَدَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَهَذَا الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَأَوْجَدَهُ أَلَيْسَ إِذَا أَفْنَاهُ أَلَيْسَ قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُعِيدَهُ؟

فَإِنَّهُ قَدْ أَنْشَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ الْأَوَّلُ مِنْ وَجْهَي الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الثَّانِي: أَنَّ الْأَرْضَ تَكُونُ مَيِّتَةً هَامِدَةً لَيْسَ فِيهَا شَجَرَةٌ خَضْرَاءُ، فَيَنْزِلُ عَلَيْهَا الْمَطَرُ فَتَهْتَزُّ خَضْرَاءَ حَيَّةً فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، وَالْقَادِرُ عَلَىٰ إِحْيَائِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

* **قُلْتُ**: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾، أَيْ: تَرَاهَا يَابِسَةً مُتَطَامِنَةً جَدْبَةً هَابِطَةً مُتَشَقِّقَةً مَيِّتَةً، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: تَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ، ﴿وَرَبَتْ﴾: انْتَفَخَتْ، وَعَلَتْ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فَضَرَبَ هَذَا الْمِثَالَ الَّذِي لَا يَمْتَرِي فِيهِ ذُو عَقْلٍ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩- ١١].

* **قُلْتُ:** ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ أَيْ: حَبَّ الزَّرْعِ الَّذِي يُحْصَدُ، ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ الطَّلْعُ هُوَ: ثَمَرُهَا مَادَامَ فِي وِعَائِهِ، وَالنَّضِيدُ: الْمُتَرَاكِمُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يَعْنِي: بِهَذَا الْمَاءِ الْمُبَارَكِ الَّذِي نَزَّلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ أَحْيَيْنَا بَلْدَةً مَيْتًا.

فَضَرَبَ الْمِثَالَ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْكَرَ، أَلَا تَرَوْنَ ذَلِكَ بِأَعْيُنِكُمْ؟ أَلَا تُشَاهِدُونَهُ، وَتُبْصِرُونَهُ، وَتَرُوحُونَ، وَتَجِيئُونَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالٍ؟! وَمَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَقَدْ رَآهُ فِي بُقْعَةٍ مِنْ أَرْضِ اللهِ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ، قَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ فَتَأَمَّلُوا فِي هَذَا وَأَعْمِلُوا عُقُولَكُمْ، وَافْتَحُوا أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَفْئِدَتِكُمْ فَسَتَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَا يَتَفَاوَتُ، وَأَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

⊙⊙⊙

الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بِالشَّرْعِ وَالْحِسِّ وَالْعَقْلِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ **فَأَنْكَرُوا عَذَابَ الْقَبْرِ** وَنَعِيمَهُ، زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ لِمُخَالَفَةِ الْوَاقِعِ، قَالُوا: فَإِنَّهُ لَوْ كُشِفَ عَنِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ لَوُجِدَ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَالْقَبْرُ لَمْ يَتَغَيَّرْ بِسَعَةٍ وَلَا ضِيقٍ.

* **قُلْتُ**: وَهَذَا مِنْ إِعْمَالِ الْعَقْلِ مَعَ النَّقْلِ، وَمِنْ إِعْمَالِ الْعَقْلِ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ، وَمِنْ إِعْمَالِ الْعَقْلِ بِطَرِيقَةٍ خَائِبَةٍ غَيْرِ مُنْتِجَةٍ.

فَالْعَقْلُ لَهُ حُدُودٌ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَقَّفَ عِنْدَهَا، وَيَنْبَغِي أَلَّا يَتَجَاوَزَهَا، وَبِهَذَا يُقِرُّ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّ الْعَقْلَ لَهُ حُدُودٌ لَا يَتَجَاوَزُهَا، وَإِذَا تَعَدَّاهَا فَإِنَّ الْخَلْطَ يَتَأَتَّىٰ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ فَمِنَ الْعَقْلِ أَلَّا يَتَجَاوَزَ بِالْعَقْلِ حَدَّهُ، وَأَنْ يُوقَفَ الْعَقْلُ عِنْدَ حَدِّهِ، فَهَذَا مِنَ الْعَقْلِ أَصْلًا.

وَلَكِنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ، وَأُدْخِلَ الْقَبْرَ فَالنَّاسُ عِنْدَ الْقَبْرِ يَرَوْنَهُ، وَلَا سَعَةَ هُنَالِكَ، وَلَا ضِيقَ، وَالنَّاسُ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَهَذَا الَّذِي يُقَالُ مِنَ الْعَذَابِ، وَالنَّعِيمِ لَا يُبْصَرُ، وَلَا يُسْمَعُ، وَلَوْ فَتَحْتَ الْقَبْرَ بَعْدَ حِينٍ، وَنَظَرْنَا إِلَىٰ الْمَيِّتِ، وَكُنَّا كَمَا ضَرَبَ الْمِثَالُ قَبْلُ وَكُنَّا قَدْ وَضَعْنَا عَلَىٰ بَطْنِ الْمَيِّتِ الزِّئْبَقَ الرَّجْرَاجَ، وَهُوَ لَا يَسْتَقِرُّ إِلَّا عَلَىٰ مُسْتَقِرٍّ، فَلَوْ نَظَرْنَا لَوَجَدْنَا الزِّئْبَقَ عَلَىٰ حَالِهِ، فَكَيْفَ يُقَالُ: إِنَّهُ أُقْعِدَ، وَتَكَلَّمَ لَمَّا سُئِلَ سَوَاءٌ أَجَابَ أَمْ قَالَ: لَا أَدْرِي؟



فَهَذَا وَهَذَا كَانَ دَاعِيًا إِلَىٰ وُقُوعِ هَذَا الَّذِي جُعِلَ عَلَىٰ بَطْنِهِ أَوْ صَدْرِهِ مِنَ الزِّئْبَقِ الَّذِي وَضَعْنَاهُ، فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ فَتَحْنَا عَلَيْهِ قَبْرَهُ، وَنَظَرْنَا فَسَنَجِدُ الْأَمْرَ عَلَىٰ حَالِهِ، هَذَا كُلُّهُ مِنْ إِعْمَالِ الْعَقْلِ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ، وَالْعَقْلُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ.

وَقَالُوا: لَوْ كُشِفَ عَنِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ لَوُجِدَ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَالْقَبْرُ لَمْ يَتَغَيَّرْ بِسَعَةٍ وَلَا ضِيقٍ، هَذَا الزَّعْمُ إِذَا زُعِمَ، وَنَحْنُ فِي زَمَانٍ كَثُرَ فِيهِ قَوْلُ الْإِلْحَادِ وَالْكُفْرِ، وَكَثُرَ فِيهِ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ الْبَاطِلِ، وَيُهَاجِمُ الْعَقَائِدَ، وَيَتَحَلَّلُ مِنَ الدِّيَانَاتِ، وَيُنْكِرُ وُجُودَ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ حَتَّىٰ صَارَ فِي بَعْضِ بِلَادِ الْكُفْرِ، بَلْ فِي أَكْثَرِهَا، بَلْ فِي كُلِّهَا صَارَتْ خَانَةُ الدِّيَانَةِ أَنَّهُ غَيْرُ مُعْتَقِدٍ أَنَّهُ مُلْحِدٌ فِي خَانَةِ الدِّيَانَةِ يُكْتَبُ أَنَّهُ غَيْرُ مُعْتَقِدٍ يَعْنِي هُوَ مُلْحِدٌ، يَعْنِي هُوَ مُنْكِرٌ لِوُجُودِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فَفِي زَمَانٍ عَمَّ فِيهِ الْإِلْحَادُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِقَاعِ، وَكَثُرَ فِيهِ إِنْكَارُ وُجُودِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَضْلًا عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْغَيْبِيَّاتِ، فِي عَصْرٍ هَذَا شَأْنُهُ، وَهَذَا حَالُ أَبْنَائِهِ أَوْ حَالُ كَثِيرٍ مِنْ أَبْنَائِهِ يَنْبَغِي عَلَىٰ الْمُسْلِمِ الدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَكُونَ وَاعِيًا لِيَعْتَقِدَ الِاعْتِقَادَ الصَّحِيحَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ جِهَةٍ، وَلِكَيْ يُدَافِعَ عَنْ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ النِّيَّةَ الَّتِي يَطْلُبُ بِهَا طَالِبُ الْعِلْمِ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ هِيَ أَنْ يَعْرِفَ بِالْعِلْمِ رَبَّهُ، وَأَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَأَنْ يَكُونَ بِهَذَا الْعِلْمِ دَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ يُنَافِحَ عَنْ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْعِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمَهُ، فَمِنَ النِّيَّاتِ الَّتِي يَنْوِيهَا طَالِبُ الْعِلْمِ عِنْدَ الطَّلَبِ أَنْ يُدَافِعَ عَنْ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْعِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمَهُ، وَكَيْفَ يُدَافِعُ طَالِبُ الْعِلْمِ عَنْ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ.

وَهَذَا يَتَكَلَّمُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُعْمِلُونَ الْعُقُولَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَعْمَلُ فِيهَا الْعُقُولُ أَصْلًا، وَإِنَّمَا الْعَقْلُ يَعْمَلُ فِي تَوْثِيقِ النَّصِّ فَقَطْ، يَعْمَلُ الْعَقْلُ فِي تَوْثِيقِ النَّصِّ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْغَيْبِيَّةِ يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ التَّوْثِيقِ، فَإِذَا ثَبَتَ النَّصُّ فَمَا هُوَ إِلَّا الْإِذْعَانُ وَالتَّسْلِيمُ.

وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الصِّدِّيقِيُّ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ لَمَّا قَالُوا لَهُ: «إِنَّ صَاحِبَكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ، ثُمَّ عَادَ، وَفِرَاشُهُ لَمْ يَزَلْ دَافِئًا بَعْدُ، فَوَثَّقَ النَّصَّ قَالَ: أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيَّ، قَالُوا: لَا، بَلْ قَالَ، قَالَ: إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ ﷺ.

إِذَنْ أَمْرَانِ: الْأَمْرُ الْأَوَّلُ تَوْثِيقُ النَّصِّ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيَّ. قَالُوا: لَا، بَلْ قَالَ. فَلَمَّا رَاجَعُوهُ عَلِمَ أَنَّهُ قَالَ.

قَالَ: إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ.

فَإِذَا ثَبَتَ النَّصُّ فَلَيْسَ إِلَّا التَّسْلِيمُ لِلْوَحْيِ الْمَعْصُومِ إِنْ كُنْتَ نَاقِلًا فَالصِّحَّةُ أَوْ مُدَّعِيًا فَالدَّلِيلُ.

هَذَا قَانُونُ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا هُوَ الْقَانُونُ الْعِلْمِيُّ عِنْدَ جَمَاهِيرِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ سَلَفًا وَخَلَفًا.

«إِنْ كُنْتَ نَاقِلًا فَالصِّحَّةُ أَوْ مُدَّعِيًا فَالدَّلِيلُ» كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ[١]، وَصَاغَ ذَلِكَ بِصِيَاغَةٍ أُخْرَىٰ، فَقَالَ: الْعِلْمُ نَقْلٌ مُصَدَّقٌ، فَهَذَا النَّقْلُ الْمُصَدَّقُ هُوَ الشَّطْرُ الْأَوَّلُ مِنْ تِلْكَ الْمَقُولَةِ عِلْمٌ مُحَقَّقٌ دَعْوَىٰ مُحَقَّقَةٌ، وَنَقْلٌ مُصَدَّقٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ ذَلِكَ، وَنَجْتَهِدُ فِي الدِّفَاعِ عَنْ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

سَتَجِدُ هَذَا كَثِيرًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ كَمَا مَرَّ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَدِيثِ النُّزُولِ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ: «**يَنْزِلُ فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا،...**»[٢].

فَيَقُولُ قَائِلٌ عَلَىٰ حَسَبِ مَا تَعَلَّمَهُ، وَيُعْمِلُهُ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ فَيَقُولُ: وَلَكِنَّ هَذَا الثُّلُثَ الْأَخِيرَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْبِقَاعِ فِي الْأَرْضِ، فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ نِصْفَ الْكُرَةِ يَكُونُ فِيهِ نَهَارٌ، وَالنِّصْفَ الْآخَرَ يَكُونُ فِيهِ لَيْلٌ، وَالْحَدِيثُ يَقُولُ إِذَا كَانَ الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ؟

وَيُعْمِلُ الْعَقْلَ مَعَ النَّصِّ، وَكَأَنَّ الَّذِي عَلِمَهُ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْحَيَاةِ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَتِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ فِي الْكَوْنِ كَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ حَاكِمًا عَلَىٰ

---

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» (١/ ٢٤٦) (١٢/ ٦٣) (١٣/ ٣٢٩، و٣٤٤)، وَ«الِاسْتِغَاثَةُ» (ص٤١٠، دَارُ الْمِنْهَاجِ، الرِّيَاضِ)، قَالَ: «الْعِلْمُ إِمَّا نَقْلٌ مُصَدَّقٌ وَإِمَّا اسْتِدْلَالٌ مُحَقَّقٌ؛ وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَهَذَيَانٌ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّهَجُّدِ، ١٤: ١، رَقْمُ ١١٤٥) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ، ٢٤: ١، رَقْمُ ٧٥٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ الَّذِي جاءَ بِهِ الرَّسُولُ الْمَعْصُومُ ﷺ إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الْخُرَافَاتِ وَالْخزَعْبلَاتِ.

وَكَمَا مَرَّ أَيْضًا، وَدَنْدَنَّا حَوْلَهُ طَوِيلًا، وَهَذَا نَافِعٌ فِي هَذَا وَنَظَائِرِهِ؛ أَنَّهُم يَرُدُّونَ حَدِيثَ الذُّبَابَةِ، عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»[1]: «**إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيطَرِحْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً**»، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ.

فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ: هَذَا لَا يُمْكِنُ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ» لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ثَابِتًا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَرَدُّوا الْحَدِيثَ.

بِمَاذَا؟

رَدُّوا الْحَدِيثَ بِأَنَّ الْعِلْمَ الْحَدِيثَ قَدْ أَثْبَتَ أَنَّ الذُّبَابَ نَاقِلٌ لِلْأَمْرَاضِ، وَأَنَّهُ يَقِفُ عَلَىٰ الْفَضَلَاتِ، وَالنُّفَايَاتِ، وَمَا أَشْبَهَ فَيَعْلَقُ بِهِ مَا يَعْلَقُ بِأَرْجُلِهِ، وَأَجْنِحَتِهِ مِنْ تِلْكَ الْمِيكْرُوبَاتِ، وَالْفَيْرُوسَاتِ، وَمَا أَشْبَهَ مِنَ الْأَحْيَاءِ الدَّقِيقَةِ أَثْبَتَ الْعِلْمُ ذَلِكَ يَقُولُونَ.

وَنَقُولُ: لَا حَرَجَ فَلْيُثْبِتِ الْعِلْمُ مِنَ الْحَقَائِقِ مَا شَاءَ اللهُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَنَافَىٰ، وَلَا أَنْ تَتَعَارَضَ مَعَ الثَّابِتِ مِنْ كَلَامِ اللهِ، وَكُلُّهُ ثَابِتٌ، وَمِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَ مَاذَا؟

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ١٧: ١، رَقْمُ ٣٣٢٠)، وَفِي (الطِّبِّ، ٥٨، رَقْمُ ٥٧٨٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يَقُولُونَ: الدِّينُ دِينُ النَّظَافَةِ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْعَلَ النَّبِيَّ ﷺ نَاطِقًا بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ نَغْمِسُ الذُّبَابَ إِذَا وَقَعَ فِي الشَّرَابِ فَكَانَ مَاذَا؟

أَنْتُمْ تَقُولُونَ هَذَا؛ لِأَنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ الْعِلْمَ الْحَدِيثَ قَدْ أَثْبَتَ أَنَّ الذُّبَابَ يَحْمِلُ الْأَحْيَاءَ الدَّقِيقَةَ هَذِهِ الْأَحْيَاءُ الدَّقِيقَةُ كَانَتْ مَعْلُومَةً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنْ كَانَ فِي عَصْرِهِ، وَكَانَ الْعِلْمُ بِهَا ذَائِعًا مُنْتَشِرًا يَقُولُونَ لَا.

نَقُولُ: حَسْبُكَ الرَّسُولُ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ فِي إِحْدَىٰ جَنَاحَيْهِ دَاءً، وَصَدَّقَهُ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ، فَإِنَّهُ مُنْذُ ثَلَاثِمِئَةِ عَامٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ كَانَ قَمَّاشٌ هُولَنْدِيٌّ يُقَالُ لَهُ (لُوبِين هُوك)، وَكَانَ هَذَا الْقَمَّاشُ يَهْوَىٰ صُنْعَ الْعَدَسِ -جَمْعُ عَدَسَةٍ- فَصَنَعَ مِيكْرُوسْكُوبًا بِدَائِيًّا، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ بِهِ، وَكَانَ طُلَعَةً هَذَا الرَّجُلُ كَانَ طُلَعَةً فَأَخَذَ يَنْظُرُ بِهِ فِي مَاءِ الْمَطَرِ، وَفِي اللُّعَابِ، وَفِي الْبَوْلِ، وَفِي الْبَرَازِ، وَفِي الْمَنِيِّ فَرَأَىٰ أَشْيَاءَ عَجِيبَةً فَأَثْبَتَهَا، فَهَذِهِ أَوَّلُ عَيْنٍ بَشَرِيَّةٍ نَظَرَتْ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ الدَّقِيقَةَ مُنْذُ ثَلَاثِمِئَةِ عَامٍ لَا أَكْثَرَ، بَلْ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَ الْحَدِيثُ مُصَدِّقًا لِمَا جَهِلْتُمُوهُ لِمُدَّةِ أَلْفِ عَامٍ أَفَتَجْعَلُونَ مَا دَلَّ عَلَىٰ صِدْقِ نِصْفِ الْحَدِيثِ عِنْدَكُمْ دَاعِيًا لِتَكْذِيبِ نِصْفِهِ الْآخَرِ؟!!

لِمَاذَا لَا تَقُولُونَ مُتَطَامِنِينَ خَاشِعِينَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِنَّ الَّذِي أَخْبَرَ بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ بِأَلْفِ عَامٍ.

مَنِ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَنَّ فِي إِحْدَىٰ جَنَاحَيِ الذُّبَابِ دَاءً، وَجَاءَ هَذَا الْأَمْرُ بِالْعِلْمِ الْحَدِيثِ فَصَدَّقَ ذَلِكَ، مَنِ الَّذِي أَخْبَرَهُ؟

هَذَا وَحْيٌ مَعْصُومٌ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﷺ أَفَتَجْعَلُونَ مَا كَانَ دَلِيلًا عَلَىٰ صِدْقِهِ دَاعِيَةً لِتَكْذِيبِهِ؟! أَهَذَا عَقْلٌ؟!

وَلِمَاذَا لَا تَقُولُونَ نَحْتَاجُ أَلْفَ عَامٍ أُخْرَىٰ لِكَيْ نُثْبِتَ النِّصْفَ الْآخَرَ مِنَ الْحَدِيثِ؟!

لِمَاذَا لَا تَقُولُونَ ذَلِكَ، وَقَدِ احْتَجْتُمْ أَلْفَ عَامٍ وَأَكْثَرَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُثْبِتُوا النِّصْفَ الْأَوَّلَ؟!

فَأَمْثَالُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ عِنْدَمَا يَتَعَامَلُ بِهَا مَعَ نُصُوصِ الْوَحْيِ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ طُلَّابُ الْعِلْمِ فِي وَجْهِ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ لِرَدِّهِ وَدَفْعِهِ كَيْفَ يُرَدُّ؟

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الزَّعْمُ بَاطِلٌ بِالشَّرْعِ، وَالْحِسِّ، وَالْعَقْلِ:

أَمَّا الشَّرْعُ: فَقَدْ سَبَقَتِ النُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ فِي فَقْرَةٍ (ب) مِمَّا يَلْتَحِقُ بِالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[1]، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَعْضِ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا،... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «**أَنَّ أَحَدَهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ** -وَفِي رِوَايَةٍ: «**مِنْ بَوْلِهِ**»-، **وَأَنَّ الْآخَرَ كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (الْجَنَائِزُ، ٨٨، رَقْمُ ١٣٧٨) (الْأَدَبُ، ٤٩، رَقْمُ ٦٠٥٥) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ (الطَّهَارَةُ، ٣٤، رَقْمُ ٢٩٢).

* **قُلتُ:** أَيَنْفَعُ مَعَ مِثْلِ هَذَا الَّذِي يُنْكِرُ عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ الشَّرْعُ، نَعَمْ يَنْفَعُ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يُعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ يُنْكِرُونَ نَعِيمَ الْقَبْرِ وَعَذَابَهُ، وَيَدَّعُونَ مَسْأَلَةَ أَحَادِيثِ الْآحَادِ كَمَا مَرَّ فَنَقُولُ لَهُ نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَذَا، وَنَسُوقُ الْأَحَادِيثَ وَالْأَدِلَّةَ، وَنَقُولُ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَذَا وَكَذَا وَنَسُوقُ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا الْحِسُّ: فَإِنَّ النَّائِمَ يَرَىٰ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي مَكَانٍ فَسِيحٍ بَهِيجٍ يَتَنَعَّمُ فِيهِ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مُوحِشٍ يَتَأَلَّمُ مِنْهُ، وَرُبَّمَا يَسْتَيْقِظُ أَحْيَانًا مِمَّا رَأَىٰ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ فِي حُجْرَتِهِ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَالنَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ وَلِهَذَا سَمَّاهُ اللهُ تَعَالَىٰ «وَفَاةً»، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢].

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَإِنَّ النَّائِمَ فِي مَنَامِهِ يَرَىٰ الرُّؤْيَا الْحَقَّ الْمُطَابِقَةَ لِلْوَاقِعِ، وَرُبَّمَا رَأَىٰ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ صِفَتِهِ، وَمَنْ رَآهُ عَلَىٰ صِفَتِهِ فَقَدْ رَآهُ حَقًّا(١)، وَمَعَ ذَلِكَ فَالنَّائِمُ فِي حُجْرَتِهِ عَلَىٰ فِرَاشِهِ بَعِيدًا عَمَّا رَأَىٰ، فَإِذَا كَانَ هَذَا مُمْكِنًا فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، أَفَلَا يَكُونُ مُمْكِنًا فِي أَحْوَالِ الْآخِرَةِ؟!

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّعْبِيرِ، ١٠: ١، رَقْمُ ٦٩٩٣) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الرُّؤْيَا، ١: ٢، رَقْمُ ٢٢٦٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* **قُلْتُ:** وَشَيْءٌ آخَرُ هُوَ أَنَّنَا نَقُولُ لَهُ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ أَبْطَلَ بِخَلْقِكَ أَنْتَ زَعْمَكَ الَّذِي تَزْعُمُ، فَإِنْ قَالَ: كَيْفَ؟

نَقُولُ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ خَلَقَكَ فِي مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِ خَلْقِكَ لَا يُمْكِنُ الْآنَ أَنْ تَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ فِيهَا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهَا، وَهِيَ الْمَرْحَلَةُ الْجَنِينِيَّةُ الَّتِي كُنْتَ فِيهَا.

هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ الْجَنِينِيَّةُ كُنْتَ فِيهَا عَلَىٰ قَانُونٍ، وَكُنْتَ فِيهَا مُكَوَّرًا عَلَىٰ نَفْسِكَ فِي بَطْنِ أُمِّكَ تَسْبَحُ فِي السَّائِلِ الْأَمنيُوسِيِّ، ثُمَّ تَتَغَذَّىٰ، وَتُخْرِجُ، وَتَتَنَفَّسُ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُنَالِكَ مَحْفُوظًا حَتَّىٰ يَتَلَقَّىٰ الصَّدَمَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَتَلَقَّاهَا الْأُمُّ فِي زَمَانِ الْحَمْلِ فَلَا يُؤْذِيكَ ذَلِكَ، وَلَا يَضُرُّكَ، فَكُنْتَ فِي تَغْذِيَتِكَ، وَفِي إِخْرَاجِكَ، وَفِي تَنَفُّسِكَ، كُلُّ ذَلِكَ يَتِمُّ عِنْدَكَ لَا عَنْ طَرِيقِ الْمَعِدَةِ، وَلَا عَنْ طَرِيقِ الرِّئَتَيْنِ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ ذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَبْلِ السُّرِّيِّ.

هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ كُنْتَ فِيهَا أَمْ لَمْ تَكُنْ؟

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ، وَلَمْ يَمُرَّ بِالْمَرْحَلَةِ الْجَنِينِيَّةِ فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُ؛ لِأَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ وَرَاءِ أَسْوَارِ الْبِيمَارِسْتَانِ، هَذَا مَجْنُونٌ، فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُ، وَإِنْ قَالَ: كُنْتُ.

نَقُولُ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهَا الْآنَ؟ وَهَلْ تَتَصَوَّرُهَا؟ هَلْ تَتَذَكَّرُهَا؟ هَلْ كَانَ قَانُونُ الْحَيَاةِ الْجَنِينِيَّةِ هُوَ هُوَ الْقَانُونُ الْفَاعِلُ الْعَامِلُ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ الْخُرُوجِ

مِنْ بَطْنِ الْأُمِّ أَمْ صِرْتَ إِلَىٰ قَانُونِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ مُخَالِفٌ مُخَالَفَةً كَامِلَةً لِقَانُونِ الْحَيَاةِ الْجَنِينِيَّةِ؟

سَيَقُولُ: هُوَ مُخَالِفٌ مُخَالَفَةً كَامِلَةً لِقَانُونِ الْحَيَاةِ الْجَنِينِيَّةِ.

نَقُولُ: هَذَا مَرَرْتَ بِهِ، الْحَيَاةُ الْبَرْزَخِيَّةُ بَعْدَ الْمَوْتِ لَهَا قَانُونٌ مُخَالِفٌ لِقَانُونِ الْحَيَاةِ الْجَنِينِيَّةِ، وَلِقَانُونِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِذَا كُنْتَ قَدْ صَدَّقْتَ بِالْقَانُونِ الْأَوَّلِ، وَأَنْتَ جَنِينٌ فِي رَحِمِ أُمِّكِ فَلِمَاذَا تُنْكِرُ مَا سَيَكُونُ بَعْدُ؟

لِمَاذَا تُنْكِرُ مَا سَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَنْتَ إِنَّمَا عَلِمْتَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِكَ فِي بَطْنِ أُمِّكَ لَا بِذَاتِكَ، وَمِنْ ذَاتِكَ، وَإِنَّمَا بِقِيَاسِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا يَعْتَرِي أَمْثَالَكَ مِنْ نَوْعِكَ، وَهُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ؟

فَكَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ إِنَّمَا تُعْلَمُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ؛ لِأَنَّهُ مَنِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: أَنَا أُومِنُ بِأَنَّ لِي مُخًّا قَدِ احْتَوَتْهُ جُمْجُمَتِي؛ لِأَنِّي رَأَيْتُهُ، هَلْ رَأَيْتَهُ؟

وَقَبْلَ اخْتِرَاعِ جِهَازِ (الْأَشِعَّةِ السِّينِيَّةِ)، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَىٰ مَا هُنَالِكَ فَقَطْ، وَلَكِنْ لَا تُرِيكَ ذَلِكَ قَبْلَ هَذَا كَيْفَ عَرَفَ النَّاسُ أَنَّ لَهُمْ قُلُوبًا، وَأَنَّ لَهُمْ أَكْبَادًا، وَأَنَّ لَهُمْ أَحْشَاءً بِالْقِيَاسِ عَلَىٰ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي يَعْلَمُهَا الْإِنْسَانُ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ.

وَكَذَلِكَ تَقُولُ لِهَذَا الَّذِي يُنْكِرُ تَقُولُ لَهُ: هَذَا الْقَانُونُ الَّذِي يَكُونُ فِي الْقُبُورِ فِي الْبَرْزَخِ مِنْ بَعْدِ الْوَفَاةِ إِلَىٰ الْقِيَامَةِ هَذَا قَانُونٌ يَشْمَلُ هَذِهِ الْفَتْرَةَ مِنَ الزَّمَنِ

بِالنِّسْبَةِ لِكُلِّ كَائِنٍ إِنْسَانِيٍّ مَاتَ، فَإِنَّهُ مُنْذُ يَمُوتُ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ السَّاعَةَ هُوَ فِي الْبَرْزَخِ.

هَذِهِ الْحَيَاةُ الْبَرْزَخِيَّةُ لَهَا قَانُونٌ أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُحَاكِمَ الْحَيَاةَ الْبَرْزَخِيَّةَ لِقَانُونِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَحَاكِمِ الْحَيَاةَ الْجَنِينِيَّةَ بِقَانُونِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَقَطِّعِ الْأَحْبَالَ السُّرِّيَّةَ، وَأَخْرِجِ الْأَجِنَّةَ فَاجْعَلْهَا آكِلَةً مُخْرِجَةً مُتَنَفِّسَةً فِي خَارِجِ بُطُونِ الْأُمَّهَاتِ، وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَذَلِكَ يَكُونُ كَذَلِكَ، وَلْتُعْمِلِ الْعَقْلَ، وَلْتَثُبْ إِلَىٰ الرُّشْدِ.

وَدِينُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا اسْتَقَامَتِ الْفِطْرَةُ تَقَبَّلَتْهُ، وَتَلَقَّتْهُ بِالْقَبُولِ الْحَسَنِ، وَاسْتَقَامَتْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ الْإِسْلَامَ الْفِطْرَةَ، وَالْفِطْرَةَ الْإِسْلَامَ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَطَرَ النَّاسَ جَمِيعًا حُنَفَاءَ مُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَصْلِ الْفِطْرَةِ، وَلَكِنَّ الْغَبَشَ الَّذِي يُغَشِّي وَجْهَ الْفِطْرَةِ يُشَوِّهُ الصُّورَةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي تُتَلَقَّىٰ مِنَ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، وَالْوَحْيُ الْمَعْصُومُ لَا نَقُولُ يُلَامِسُ الْفِطْرَةَ، وَإِنَّمَا الْوَحْيُ الْمَعْصُومُ يُعَامِلُ هَذِهِ الْفِطْرَةَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُعِيدَهَا بَعْدَ اعْوِجَاجِهَا إِلَىٰ الطَّرِيقِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ، وَالَّذِي فَطَرَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ.

لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ فَطَرَ -أَيْ خَلَقَ- عِبَادَهُ جَمِيعًا حُنَفَاءَ مُسْتَقِيمِينَ مَائِلِينَ عَنِ الشِّرْكِ بَعِيدِينَ عَنِ الزَّيْغِ وَالْكُفْرِ فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَهَذَا يُغَشِّي وَجْهَ الْفِطْرَةِ، وَأَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِي يُعَامِلُ الْفِطْرَةَ الْمُعَامَلَةَ الصَّحِيحَةَ يَسْتَقِيمُ عَلَيْهَا نَاهِجًا نَهْجَهَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤَدِّيَهُ ذَلِكَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ الْحَقِّ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْمُنْصِفِينَ مِنَ الْغَرْبِيِّينَ، وَالشَّرْقِيِّينَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَالْمُلْحِدِينَ؛ لِأَنَّ الْفِطْرَةَ تَسْتَقِيمُ عِنْدَهُمْ أَحْيَانًا اضْطِرَارًا، وَجبْرًا عِنْدَمَا يَجِدُ الْقَوَانِينُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كَوْنِهِ فَاعِلَةً فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ فِطْرَتِهِ، وَتَسْتَقِيمُ عَلَيْهَا عَيْنُ بَصِيرَتِهِ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يُسَلِّمَ بِوُجُودِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْظُرُ فِي الْوَحْيِ فَيَجِدُ الْوَحْيَ مُسْتَقِيمًا مَعَ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

وَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ بِسَبَبِ نَظَرِهِمْ فِي عِلْمِهِمْ، وَبِسَبَبِ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ فَوَجَدُوا أَنَّ ذَلِكَ يَنطِقُ بِهِ كِتَابُ اللهِ، وَتَنْطِقُ بِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ مُجَافَاةٍ!

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَعَارَضَ حَقِيقَةٌ كَوْنِيَّةٌ مَعَ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَلَا مَعَ حَدِيثٍ ثَابِتٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ لَا يُمْكِنُ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَنَّ عَالِمًا فِي قَامَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- يُصَنِّفُ كِتَابًا مَاتِعًا مِنْ أَفْضَلِ مَا فِي الْمَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بَلْ مِنْ أَفْضَلِ مَا فِي الْمَكْتَبَةِ الْعَالَمِيَّةِ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ كِتَابُ: «دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ».

دَرْءُ: أَيْ دَفْعُ «دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» هَذَا الْكِتَابُ يَدُلُّ الشَّيْخُ فِيهِ عَلَىٰ أَنَّ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَارَضَ مَعَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ لِمَاذَا؟

لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي أَوْحَىٰ مَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مَا خَلَقَ مِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَارَضَ قَوْلُهُ مَعَ فِعْلِهِ الصَّادِقِ، لَا يَتَعَارَضُ مَقَالُهُ مَعَ أَفْعَالِهِ، لَا يُمْكِنُ، فَهَذَا خَلْقُهُ، وَهَذَا فِعْلُهُ.

خَلَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْخَلْق فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَارَض فِعْلُهُ مَعَ كَلَامِهِ مَعَ مَقَالِهِ؛ الْقُرْآنُ كَلَامُهُ، وَوَحْيُهُ، وَكَذَلِكَ سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ، وهَذِهِ الْقَوَانِينُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْأَرْضِ مِنَ السُّنَنِ الْكَوْنِيَّةِ، فِعْلُهُ خَلْقُهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَارَض خَلْقُهُ مَعَ كَلَامِهِ، وَلَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ حَقِيقَةً لَا أَنْ تَكُونَ نَظَرِيَّةً، وَكَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِذَا أُنْشِئَتْ نَظَرِيَّةٌ أَوْ قِيلَتْ فَإِنَّهُ يُسَارِعُ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ هَذِهِ عِنْدَنَا، وَيَلْوِي أَعْنَاقَ النُّصُوصِ مِنْ أَجَلِ أَنْ يَقُولَ هِيَ عِنْدَنَا، وَنَحْنُ قُلْنَاهَا قَبَلَ أَنْ يَقُولَهَا الْبَشَرُ.

هَذَا لَا يَزِيدُنَا شَيْئًا فِي إِيمَانِنَا بِفَضْلِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَحْنُ نُؤْمِنُ بِكِتَابِ اللهِ، وَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ نَسْتَقِيمُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَنَعْمَلُ جَاهِدِينَ مِنْ أَجَلِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ بِفَضْلِ رَبِّنَا، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ بِحَوْلِ رَبِّنَا، وَطَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نُؤْمِنُ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الطَّيِّبِينَ إِذَا أُذِيعَتْ نَظَرِيَّةٌ يُسَارِعُ إِلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّهَا عِنْدَنَا كَمَا صَنَعَ مُحَمَّد عَبْدُه الْمِصْرِيُّ عِنْدَمَا قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْكَوَاكِبَ السَّبعَ السَّيَّارَةَ هِيَ السَّبعُ الطِّبَاقُ، فَلَمَّا ظَهَرَ وَاكْتُشِفَ ثَامِنٌ قِيلَ كَيْفَ تَقُولُ الْآنَ، وَمَاذَا تَقُولُ؟

قَالَ هِيَ هَذِهِ السَّبعُ الْكَوَاكِبُ السَّيَّارَةُ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ فَاكْتُشِفَ سَبْعٌ مِنْهَا فَلَمَّا اكْتُشِفَ الثَّامِنُ قَالَ هُوَ: إِنَّهَا هِيَ السَّبعُ الطِّبَاقُ فَقِيلَ لَهُ فَمَا تَقُولُ الْآنَ وَقِدِ اكْتُشِفَ ثَامِنٌ، وَتَاسِعٌ فَمَاذَا تَقُولُ؟

فَلَا يُسَارَعُ إِلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ، وَلَا يَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ الشَّيْخُ طَنْطَاوِي جُوهر فِي تَفْسِيرِهِ «الْجَوَاهِرُ» فَإِنَّهُ قَدْ جَمَعَ فِيهِ مُكْتَشَفَاتِ أَهْلِ الْعَصْرِ عَلَىٰ عَصْرِهِ فَإِذَا تَعَرَّضَ مَثَلًا لِتَفْسِيرِ سُورَةِ النَّمْلِ يَكْتُبُ كُلَّ مَا كَتَبَ الْبَاحِثُونَ فِي عِلْمِ الْحَشَرَاتِ عَنِ النَّمْلِ، فَتَجِدُ كِتَابَهُ مَوْسُوعَةً تَحْوِي أَمْثَالَ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَتَخْلُو مِنَ التَّفْسِيرِ، لَا بَلْ لَا تَخْلُو مِنَ التَّفْسِيرِ فَقَطْ، بَلْ فِيهَا التَّفْسِيرُ الْمَغْلُوطُ، فِيهَا التَّفْسِيرُ الَّذِي يَأْتِي بِهِ أَهْلُ الْبِدَعِ يَلْوُونَ أَعْنَاقَ النُّصُوصَ.

وَكَمَا فَعَلَ مُحَمَّد عَبْدُه الْمِصْرِي أَيْضًا عِنْدَمَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: قِصَّةُ الْفِيلِ ثَابِتَةٌ مِنْ حَيْثُ التَّارِيخُ، وَلَكِنَّ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ قَدْ يُشْكِلُ عَلَىٰ الْغَرْبِيِّينَ، وَالشَّرْقِيِّينَ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ.

قَالُوا: كَيْفَ تَأْتِي الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ، وَتَرْمِي بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، قَالَ: نَعَمْ سَنَجْعَلُ الْعَقْلَ حَاكِمًا، كَيْفَ؟

قَالَ هَذِهِ إِنَّمَا أَتَتْ بِالْمِيكْرُوبَاتِ فَلَمَّا أَصَابَهُمْ مَسُّ ذَلِكَ أَصَابَهُمُ الْمَرَضُ فَقَالَ لَهُ مَنْ قَالَ: وَيْحَكَ هُنَاكَ فِي الْأَمْرَاضِ مَا يُسَمَّىٰ بِفَتْرَةِ الْحَضَانَةِ، وَهِيَ الْفَتْرَةُ الَّتِي تَبْدَأُ مُنْذُ الْإِصَابَةِ بِالْمِيكْرُوبِ إِلَىٰ حِينِ ظُهُورِ الْأَعْرَاضِ عَلَىٰ الْمُصَابِ فَالْمَرَضُ الَّذِي ادَّعَيْتَ مِنَ الْجُدَرِيِّ أَوْ مِنَ الْحَاصِبَةِ حَتَّىٰ تَحْتَاجَ فَتْرَةَ حَضَانَةٍ، وَهَؤُلَاءِ مَاتُوا لِلتَّوِّ وَاللَّحْظَةِ، فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ كَلَامُكَ فِي أَنَّهَا حَمَلَتِ الْمِيكْرُوبَاتِ، وَأَلْقَتْ بِهَا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَأُصِيبُوا بِالْمَرَضِ؟!

كَلَامُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَجَلُّ، وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَالتَّفْسِيرُ لَهُ طَرِيقٌ، وَضَّحَهُ السَّلَفُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِالْقُرْآنِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَسِّرِ الْقُرْآنَ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلَامِ الْأَصْحَابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَتَعُودُ إِلَىٰ اللُّغَةِ، وَتَنْظُرُ فِي اللُّغَةِ، وَلَا تَتَعَسَّفْ.

وَلَا يُقْدِمُ أَحَدٌ عَلَىٰ التَّفْسِيرِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُؤَهَّلًا كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-: «**لَا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ إِلَّا مَنْ حَازَ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ عِلْمًا**»، الَّذِي يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ يَنْبَغِي أَنْ يَحُوزَ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ عِلْمًا، وَلَا يُغْنِي أَنْ تَقُولَ مَثَلًا لَيْسَ بِتَفْسِيرٍ، وَلَكِنْ هُوَ خَوَاطِرُ أَوْ هُوَ ظِلَالٌ، وَلَيْسَ تَفْسِيرًا قُلْ هَذَا وَهْمٌ أَيْضًا.

وَلَا يَتَعَامَلُ مَعَ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمِثْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ، كَلَامُ اللهِ.

إِذَا كُنْتَ أَنْتَ تَرَىٰ خَلْقَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَتَمْتَلِئُ النَّفْسُ إِيمَانًا، وَرَوْعَةً، وَرَهْبَةً عِنْدَمَا تَرَىٰ مِنْ خَلْقِ اللهِ مَا تَرَىٰ مِنَ الْأَجْرَامِ الْعَظِيمَةِ الْكَبِيرَةِ السَّابِحَاتِ فِي الْفَلَكِ مِمَّا لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَدَّرَ فِي حَجْمِهِ، وَلَا فِي بُعْدِ مَسَافَتِهِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ، وَعِنْدَمَا يَنْظُرُ إِلَىٰ ذَلِكَ تِلِيسْكُوبَاتُ الرَّادِيَاوِيَّةُ الَّتِي تَتَعَامَلُ مَعَ الْأَطْيَافِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَنْظُرُ فِي ذَلِكَ تَرَىٰ أَمْرًا عَجَبًا تَمْتَلِئُ مِنْهُ النَّفْسُ رَوْعَةً.

وَتَمْتَلِئُ النَّفْسُ مِنْهُ رَهْبَةً عِنْدَمَا تَرَىٰ الشَّلَّالَاتِ عِنْدَمَا تَرَىٰ الْعَوَاصِفَ، وَالْأَعَاصِيرَ عِنْدَمَا تَرَىٰ مَا تَرَىٰ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مِنَ الزَّلَازِلِ، وَالْبَرَاكِينِ، بَلْ عِنْدَمَا

تَنْظُرُ فِي أَدَقِّ الْأَشْيَاءِ كَمَا تَنْظُرُ فِي أَدَقِّ الْمَخْلُوقَاتِ مِمَّا تَوَصَّلَ النَّاسُ إِلَىٰ النَّظَرِ إِلَيْهِ مُكَبَّرًا إِلَىٰ مَا يَصِلُ إِلَىٰ رُبُعِ مِلْيُونِ مَرَّةٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَرَاهُ الْعَيْنُ، وَنِصْفُ مِلْيُونِ مَرَّةٍ يُكَبَّرُ نِصْفَ مِلْيُونِ مَرَّةٍ، وَأَكْثَرَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ مَنْظُورًا.

أَمْثَالُ هَذِهِ الْأُمُورِ مِمَّا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ، وَلَا تَرَاهُ الْعَيْنُ مَهْمَا كُبِّرَ؛ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ الْبَشَرِيَّةَ لَا تَصِلُ إِلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ عِنْدَمَا تَرَىٰ هَذَا، وَتَتَأَمَّلُ فِيهِ تَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ! تَمْتَلِئُ النَّفْسُ رَوْعَةً إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ يَدْخُلُ عَلَيْهَا مَا يَدْخُلُ مِنَ الرَّوْعَةِ، وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ، وَالْإِخْبَاتِ، وَالْخُشُوعِ، وَالْإِذْعَانِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالنَّظَرِ فِي الْخَلْقِ فَكَيْفَ بِكَلَامِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ؟!

فَإِذَنِ الَّذِي يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ أَثَرُ الْقُرْآنِ فِي النَّفْسِ أَقْوَىٰ مِنْ هَذِهِ الْآثَارِ جَمِيعِهَا، وَلَكِنْ أَيْنَ عِنْدَ مَنْ يَتَدَبَّرُ فَلَا يُعَامَلُ الْقُرْآنُ بِمِثْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ، وَإِنَّمَا يُنْظَرُ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ قَانُونِ السَّلَفِ كَمَا نَظَرَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يَنْظُرُونَ فِي كِتَابِ اللهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَنْظُرُونَ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ قَانُونٍ، وَبِنِظَامٍ فَلَا يُتَجَاوَزُ حَتَّىٰ يُمْكِنَ أَنْ تَتَحَصَّلَ عَلَىٰ الْفَائِدَةِ مِنَ النَّظَرِ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَأَمَّا التَّهْوِيمَاتُ، وَأَمَّا التَّعَسُّفَاتُ، وَأَمَّا لَيُّ أَعْنَاقِ الْآيَاتِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ إِدْخَالِ الْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا لَا يَنْبَغِي

مُطْلَقًا أَنْ يَكُونَ، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللهِ، وَكَلَامُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ.

فَإِذَا كَانَ الْبَهْرُ، وَالرَّوْعُ، وَإِذَا كَانَ الدَّهَشُ، وَالْعَجَبُ، وَإِذَا كَانَ الْإِيمَانُ، وَالْيَقِينُ يَصِلُ بِالنَّفْسِ إِلَىٰ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ بِهَا عِنْدَ النَّظَرِ فِي مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَكَيْفَ بِالنَّظَرِ فِي آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كَلَامِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هَذَا يَكُونُ أَعْلَىٰ وَأَجَلَّ، وَلِذَلِكَ لَا يَشْبَعُ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُتَّقُونَ.

الْمُؤْمِنُونَ الْفَالِحُونَ يُدْمِنُونَ النَّظَرَ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَكُونُ الْمَرْدُودُ فِي نُفُوسِهِمْ، وَفِي قُلُوبِهِمْ، وَفِي أَرْوَاحِهِمْ مِمَّا لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ، وَلَكِنَّ النُّفُوسَ لَا تَتَفَتَّحُ لِكَلَامِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا لِآيَاتِهِ؛ لِأَنَّ فِيهَا مَا فِيهَا مِنَ الدَّغَلِ فَحَرَمَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَرَكَةَ النَّظَرِ فِي كِتَابِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا اعْتِمَادُهُمْ فِيمَا زَعَمُوهُ عَلَىٰ أَنَّهُ لَوْ كُشِفَ عَنِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ لَوُجِدَ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَالْقَبْرُ لَمْ يَتَغَيَّرْ بِسَعَةٍ وَلَا ضِيقٍ، فَجَوَابُهُ مِنْ وُجُوهٍ مِنْهَا:

* **قُلْتُ:** الْوَجْهُ الَّذِي ذَكَرْتُهُ، وَهُوَ أَنَّكَ تَقُولُ هَذِهِ حَالَةٌ لَهَا قَانُونٌ، وَحَيَاةٌ لَهَا قَانُونٌ يَحْكُمُهَا، وَهِيَ الْحَيَاةُ الْبَرْزَخِيَّةُ، وَلَا تَخْضَعُ لِقَانُونِكَ أَنْتَ. أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ

تُحَاكِمَ الْحَيَاةَ الْبَرْزَخِيَّةَ لِقَانُونِ الدُّنْيَا الَّذِي أَنْتَ تَعْرِفُهُ، وَالَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّ الْحَيَاةَ الْجَنِينِيَّةَ كَانَ لَهَا قَانُونٌ، وَعِشْتَهَا، وَكُنْتَ خَاضِعًا لِقَانُونِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ أَنْتَ لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ أَنْ تَخْضَعَ لِقَانُونِهَا الْآنَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَصَوَّرَهُ فَذَلِكَ كَذَلِكَ، فَهَذَا يُقَالُ أَوَّلًا.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ لَا تَجُوزُ مُعَارَضَةُ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ بِمِثْلِ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ الدَّاحِضَةِ الَّتِي لَوْ تَأَمَّلَ الْمُعَارِضُ بِهَا مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ حَقَّ التَّأَمُّلِ لَعَلِمَ بُطْلَانَ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ وَقَدْ قِيلَ:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا ... وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ(١)

الثَّانِي: أَنَّ أَحْوَالَ الْبَرْزَخِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا الْحِسُّ، وَلَوْ كَانَتْ تُدْرَكُ بِالْحِسِّ لَفَاتَتْ فَائِدَةُ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، وَلَتَسَاوَىٰ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَالْجَاحِدُونَ فِي التَّصْدِيقِ بِهَا.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ وَسَعَةَ الْقَبْرِ وَضِيقَهُ إِنَّمَا يُدْرِكُهَا الْمَيِّتُ دُونَ غَيْرِهِ، وَهَذَا كَمَا يَرَىٰ النَّائِمُ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مُوحِشٍ، أَوْ فِي مَكَانٍ وَاسِعٍ بَهِيجٍ، وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ مَنَامُهُ هُوَ فِي حُجْرَتِهِ وَبَيْنَ فِرَاشِهِ وَغِطَائِهِ.

---

(١) الْبَيْتُ لِأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي فِي «دِيوَانِهِ» (ص٢٣٢، دَارُ بَيْرُوت)، مِنْ قَصِيدَةٍ يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا: «إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ».

وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَهُوَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَيَسْمَعُ الْوَحْيَ، وَلَا يَسْمَعُهُ الصَّحَابَةُ، وَرُبَّمَا يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُهُ وَالصَّحَابَةُ لَا يَرَوْنَ الْمَلَكَ، وَلَا يَسْمَعُونَهُ.

الرَّابِعُ: أَنَّ إِدْرَاكَ الْخَلْقِ مَحْدُودٌ بِمَا مَكَّنَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ إِدْرَاكِهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُدْرِكُوا كُلَّ مَوْجُودٍ، فَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَكُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللهِ تَسْبِيحًا حَقِيقِيًّا يُسْمِعُهُ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ أَحْيَانًا، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ مَحْجُوبٌ عَنَّا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وَهَكَذَا الشَّيَاطِينُ، وَالْجِنُّ، يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ ذَهَابًا وَإِيَابًا، وَقَدْ حَضَرَتِ الْجِنُّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاسْتَمَعُوا لِقِرَاءَتِهِ وَأَنْصَتُوا وَوَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. وَمَعَ هَذَا فَهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنَّا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وَإِذَا كَانَ الْخَلْقُ لَا يُدْرِكُونَ كُلَّ مَوْجُودٍ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْكِرُوا مَا ثَبَتَ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، وَلَمْ يُدْرِكُوهُ.

* **قُلْتُ**: فِي قَوْلِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾: دَلَالَةٌ عَلَىٰ عِظَمِ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِابْنِ آدَمَ فَإِنَّهُ جَادٌّ، وَحَرِيصٌ عَلَىٰ هَتْكِ عِرْضِكَ، وَكَشْفِ سَوْأَتِكَ كَمَا فَعَلَ مَعَ أَبِيكَ وَأُمِّكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

فَالشَّيْطَانُ جَادٌّ، وَحَرِيصٌ عَلَىٰ كَشْفِ السَّوْأَةِ، وَهَتْكِ الْعَوْرَةِ لَا يَزَالُ يُؤَدِّي بِالْخَلْقِ إِلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَصِيرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ الْيَوْمَ يَتَسَافَدُونَ كَالْحُمُرِ فِي الطُّرُقَاتِ، وَتَحْتَ الْأَعْيُنِ، وَإِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

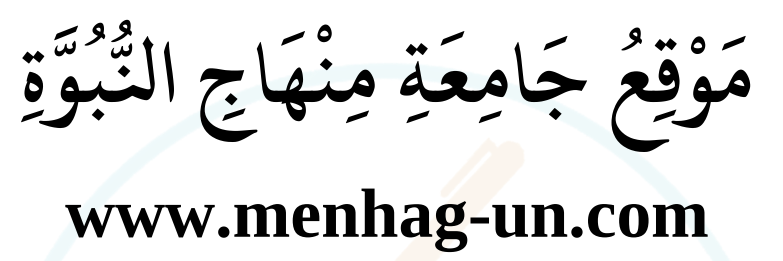
نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا وَعَنْكُمْ، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا وَخِتَامَكُمْ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا جَمِيعًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ مِنَ الْجَنَّةِ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

●●●





جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةَ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الرُّكْنُ السَّادِسُ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ....

* **قُلْتُ:** الْقَدَرُ فِي الْأَصْلِ: مَصْدَرٌ تَقُولُ: (قَدَرْتُ الشَّيْءَ) بِفَتْحِ الدَّالِ وَتَخْفِيفِهَا، وَأَقْدِرُهُ بِالْكَسْرِ: إِذَا أَحَطْتَ بِمِقْدَارِهِ[١].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْقَدَرُ بِفَتْحِ الدَّالِ: «تَقْدِيرُ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْكَائِنَاتِ، حَسْبَمَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ، وَاقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ».

* **قُلْتُ:** فَهُوَ تَقْدِيرُ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ حُدُوثِهَا تَقْدِيرًا يُوَافِقُ عِلْمَهُ، وَكِتَابَتَهُ كَمًّا، وَكَيْفًا، وَزَمَانًا، وَمَكَانًا.

---

(١) «فَتْحُ الْبَارِي» (١/ ١١٨)، «لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ» لِلسَّفَّارِينِيِّ (١/ ٣٤٥، مُؤَسَّسَةُ الْخَافِقَيْنِ)، «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» لِلْهَرَّاسِ (١/ ٦٥).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ بِكُلِّ شَيْءٍ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، أَزَلًا وَأَبَدًا، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِهِ أَوْ بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ.

* **قُلْتُ**: فَالْمَرْتَبَةُ الْأُولَىٰ: أَنْ تُؤْمِنَ بِعِلْمِ اللهِ الْمُحِيطِ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَخْفَىٰ عَنْهُ شَيْءٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الثَّانِي**: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ كَتَبَ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

* **قُلْتُ**: يَعْنِي: كَتَبَ مَا عَلِمَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٧٠].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(١)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**».

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الثَّالِثُ**: الْإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، سَوَاءٌ كَانَتْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِهِ أَمْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْمَخْلُوقِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِهِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْقَدَرِ، ٢: ٧، رَقْمُ ٢٦٥٣).

[القصص: ٦٨]، وَقَالَ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْمَخْلُوقِينَ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِذَوَاتِهَا، وَصِفَاتِهَا، وَحَرَكَاتِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وَقَالَ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وَقَالَ عَنْ نَبِيِّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

* قُلْتُ: فَهَذِهِ هِيَ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي لَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ إِلَّا إِذَا آمَنَ بِهَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعَةُ لِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ مَجْمُوعَةٌ فِي:

عِلْمٌ كِتَابَةُ مَوْلَانَا مَشِيئَتُهُ ... وَخَلْقُهُ، وَهْوَ إِيجَادٌ، وَتَكْوِينُ[1]

إِذَا آمَنْتَ بِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ إِيمَانًا صَحِيحًا كُنْتَ مُؤْمِنًا بِالْقَدَرِ إِيمَانًا صَحِيحًا، وَإِذَا اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَصِحَّ الْإِيمَانُ بِهَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يَصِحَّ الْإِتْيَانُ بِهَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ.

⁂

(١) «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» (١٠/ ٩٩٢).

هَلْ لِلْعَبْدِ قُدْرَةٌ وَمَشِيئَةٌ فِي أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ؟

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةٌ فِي أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ وَقُدْرَةٌ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ وَالْوَاقِعَ دَالَّانِ عَلَىٰ إِثْبَاتِ ذَلِكَ لَهُ.

* **قُلْتُ**: وَهَذَا مُهِمٌّ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَصَوَّرُونَ مَثَلًا أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمَّا عَلِمَ مَا سَيَكُونُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ فَكَتَبَ أَنَّ ذَلِكَ يَعْنِي الْجَبْرَ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُجْبِرُ الْعِبَادَ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُمْ مَا يَأْتِي حَتَّىٰ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفُسُوقِ، وَالْعِصْيَانِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ مَشِيئَةٌ عَلَىٰ فِعْلِ شَيْءٍ.

هَذَا خَطَأٌ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ جَعَلَتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَمَّا فَهِمُوهَا عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْخَاطِئِ الْمُخْطِئِ يَتَّهِمُونَ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ لَمَّا رَأَوُا الْمُسْلِمِينَ فِي جُمْلَتِهِمْ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ عَلَىٰ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ لَمَّا رَأَوُا جَمَاهِيرَ الْمُسْلِمِينَ يَتَوَاكَلُونَ مُعْتَمِدِينَ عَلَىٰ مَا يَظُنُّونَهُ إِيمَانًا بِالْقَدَرِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

فَيَقُولُونَ إِنَّ هَذَا الَّذِي يَحْدُثُ فِي كَوْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا قِبَلَ لَنَا عَلَىٰ تَغْيِيرِهِ، وَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَىٰ تَغْيِيرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ يَقَعُ بِقَدَرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثُمَّ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُسَلِّمَ بِهِ، وَأَنْ نَخْضَعَ لَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَهَذَا خطَأٌ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ لَا يَعْنِي سَلْبَ الْمَشِيئَةِ عَنِ الْعَبْدِ، بَلْ أَثْبَتَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، وَأَثْبَتَ لِلْعَبْدِ قُدْرَةً كَمَا سَيَأْتِي ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَفِي نُصُوصِهِ الشَّرِيفَةِ.

وَشَيْءٌ آخَرُ: أَنَّ الَّذِي يَظُنُّ ذَلِكَ يَكُونُ جَبْرِيًّا مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ أَوْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ فَيَقُولُ بِمَذْهَبِ الْجَبْرِ، وَيَأْخُذُ بِتِلْكَ النِّحْلَةِ الْفَاسِدَةِ مِنْ نِحَلِ أَهْلِ الِانْحِرَافِ وَالزَّيْغِ عَنْ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَعَمَّا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَتَوَاكَلُ، وَيَتْرُكُ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ، وَيَنْفِي الْمَشِيئَةَ عَنِ الْعِبَادِ، ثُمَّ يَصِيرُ وَاقِعًا تَحْتَ نِيرِ الذُّلِّ، وَالطُّغْيَانِ، وَالْفَسَادِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَاوِلَ مُحَاوَلَةً مِنْ أَجْلِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ لِتَغَيُّرِ مَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا هُوَ وَاقِعٌ مُعْتَمِدًا فِيمَا يَأْتِي وَفِيمَا يَدَعُ عَلَىٰ هَذَا الْوَهْمِ الْبَاطِلِ الَّذِي يَظُنُّهُ اعْتِقَادًا صَحِيحًا، وَإِيمَانًا شَرِيفًا.

وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا أَثْبَتَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، وَأَثْبَتَ لِلْعَبْدِ اخْتِيَارًا، وَهَذَا مِمَّا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَرَحْمَتُهُ، وَعَدْلُهُ، وَإِلَّا فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مُجْبَرًا عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مَا يَأْتِي مِنْ أُمُورِ الْخَيْرِ فَلِمَاذَا يُثَابُ، وَهُوَ مَجْبُورٌ عَلَىٰ ذَلِكَ الْفِعْلِ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ بِمَشِيئَتِهِ، وَلَا بِاخْتِيَارِهِ.

وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ مُجْبَرًا عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ أُمُورِ الْبَاطِلِ وَالْكُفْرِ وَالضَّلَالِ فَلِمَاذَا يُعَاقَبُ عِقَابَهُ حِينَئِذٍ، وَهُوَ مُجْبَرٌ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ أُمُورِ الْكُفْرِ، وَالْفُسُوقِ، وَالْعِصْيَانِ، وَالضَّلَالِ؟

عِقَابُهُ يَكُونُ ظُلْمًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَلَّلَ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مُجْبَرٌ عَلَيْهِ مَسُوقٌ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ رَضِيَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَجَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَدَّاهُ كَمَا حَمَّلَهُ إِيَّاهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّىٰ الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ فَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ بِالْبَلَاغِ الْعِلْمِيِّ، وَبِالْبَلَاغِ الْفِعْلِيِّ الْعَمَلِيِّ فَكَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَيَأْخُذُ بِهَا ﷺ فَيَتَوَكَّلُ عَلَىٰ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَقَّ التَّوَكُّلِ، وَيَأْخُذُ بِالْأَسْبَابِ كَمَا عَلَّمَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَا يُفَرِّطُ فِي الْأَسْبَابِ ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: أَمَّا الشَّرْعُ: فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْمَشِيئَةِ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٣٩].

* **قُلْتُ:** فَأَثْبَتَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْعَبْدِ اتِّخَاذًا بِمَشِيئَةٍ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

* **قُلْتُ:** فَأَثْبَتَ لِلْعَبْدِ إِتْيَانًا بِمَشِيئَةٍ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ فِي الْقُدْرَةِ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن: ١٦].

* **قُلْتُ:** فَأَثْبَتَ لَهُ اسْتِطَاعَةً، وَسَمْعًا، وَطَاعَةً.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* **قُلْتُ**: فَأَثْبَتَ اللهُ لِلْعَبْدِ كَسْبًا، وَاكْتِسَابًا، وَكُلُّ ذَلِكَ وَاقِعٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الْوَاقِعُ: فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ مَشِيئَةً وَقُدْرَةً بِهِمَا يَفْعَلُ وَبِهِمَا يَتْرُكُ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ مَا يَقَعُ بِإِرَادَتِهِ كَالْمَشْيِ، وَمَا يَقَعُ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ كَالِارْتِعَاشِ.

* **قُلْتُ**: كُلُّ إِنْسَانٍ آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَقْلًا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَا هُوَ مُجْبَرٌ عَلَىٰ فِعْلِهِ، وَبَيْنَ مَا يَفْعَلُهُ اخْتِيَارًا لَا اضْطِرَارًا، كُلُّ إِنْسَانٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ تَبَوُّلِهِ الْإِرَادِيِّ، وَتَبَوُّلِهِ اللَّاإِرَادِيِّ، كُلُّ إِنْسَانٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مَثَلًا، كُلُّ إِنْسَانٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ نُزُولِهِ مُخْتَارًا عَلَىٰ السُّلَّمِ وَنُزُولِهِ وَإِنْزَالِهِ اضْطِرَارًا عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهِ مِنْ فَوْقِ سَطْحِ بَيْتِهِ مَثَلًا، يُفَرِّقُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا.

وَالَّذِي لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا مَسْلُوبُ الْعَقْلِ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَاشِيًا بِإِرَادَتِهِ، وَأَنْ يَكُونَ مُرْتَعِشًا فَتَتَحَرَّكُ أَعْضَاؤُهُ بِرِعْدَةٍ تُفْرَضُ عَلَيْهِ فَرْضًا بِقَدَرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا دَفْعًا، كُلُّ إِنْسَانٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ مَا هُوَ مَجْبُورٌ عَلَيْهِ، وَبَيْنَ مَا هُوَ مُخْتَارٌ فِيهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَكِنَّ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ وَقُدْرَتَهُ وَاقِعَتَانِ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُدْرَتِهِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩]، وَلِأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ مِلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ فَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ بِدُونِ عِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

* **قُلْتُ:** وَالتَّفْرِقَةُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ وَالْإِرَادَةِ الدِّينِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ هِيَ مِفْتَاحُ حَلِّ هَذَا الْإِشْكَالِ الَّذِي يَتَوَرَّطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الِاعْتِقَادِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْإِيمَانِ فِي أَمَسِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَمَسَّ الْإِنْسَانَ فِي إِيمَانِهِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ؛ لِأَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ جِدًّا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمِنَ الْأَقْوَالِ، وَمِنْ حَرَكَةِ الْحَيَاةِ، بَلْ إِنَّ حَرَكَةَ الْحَيَاةِ إِنَّمَا تَكُونُ نَابِعَةً فِي جُمْلَتِهَا مِنْ تَصَوُّرِ الْعَبْدِ الصَّحِيحِ، وَعَدَمِ تَصَوُّرِهِ لِمَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يُؤْمِنُ -مَثَلًا- بِأَنَّهُ مَجْبُورٌ عَلَىٰ كُلِّ فِعْلٍ يَفْعَلُهُ، وَأَنَّهُ مَسْلُوبُ الْإِرَادَةِ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ، هَذَا لَا بُدَّ أَنْ تَتَلَوَّنَ حَيَاتُهُ فِي جُمْلَتِهَا بِهَذَا الَّذِي يَعْتَقِدُهُ.

رَجُلٌ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ذُلٌّ أَوْ وَقَعَ بِهِ ظُلْمٌ أَوْ حَدَثَ لَهُ أَمْرٌ أَوْ آتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قُدْرَةً، وَآتَاهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قُوَّةً فَبَدَّدَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَغِلَّهُ اسْتِغْلَالًا صَحِيحًا، وَلَمْ يُفِدْ مِنْهُ إِفَادَةً سَلِيمَةً سَوِيَّةً.

إِنَّ هَذَا الَّذِي يَفْعَلُ هَذَا، وَيُفَرِّطُ عِنْدَمَا يَتَّكِئُ عَلَىٰ مَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ إِيمَانًا مَغْلُوطًا، وَأَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ مُجْبَرٌ عَلَىٰ فِعْلِ مَا يَفْعَلُ، هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ سُلُوكُهُ فِي الْحَيَاةِ نَابِعًا مِنْ هَذَا الْإِيمَانِ أَوْ مِنْ هَذَا التَّصَوُّرِ الْمَغْلُوطِ لِلْإِيمَانِ الصَّحِيحِ بِالْقَدَرِ.

هَذَا أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ جِدًّا فَإِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ الْفَارِقَ بَيْنَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ بِالْقَدَرِ وَالْإِيمَانِ الْخَاطِئِ لَا الْمُخْطِئِ بِالْقَدَرِ بَانَتْ لَهُ الْأُمُورُ عَلَىٰ حَقِيقَتِهَا، بَلْ إِنَّ الْحَيَاةَ يُمْكِنُ أَنْ تَتَغَيَّرَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا عِنْدَ تَصْحِيحِ الِاعْتِقَادِ بِالْقَدَرِ، كَيْفَ؟

إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، وَأَنَّ عِلْمَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِلْمٌ شَامِلٌ كَامِلٌ مُحِيطٌ، وَأَمَّا عِلْمُ الْبَشَرِ فَعِلْمٌ مُقَيَّدٌ بِحُدُودِ الزَّمَانِ، وَحُدُودِ الْمَكَانِ، وَعِلْمُ الْبَشَرِ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ مَلْحُوقٌ بِالنِّسْيَانِ، وَأَمَّا عِلْمُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ آفَاتٌ تَلْحَقُ بِعِلْمِ الْبَشَرِ، وَأَمَّا عِلْمُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَإِنَّهُ عِلْمٌ كَامِلٌ شَامِلٌ مُحِيطٌ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ كَمَا أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْخَضِرَ بِقَلْعِ رَأْسِ الْغُلَامِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَاشَ -وَلَمْ يَعِشْ- كَانَ سَيُرْهِقُ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا، وَكَانَا صَالِحَيْنِ، فَهُوَ لَمْ يَعِشْ، وَلَكِنَّهُ لَوْ كَانَ عَائِشًا بَعْدُ لَأَتَىٰ مِنْه هَذَا.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، وَلَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ هَذَا لَوْ كَانَ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا.

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لَيْسَ عِنْدَهُ زَمَانٌ، هَذَا الزَّمَانُ عِنْدَنَا نَحْنُ الْمَاضِي، وَالْحَاضِرُ، وَالْمُسْتَقْبَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَنَا نَحْنُ، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا هُوَ آتٍ كَمَا يَعْلَمُ مَا قَدْ كَانَ، بَلْ يَعْلَمُ مَا هُوَ آتٍ، وَمَا قَدْ كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ كَمَا يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، فَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فَكَتَبَ هَذَا.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ عِنْدَمَا يُعْطِي الْعَبْدَ الِاخْتِيَارَ مَا سَيَخْتَارُ فَيَكْتُبُ اخْتِيَارَهُ فِيمَا جَعَلَهُ مُخْتَارًا فِيهِ فَيَكْتُبُ اخْتِيَارَ الْعَبْدِ فِيمَا جَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

مُخْتَارًا فِيهِ فَيَظُنُّ النَّاسُ التَّلَازُمَ بَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالْجبْرِ، وَأَنَّهُ مَا دَامَ كَتَبَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ الْفِعْلُ كَمَا كَتَبَ، نَعَمْ لَا بُدَّ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ لَا يَتَخَلَّفُ سُبْحَانَهُ، وَلَكِنْ هُوَ كَتَبَ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ عِلْمِهِ.

الْعِلْمُ صِفَةُ انْكِشَافٍ بِالنِّسْبَةِ لِلرَّبِّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، يَعْلَمُ ﷻ مَا سَيكُونُ فَكَتَبَ مَا سَيكُونُ، وَأَعْطَاكَ الِاخْتِيَارَ فَيَعْلَمُ اخْتِيَارَكَ فَكَتَبَهُ، فَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذَا؟

فَإِذَا آمَنَ الْإِنْسَانُ بِالْعِلْمِ، وَآمَنَ بِالْكِتَابَةِ، وَآمَنَ بِالْمَشِيئَةِ، وَفِيهَا الْإِيمَانُ بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ، وَالْإِيمَانُ بِالْإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ فَيَتَأَمَّلُ الْإِنْسَانُ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ هَذَا الْكَوْنُ يَحْدُثُ فِيهِ أُمُورٌ لَا يَرْضَاهَا الرَّبُّ جَلَّوَعَلَا يَحْدُثُ فِيهِ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ وَالْفَوَاحِشُ وَالظُّلْمُ وَقَتْلُ الْأَنْفُسِ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَرْضَاهُ رَبُّنَا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وَمِمَّا حَرَّمَهُ، وَمِمَّا كَرِهَهُ.

فَيَقُولُ الْإِنْسَانُ هَذَا يَحْدُثُ فِي كَوْنِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وَتَأْتِي الْأَزْمَةُ الَّتِي تُحِيطُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّىٰ يَصِلُوا فِي الْمُنْتَهَىٰ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْجَبْرِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا يَظُنُّ الْوَاحِدُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ كَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُؤْمِنٌ بِالْجَبْرِ.

يَقُولُ إِذَا كَانَ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قَدْ شَاءَ أَنْ يَكْفُرَ الْكَافِرُ فَهَذِهِ الْمَشِيئَةُ يَنْبَغِي أَنْ تُحْتَرَمَ، وَإِذَنْ مَا ذَنْبُ الْكَافِرِ؟ هَذَا إِنَّمَا وَقَعَ بِمَشِيئَةِ اللهِ.

نَعَمْ، لَا يَقَعُ فِي مُلْكِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إِلَّا مَا يُرِيدُ، أَيُعْصَىٰ رَبُّنَا قَهْرًا؟!

أَيُعْصَىٰ رَبُّنَا قهرًا؟!

لِأَنَّهُ لَمَّا سُئِلَ فَقِيلَ لَهُ: أَيُرِيدُ رَبُّنَا أَنْ يُعْصَىٰ؟

قَالَ: وَيْحكَ أَوَيُعْصَىٰ رَبُّنَا قَهْرًا؟

يَعْنِي لَمَّا قَالَ هُنَالِكَ إِرَادَةٌ يَعْنِي إِذْنًا وَسَمَاحًا بِأَنْ يَقَعَ فِي كَوْنِ اللهِ مَا لَا يَرْضَاهُ، فَيَقَعُ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقع هَذَا قَهْرًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سُبْحَانَهُ، فَلَا يَقعُ ذَلِكَ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ يَعْنِي بِأَنْ يَشَاءَ أَنْ يَقَعهذَا، وَهُوَ يُبْغِضُهُ، وَلَكِنْ يَسْمَحُ بِوُقُوعِهِ فَيَقَعُ فِي مُلْكِهِ مَعَ بُغْضِهِ لَهُ، هَذِه إِرَادَةٌ كَوْنِيَّةٌ قَدَرِيَّةٌ.

الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ الْقَدَرِيَّةُ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّها يُمْكِنُ أَنْ تَقع فِيمَا يُبْغِضُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَيَكْرَهُهُ حَتَّىٰ الْكُفْرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ كُفْرٌ فِي مُلْكِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا بِإِذْنِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّهُ أَعْطَىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حُرِّيَّةَ الِاخْتِيَارِ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

فَإِذَا اخْتَارَ الْعَبْدُ أَنْ يَكْفُرَ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَفعَلَ مَا يُرِيدُ أَي مَا يُرِيدُهُ الْعَبْدُ مَعَ بُغْضِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِمَا يَفعَلُهُ هَذَا الْعَبدُ فَالَّذِي لَا يُصَلِّي لَا يُصَلِّي بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرِيدَ هَذَا الْأَمْرَ، وَهُوَ عَدَمُ الصَّلَاةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ، وَلَكِنْ يُبْغِضُهُ وَلَا يُحِبُّهُ.

وَأَمَّا الْإِرَادَةُ الدِّينِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَمَرَ بِعِبَادَتِهِ، وَأَمَرَ بِالْخَيْرِ، وَنَهَىٰ عَنِ الشَّرِّ فَإِذَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ مُرَادَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الشَّرْعِيَّ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ قَدْ تَعَلَّقَ بِالْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ الشَّرْعِيَّةَ تَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ، فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا يُحِبُّ، وَلَا يَنْهَىٰ إِلَّا عَمَّا يَكْرَهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ.

فَتُؤْمِنُ أَنَّ لَكَ مَشِيئَةً، وَأَنَّ لَكَ اخْتِيَارًا، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَشِيئَتُهُ فَوْقَ مَشِيئَتِكَ، وَأَنَّكَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَهُ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مِمَّا يُغْضِبُهُ فَيَأْذَنُ بِوُقُوعِهِ فِي مُلْكِهِ، وَهُوَ لَهُ مُبْغِضٌ لَا يُحِبُّهُ، وَلَا يَرْضَاهُ، وَلَكِنْ يَأْذَنُ بِوُقُوعِ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ.

كُنَّا قَدْ ضَرَبْنَا الْمَثَلَ قَدِيمًا؛ لِتَقْرِيبِ هَذَا الْأَمْرِ، وَللهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ، فَقُلْنَا: لَوْ أَنَّ لَكَ ابْنًا أَوْ أَخًا صَغِيرًا فَأَعْطَيْتَهُ فِي يَوْمِ الْعِيدِ مَالًا، وَقُلْتَ لَهُ يَا وَلَدِي خُذْ هَذَا الْمَالَ، وَأَنْفِقْهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ فِيمَا يُرْضِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَا يُغْضِبُهُ، وَحَذَارِ أَنْ تَأْتِيَ بِشَيْءٍ مِمَّا أَكْرَهُهُ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا تَبْدِيدٌ لِلْمَالِ أَوْ إِسْرَافٌ فِي إِنْفَاقِهِ أَوْ إِسَاءَةٌ فِي اسْتِعْمَالِهِ أَوْ ضَرَرٌ يَلْحَقُ بِكَ أَوْ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ فَحَذَّرْتَهُ، وَأَعْطَيْتَهُ الْمَالَ.

فَقَالَ: لَا، لَا بُدَّ أَنْ أَشْتَرِيَ كَذَا مِمَّا يَضُرُّ.

فَتَقُولُ لَهُ: وَلَكِنْ يَعْنِي هَذَا كَمَا قُلْتُ لَكَ يَضُرُّ، وَهَذَا لَا يُرْضِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَوَّلًا وَآخِرًا فَلَا تَفْعَلْ هَذَا.

يَقُولُ: لَا، لَا بُدَّ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا.

فَتَقُولُ إِذَنِ افْعَلْ مَا أَحْبَبْتَ، وَلَكِنِّي غَيْرُ رَاضٍ عَنْ فِعْلِكَ. إِذَنِ أَنْتَ قَدْ أَذِنْتَ أَنْ يَقَعَ فِيمَا تَحْتَ يَدِكَ مَا لَا تُحِبُّ.

تَقُولُ لَهُ: نَعَمِ افْعَلْ مَا تُحِبُّ، وَلَكِنْ إِنْ وَقَعَ مَا يَضُرُّ فَسَوْفَ أُعَاقِبُكَ.

آتَاكَ اللهُ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ أَنْ تَسْلُبَهُ مَا أَعْطَيْتَهُ، وَأَلَّا تُمَكِّنَهُ مِنْهُ، وَأَنْ تَحْبِسَهُ يَوْمَ الْعِيدِ فَلَا يَرَىٰ أَحَدًا، وَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ آتَاكَ اللهُ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَكِنَّكَ أَذِنْتَ لَهُ بِالتَّصَرُّفِ فِيمَا تَكْرَهُ لِحِكْمَةٍ تَرَاهَا أَنْتَ.

للهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ، اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ لَكَ مَشِيئَةً، وَآتَاكَ قُدْرَةً وَمَشِيئَتُهُ فَوْقَ مَشِيئَتِكَ، وَلَا يَقَعُ فِي مُلْكِ اللهِ إِلَّا مَا يُرِيدُهُ.

وَالْإِرَادَةُ إِرَادَتَانِ:

إِرَادَةٌ كَوْنِيَّةٌ قَدَرِيَّةٌ، وَلَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ، وَإِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَإِرَادَةٌ دِينِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَهَذِهِ تَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُرِيدُ شَرْعًا، وَدِينًا إِلَّا مَا يُحِبُّهُ، وَلَمْ يَأْمُرْ إِلَّا بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ يَنْهَ إِلَّا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَمْ يَحُضَّنَا إِلَّا عَلَىٰ الْخَيْرِ، وَلَمْ يَنْهَنَا إِلَّا عَنِ الشَّرِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

◉◉◉



الرَّدُّ عَلَى مَنِ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ فِي تَرْكِ الْوَاجِبِ أَوْ فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ مِنْ وُجُوهٍ سَبْعَةٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا لَا يَمْنَحُ الْعَبْدَ حُجَّةً عَلَىٰ مَا تَرَكَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ أَوْ فَعَلَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَعَلَىٰ هَذَا فَاحْتِجَاجُهُ بِهِ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ حُجَّةٌ بِالْقَدَرِ مَا أَذَاقَهُمُ اللهُ بَأْسَهُ.

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، وَلَوْ كَانَ الْقَدَرُ حُجَّةً لِلْمُخَالِفِينَ لَمْ تَنْتَفِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، لِأَنَّ الْمُخَالَفَةَ بَعْدَ إِرْسَالِهِمْ وَاقِعَةٌ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

الثَّالِثُ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ**

مِنَ الْجَنَّةِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَلَا نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**فأما من أعطىٰ واتقىٰ**﴾ الْآيَةَ[1].

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ[2]: «**فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَمَلِ وَنَهَىٰ عَنْ الِاتِّكَالِ عَلَىٰ الْقَدَرِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ الْعَبْدَ وَنَهَاهُ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُ إِلَّا مَا يَسْتَطِيعُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦]، وَقَالَ: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وَلَوْ كَانَ الْعَبْدُ مُجْبَرًا عَلَىٰ الْفِعْلِ لَكَانَ مُكَلَّفًا بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ الْخَلَاصَ مِنْهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ وَلِذَلِكَ إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ الْمَعْصِيَةُ بِجَهْلٍ، أَوْ نِسْيَانٍ، أَوْ إِكْرَاهٍ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مَعْذُورٌ.

الْخَامِسُ: أَنَّ قَدَرَ اللهِ تَعَالَىٰ سِرٌّ مَكْتُومٌ لَا يُعْلَمُ بِهِ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِ الْمَقْدُورِ، وَإِرَادَةُ الْعَبْدِ لِمَا يَفْعَلُهُ سَابِقَةٌ عَلَىٰ فِعْلِهِ فَتَكُونُ إِرَادَتُهُ الْفِعْلَ غَيْرَ مَبْنِيَّةٍ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِقَدَرِ اللهِ، وَحِينَئِذٍ تَنْتَفِي حُجَّتُهُ بِالْقَدَرِ؛ إِذْ لَا حُجَّةَ لِلْمَرْءِ فِيمَا لَا يَعْلَمُهُ.

* **قُلْتُ**: يَعْنِي عِنْدَمَا يَقَعُ فِي الْفَاحِشَةِ، وَيَقُولُ: كَانَتْ قَدَرًا قَدَّرَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيَّ أَزَلًا، وَكَتَبَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَأَيْنَ مِنْهَا الْمَهْرَبُ، وَأَيْنَ يَمْضِي هَارِبٌ مِنْ دَمِهِ؟

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْقَدَرِ، ٤: ٥، رَقْمُ ٦٦٠٥) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْقَدَرِ، ١: ٩، رَقْمُ ٢٦٤٧).

(٢) فِي (الْقَدَرِ، ١: ١١، رَقْمُ ٢٦٤٧).

فَيُقَالُ لَهُ: كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهَا قَدَرٌ؟

يَقُولُ: بَعْدَ أَنْ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ.

إِذَنْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ الْقَدَرَ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِ الْمَقْدُورِ فَقَبْلَ أَنْ تَفْعَلَ مَا فَعَلْتَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ مَنِ الَّذِي أَدْرَاكَ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْكَ؟ أَنْتَ تَحْتَجُّ الْآنَ بِمَا لَمْ تَكُنْ بِهِ عَالِمًا، فَهَذَاتَنَاقُضٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: السَّادِسُ: أَنَّنَا نَرَىٰ الْإِنْسَانَ يَحْرِصُ عَلَىٰ مَا يُلَائِمُهُ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ وَلَا يَعْدِلَ عَنْهُ إِلَىٰ مَا لَا يُلَائِمُهُ ثُمَّ يَحْتَجُّ عَلَىٰ عُدُولِهِ بِالْقَدَرِ، فَلِمَاذَا يَعْدِلُ عَمَّا يَنْفَعُهُ فِي أُمُورِ دِينِهِ إِلَىٰ مَا يَضُرُّهُ ثُمَّ يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ؟! أَفَلَيْسَ شَأْنُ الْأَمْرَيْنِ وَاحِدًا؟!

وَإِلَيْكَ مِثَالًا يُوَضِّحُ ذَلِكَ:

لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِنْسَانِ طَرِيقَانِ:

أَحَدُهُمَا: يَنْتَهِي بِهِ إِلَىٰ بَلَدٍ كُلُّهَا فَوْضَىٰ، وَقَتْلٌ وَنَهْبٌ، وَانْتِهَاكٌ لِلْأَعْرَاضِ، وَخَوْفٌ، وَجُوعٌ.

وَالثَّانِي: يَنْتَهِي بِهِ إِلَىٰ بَلَدٍ كُلُّهَا نِظَامٌ، وَأَمْنٌ مُسْتَتِبٌّ، وَعَيْشٌ رَغِيدٌ، وَاحْتِرَامٌ لِلنُّفُوسِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ.

فَأَيَّ الطَّرِيقَيْنِ يَسْلُكُ؟

إِنَّهُ سَيَسْلُكُ الطَّرِيقَ الثَّانِيَ الَّذِي يَنْتَهِي بِهِ إِلَىٰ بَلَدِ النِّظَامِ وَالْأَمْنِ، وَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ عَاقِلٍ أَبَدًا أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَ بَلَدِ الْفَوْضَىٰ، وَالْخَوْفِ، وَيَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ، فَلِمَاذَا يَسْلُكُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ طَرِيقَ النَّارِ دُونَ الْجَنَّةِ وَيَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ؟!

مِثَالٌ آخَرُ:

نَرَىٰ الْمَرِيضَ يُؤْمَرُ بِالدَّوَاءِ فَيَشْرَبُهُ وَنَفْسُهُ لَا تَشْتَهِيهِ، وَيُنْهَىٰ عَنِ الطَّعَامِ الَّذِي يَضُرُّهُ فَيَتْرُكُهُ وَنَفْسُهُ تَشْتَهِيهِ؛ كُلُّ ذَلِكَ طَلَبًا لِلشِّفَاءِ وَالسَّلَامَةِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَمْتَنِعَ عَنْ شُرْبِ الدَّوَاءِ أَوْ يَأْكُلَ الطَّعَامَ الَّذِي يَضُرُّهُ وَيَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ، فَلِمَاذَا يَتْرُكُ الْإِنْسَانُ مَا أَمَرَ بِهِ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ يَفْعَلُ مَا نَهَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ، ثُمَّ يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ؟!

* **قُلْتُ**: أَوْضَحُ مِنْ هَذَا: لَوْ عُرِضَ عَلَىٰ إِنْسَانٍ وَظِيفَتَانِ رَاتِبُ إِحْدَاهُمَا أَلْفُ دِينَارٍ، وَرَاتِبُ الْأُخْرَىٰ فِلْسَانِ فِي الشَّهْرِ، أَفَتَرَاهُ يَخْتَارُ الثَّانِيَةَ مُحْتَجًّا بِالْقَدَرِ أَمْ يُسَارِعُ إِلَىٰ اخْتِيَارِ الْأُولَىٰ؟!

الَّذِي يَعْلَمُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنَّهُ سَيُسَارِعُ إِلَىٰ اخْتِيَارِ الْأُولَىٰ، وَيَقُولُ هُوَ قَدَرٌ، فَلِمَاذَا لَا يَسْلُكُ سَبِيلَ الْآخِرَةِ، وَطَرِيقَ الْبَاقِيَةِ، وَيَقُولُ إِنَّهُ قَدَرٌ؟!!

يَسْلُكُ الطَّرِيقَ الْمَشْؤُومَ الَّذِي لَا عَاقِبَةَ فِيهِ إِلَّا وَكُلُّهَا ضَرَرٌ، وَوَبَالٌ، ثُمَّ يَحْتَجُّ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَقْدُورِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **السَّابِعُ**: أَنَّ الْمُحْتَجَّ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ مَا تَرَكَهُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ أَوْ فَعَلَهُ مِنَ الْمَعَاصِي، لَوِ اعْتَدَىٰ عَلَيْهِ شَخْصٌ فَأَخَذَ مَالَهُ أَوِ انْتَهَكَ

حُرْمَتَهُ ثُمَّ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ، وَقَالَ: لَا تَلُمْنِي فَإِنَّ اعْتِدَائِي كَانَ بِقَدَرِ اللهِ، لَمْ يَقْبَلْ حُجَّتَهُ. فَكَيْفَ لَا يَقْبَلُ الِاحْتِجَاجَ بِالْقَدَرِ فِي اعْتِدَاءِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ، وَيَحْتَجُّ بِهِ لِنَفْسِهِ فِي اعْتِدَائِهِ عَلَىٰ حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ؟!

* **قُلْتُ:** الَّذِي يَقُولُ إِنَّه يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ مِنَ الْمَعَاصِي، وَالْمُوبِقَاتِ، وَالْآثَامِ، وَالشُّرُورِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ طَائِلَةِ الْقَدَرِهَذَا جَبْرِيٌّ كَمَا تَرَىٰ.

وَقُلْنَا قَبْلُ: إِنْ أَيْسَرَ عِلَاجٍ لِأَهْلِ الطَّوَائِفِ الْمُنْحَرِفَةِ هُوَ عِلَاجُ الطَّائِفَةِ الْجَبْرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْجَبْرِ فَالَّذِي يَقُولُ لَكَ إِنَّهُ يَأْتِي مَا يَأْتِي، وَيَدَعُ مَا يَدَعُ، وَيَقُولُ مَا يَقُولُ مِمَّا لَا يُرْضِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ مَجْبُورٌ؛ لِأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ عَلَيْهِ مَقْدُورًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَلَّلَ مِنْهُ، وَلَا أَنْ يَخْلُصَ مِنْ تَحْتِ طَائِلَتِهِ.

مَنْ قَالَ لَكَ ذَلِكَ فَاصْفَعْهُ عَلَىٰ قَفَاهُ! فَإِذَا صَفَعْتَهُ عَلَىٰ قَفَاهُ فَرَضِيَ يَعْنِي قَالَ بَارَكَ اللهُ فِيكَ جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَزِدْهُ صَفْعًا حَتَّىٰ يَكُونَ مُتَّسِقًا مَعَ مُعْتَقَدِهِ؛ لِأَنَّهُ إِنِ احْتَجَّ عَلَيْكَ تَنَاقَضَ يَعْنِي عِنْدَمَا تَصْفَعُهُ عَلَىٰ قَفَاهُ إِنِ احْتَجَّ عَلَيْكَ قُلْ لَهُ: قَدَرِي يَا أَخِي قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْكَ أَنَا مَجْبُورٌ عَلَىٰ فِعْلِي، قَدَّرَ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَصْفَعَكَ عَلَىٰ قَفَاكَ، وَأَنْزِلَ عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهِ مِنَ الْبَلَاءِ مَا شِئْتَ.

إِذَا احْتَجَّ فَقُلْ لَهُ سُبْحَانَ اللهِ! تَنَاقَضْتَ، وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ -قِصَّةُ الْجَبْرِيِّ- مَعَ امْرَأَتِهِ عِنْدَمَا جَاءَ فَرَآهَا عَلَىٰ الْفَاحِشَةِ مَعَ رَجُلٍ فَغَضِبَ، وَسَلَّ سَيْفَهُ فَهَرَبَ

الرَّجُلُ، وَأَعْجَزَهُ هَرَبًا فَلَمَّا لَمْ يُدْرِكْهُ رَجَعَ إِلَىٰ الْمَرْأَةِ، وَالسَّيْفُ مَازَالَ فِي يَدِهِ مَسْلُولًا.

فَقَالَتْ: أَلَا تَرَىٰ أَنِّي فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ بِقَدَرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ، أَتَتْرُكُ السُّنَّةَ وَتَأْخُذُ بِمَذْهَبِ ابْنِ عَبَّاسٍ؟

فَأَغْمَدَ سَيْفَهُ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ فِيكِ كِدْتُ أَضِلُّ!

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَيُذْكَرُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رُفِعَ إِلَيْهِ سَارِقٌ اسْتَحَقَّ الْقَطْعَ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّمَا سَرَقْتُ بِقَدَرِ اللهِ. فَقَالَ عُمَرُ: وَنَحْنُ إِنَّمَا نَقْطَعُ بِقَدَرِ اللهِ.

● ● ●

ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَلِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ مِنْهَا:**

الْأُولَىٰ: الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، عِنْدَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ؛ بِحَيْثُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَىٰ السَّبَبِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ لَا يُعْجَبَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ حُصُولِ مُرَادِهِ؛ لِأَنَّ حُصُولَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، بِمَا قَدَّرَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ، وَالنَّجَاحِ، وَإِعْجَابُهُ بِنَفْسِهِ يُنْسِيهِ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ.

الثَّالِثَةُ: الطُّمَأْنِينَةُ، وَالرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ أَقْدَارِ اللهِ تَعَالَىٰ فَلَا يَقْلَقُ بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ، أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢- ٢٣].

* **قُلْتُ**: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾: يَعْنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾: يَعْنِي لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا حُزْنَ قُنُوطٍ؛ ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ﴾ فَرَحَ بَطَرٍ، وَاخْتِيَالٍ بِمَا آتَاكُمْ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ مُتَكَبِّرٌ مُبَاهٍ بِمَا أُوتِيَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

* **قُلْتُ**: فَالْمُؤْمِنُ يَرَىٰ ذَلِكَ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالٍ، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ فَيَبُوءُ لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ شَاكِرًا رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَإِذَا وَقَعَ فِي ذَنْبٍ اسْتَغْفَرَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَمْ يَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ.

وَإِنَّمَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ لَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ.

أَمَّا عِنْدَ الذَّنْبِ، وَعِنْدَ الْمَعْصِيَةِ فَالِاسْتِغْفَارُ وَالتَّوْبَةُ وَالْخُشُوعُ وَالْإِنَابَةُ وَالْعَوْدَةُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ، يَحْتَجُّ الْعَبْدُ بِالْقَدَرِ عِنْدَ وُقُوعِهِ فِي الْمَعَاصِي، هَذَا لَيْسَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَكِنْ يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ وُقُوعِ الْمُصِيبَةِ كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الزُّهْدِ، ١٣، رَقْمُ ٢٩٩٩)، مِنْ حَدِيثِ: صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

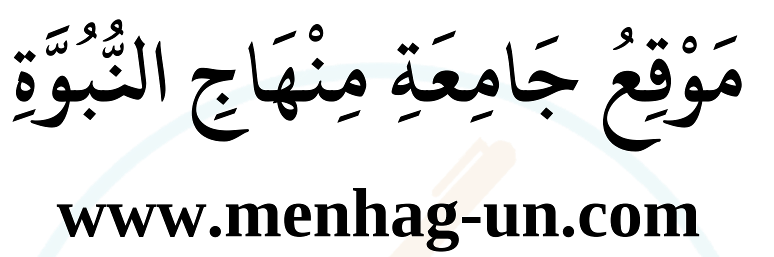
تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾

[الحديد: ٢٢- ٢٣].

فَإِذَا وقعَ علَىٰ الْعَبْدِ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ الْأَقْدَارِ غَيْرِ الْمُوَاتِيَةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَفْزَعُ إِلَىٰ رَبِّهِ حَامِدًا، وَشَاكِرًا، وَمُنِيبًا، وَمُخْبِتًا، وَخَاشِعًا، وَيَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُعَوِّضَهُ خَيْرًا فِيمَا أَصَابَهُ بِهِ، وَأَنْ يُثَبِّتَهُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ الْحَقِّ.

فَهَذَا هُوَ مُجْمَلُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.





يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

طَائِفَتَانِ ضَلَّتَا فِي الْقَدَرِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِمَا

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ ضَلَّ فِي الْقَدَرِ **طَائِفَتَانِ:**

إِحْدَاهُمَا: الْجَبْرِيَّةُ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْعَبْدَ مُجْبَرٌ عَلَىٰ عَمَلِهِ وَلَيْسَ لَهُ فِيهِ إِرَادَةٌ وَلَا قُدْرَةٌ.

الثَّانِيَةُ: الْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الْعَبْدَ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ فِي الْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ، وَلَيْسَ لِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُدْرَتِهِ فِيهِ أَثَرٌ.

* **قُلْتُ:** وَمَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ، والْجَمَاعَةِ فِي الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ وسَطٌ بَيْنَ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ الْمُنْحَرِفتَيْنِ، إِيمانُ أَهْلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ بَيْنَ الجَبْرِيَّةِ، والْقَدَرِيَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالرَّدُّ عَلَىٰ الطَّائِفَةِ الْأُولَىٰ (الْجَبْرِيَّةِ) بِالشَّرْعِ وَالْوَاقِعِ:

أَمَّا الشَّرْعُ: فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَثْبَتَ لِلْعَبْدِ إِرَادَةً وَمَشِيئَةً، وَأَضَافَ الْعَمَلَ إِلَيْهِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وَقَالَ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] الْآيَةَ.

وَقَالَ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

* **قُلْتُ:** فَهَذِهِ بَعْضُ دَلَالَاتِ الشَّرْعِ عَلَىٰ هَدْمِ هَذِهِ الْمِلَّةِ الْبَاطِلَةِ، والنِّحْلَةِ الْفَاسِدَةِ، وهِيَ مَا اعْتَقَدَهُ الْجَبْرِيَّةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْعَبْدَ مُجْبَرٌ علَىٰ عَمَلِهِ، ولَيْسَ لَهُ فِيهِ إِرَادَةٌ، ولَا قُدْرَةٌ، وقَدْ أَثْبَتَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْعَبْدِ إِرَادَةً، ومَشِيئَةً، وأَضَافَ الْعَمَلَ إِلَيْهِ، وهَذَا مُقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا الْوَاقِعُ: فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ الْفَرْقَ بَيْنَ أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ الَّتِي يَفْعَلُهَا بِإِرَادَتِهِ كَالْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَبَيْنَ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ كَالِارْتِعَاشِ مِنَ الْحُمَّىٰ، وَالسُّقُوطِ مِنَ السَّطْحِ، فَهُوَ فِي الْأَوَّلِ فَاعِلٌ مُخْتَارٌ بِإِرَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ جَبْرٍ، وَفِي الثَّانِي غَيْرُ مُخْتَارٍ وَلَا مُرِيدٍ لِمَا وَقَعَ عَلَيْهِ.

وَالرَّدُّ عَلَىٰ الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ (الْقَدَرِيَّةِ) بِالشَّرْعِ وَالْعَقْلِ:

* **قُلْتُ:** كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ يُخْطِئُ فِي تَنْزِيلِ الْاسْمِ عَلَىٰ الْفِرْقَةِ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَمَا يَسْمَعُ لَفْظَ الْقَدَرِيَّةِ يَتَّجِهُ ذِهْنُهُ إِلَىٰ أَمْرٍ مَوْهُومٍ، ولَيْسَ بِوَاقِعٍ، وهُوَ ظَنُّهُ أَنَّ الْقَدَرِيَّةَ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ بِقَدَرٍ، هَؤُلَاءِ هُمُ الْجَبْرِيَّةُ.

وأُمَّا الْقَدَرِيَّةُ فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ الْأَمْرُ أُنُفٌ، وأَنَّ اللهَ تبارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيسَ لِمَشِيئَتِهِ وقُدْرَتِهِ فِي أَعْمَالِ عِبادِهِ أَثَرٌ، بل يَقُولُونَ -تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا-: إِنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ حَتَّىٰ يَفْعَلَهُ فَهؤُلَاءِ هُمُ الْقَدَرِيَّةُ، وأَمَّا الْجَبْرِيَّةُ فَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْعَبْدَ مَجْبُورٌ عَلَىٰ فِعْلِ مَا يَفْعَلُ، وأَنَّهُ لَا مَشِيئَةَ لَهُ، ولَا اخْتِيارَ، ولَا إِرَادَةَ فَصَحِّحْ هَذَا.

والْقَدَرِيَّةُ يَقُولُونَ إِنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ لَا تَقَعُ بِمَشِيئَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، يَقُولُونَ: إِنَّ الْعَبْدَ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ فِي الْإِرَادَةِ، والْقُدْرَةِ، ولَيْسَ لِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وقُدْرَتِهِ فِي ذَلِكَ أَثَرٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: أَمَّا الشَّرْعُ: فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ كَائِنٌ بِمَشِيئَتِهِ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ تَقَعُ بِمَشِيئَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [السجدة: ١٣].

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَإِنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ هَذَا الْكَوْنِ فَهُوَ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَلَا يُمْكِنُ لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي مُلْكِ الْمَالِكِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

* **قُلْتُ:** وأَمَّا مَذْهَبُ الْقَدَرِيَّةِ فَلَازِمُهُ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ: أَنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ بِعَبْدٍ فِي الْحَقِيقَةِ، وإِنَّمَا هُوَ سَيِّدٌ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، ويَأْتِي مَا يُرِيدُ، وهَذَا لَيْسَ صَحِيحًا لَا عَقْلًا، ولَا حِسًّا، ولَا فِطْرَةً، ولَا نَقْلًا.

لَمَّا فَرَغَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- مِنْ بَيَانِ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ انْتَهَىٰ بِذَلِكَ مِنْ بَيَانِ الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَرَاتِبِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ سَاقَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- الدَّلِيلَ عَلَىٰ الْأَرْكَانِ الَّتِي سَاقَهَا رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

الدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهَذِهِ الْآيَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ خَمْسَةٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وهِيَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، ومَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَوْمِ الْآخِرِ.

ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دَلِيلَ الْقَدَرِ فَقَالَ:

ودَلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وهَذِهِ الْآيَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ فَهَذِهِ سِتَّةُ أَرْكَانٍ.

«وقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ رَدٌّ عَلَىٰ الْيَهُودِ الَّذِينَ اسْتَنْكَرُوا تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ وَجَحَدُوهُ مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ حَقٌّ.

فَأَخْبَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ الْبِرَّ، -وهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ خَيْرٍ- أَنَّ الْبِرَّ لَيْسَ فِي تَوْلِيَةِ الْإِنْسَانِ، وَجْهَهُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، ولَكِنَّ الْبِرَّ مَا ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْإِيمَانِ، ومَا ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْخَيْرِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ جِهَةً مِنَ الْجِهَاتِ مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ مِنَ اللهِ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ طَاعَةُ اللهِ إِذَا أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ، وجَبَ عَلَيْكُمْ حِينَئِذٍ امْتِثَالُهُ، والْعَبْدُ الصَّادِقُ هُوَ الَّذِي يَدُورُ مَعَ أَوَامِرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَيْثُ دَارَتْ لَا يَعْتَرِضُ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[١].

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟﴾ الْبِرَّ بِالنَّصْبِ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ لِـ(لَيْسَ)، و(أَنَّ) ومَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرِ اسْمِهَا مُؤَخَّرٌ، وَالتَّقْدِيرُ: (لَيْسَ الْبِرَّ تَوْلِيَةُ وُجُوهَكُمْ).

● ● ●

(١) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» لِلشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الْفَوْزَانِ (ص٢٢٠، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ وَتَعْرِيفُهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ، رُكْنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧- ٢٢٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] الْآيَةَ ....

* قُلْتُ: «الْإِحْسَانُ فِي اللُّغَةِ: إِتْقَانُ الشَّيْءِ وَإِتْمَامُهُ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْحُسْنِ، وهُوَ ضِدُّ الْقُبْحِ»(١).

الْإِحْسَانُ فِي الْأَصْلِ نَوْعَانِ:

إِحْسَانٌ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، وهُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

وإِحْسَانٌ فِي حُقُوقِ الْخَلْقِ، وهُوَ نَوْعَانِ:

(١) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» لِلشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ فَوْزَان الْفَوْزَانِ (ص٢٢١).

- **إِحْسَانٌ واجِبٌ**: وهُوَ أَنْ تَقُومَ بِحُقُوقِهِمْ الْوَاجِبَةِ عَلَىٰ أَكْمَلِ وجْهٍ، كَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وصِلَةِ الأَرْحَامِ، والإِنْصَافِ فِي جَمِيعِ الْمُعَامَلَاتِ، ويَدْخُلُ فِي هَذَا النَّوْعِ الإِحْسَانُ إِلَىٰ الْبَهَائِمِ، ثُمَّ الإِحْسَانُ فِي الْقَتْلِ كَذَلِكَ، وفِي الذَّبْحِ كَذَلِكَ، كَمَا أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِأَمْرِ اللهِ(١).

- **وَالْإِحْسَانُ الْمُسْتَحَبُّ**: هُوَ مَا زَادَ عَلَىٰ الْوَاجِبِ مِنْ بَذْلِ نَفْعٍ مَالِيٍّ أَوْ بَدَنِيٍّ أَوْ نَفعٍ عِلْمِيٍّ.

وَمِنْ أَجَلِّ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ: الإِحْسَانُ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ(٢).

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللهُ: الإِحْسَانُ ضِدُّ الإِسَاءَةِ، وَهُوَ أَنْ يَبْذُلَ الإِنْسَانُ الْمَعْرُوفَ وَيَكُفَّ الأَذَىٰ، فَيَبْذُلُ الْمَعْرُوفَ لِعِبَادِ اللهِ فِي مَالِهِ، وَجَاهِهِ، وَعِلْمِهِ، وَبَدَنِهِ.

فَأَمَّا الْمَالُ، فَأَنْ يُنْفِقَ وَيَتَصَدَّقَ وَيُزَكِّيَ، وَأَفْضَلُ أَنْوَاعِ الإِحْسَانِ بِالْمَالِ الزَّكَاةُ؛ لِأَنَّ الزَّكَاةَ أَحَدُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، وَمَبَانِيهِ الْعِظَامِ، وَلَا يَتِمُّ إِسْلَامُ الْمَرْءِ إِلَّا بِهَا، وَهِيَ أَحَبُّ النَّفَقَاتِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَلِي ذَلِكَ، مَا يَجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ مِنْ نَفَقَةٍ

---

(١) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي (الذَّبَائِحِ، ١١، رَقْمُ ١٩٥٥)، مِنْ حَدِيثِ: شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**».

(٢) كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٥].

لِزَوْجَتِهِ، وَأُمِّهِ، وَأَبِيهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، وَإِخْوَانِهِ، وَبَنِي إِخْوَتِهِ، وَأَخَوَاتِهِ، وَأَعْمَامِهِ، وَعَمَّاتِهِ، وَخَالَاتِهِ إِلَىٰ آخِرِ هَذَا، ثُمَّ الصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْمَسَاكِينِ وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ هُمْ أَهْلٌ لِلصَّدَقَةِ كَطُلَّابِ الْعِلْمِ مَثَلًا.

وَأَمَّا بَذْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْجَاهِ فَهُوَ أَنَّ النَّاسَ مَرَاتِبُ، مِنْهُمْ مَنْ لَهُ جَاهٌ عِنْدَ ذَوِي السُّلْطَانِ فَيَبْذُلُ الْإِنْسَانُ جَاهَهُ، يَأْتِيهِ رَجُلٌ فَيَطْلُبُ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ إِلَىٰ ذِي سُلْطَانٍ يَشْفَعُ لَهُ عِنْدَهُ، إِمَّا بِدَفْعِ ضَرَرٍ عَنْهُ، أَوْ بِجَلْبِ خَيْرٍ لَهُ.

وَأَمَّا بِعِلْمِهِ فَأَنْ يَبْذُلَ عِلْمَهُ لِعِبَادِ اللهِ، تَعْلِيمًا فِي الْحَلْقَاتِ وَالْمَجَالِسِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ كُنْتَ فِي مَجْلِسِ قَهْوَةٍ، فَإِنَّ مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ أَنْ تُعَلِّمَ النَّاسَ، وَلَوْ كُنْتَ فِي مَجْلِسٍ عَامٍّ فَمِنَ الْخَيْرِ أَنْ تُعَلِّمَ النَّاسَ، وَلَكِنِ اسْتَعْمِلِ الْحِكْمَةَ فِي هَذَا الْبَابِ، فَلَا تُثْقِلْ عَلَىٰ النَّاسِ حَيْثُ كُلَّمَا جَلَسْتَ فِي مَجْلِسٍ جَعَلْتَ تَعِظُهُمْ وَتَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، وَلَا يُكْثِرُ، لِأَنَّ النُّفُوسَ تَسْأَمُ وَتَمَلُّ فَإِذَا مَلَّتْ كَلَّتْ وَضَعُفَتْ، وَرُبَّمَا تَكْرَهُ الْخَيْرَ لِكَثْرَةِ مَنْ يَقُومُ وَيَتَكَلَّمُ.

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ إِلَىٰ النَّاسِ بِالْبَدَنِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «... **وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**»(١)، فَهَذَا رَجُلٌ تُعِينُهُ تَحْمِلُ مَتَاعَهُ مَعَهُ، أَوْ تَدُلُّهُ عَلَىٰ طَرِيقٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ، هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْإِحْسَانِ إِلَىٰ عِبَادِ اللهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْجِهَادِ، ١٢٨، رَقْمُ ٢٩٨٩) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الزَّكَاةِ، ١٦: ٨، رَقْمُ ١٠٠٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْإِحْسَانِ فِي عِبَادَةِ اللهِ: فَأَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

* **قُلْتُ:** وهَذِهِ دَرَجَةُ الْمُشَاهَدَةِ: **(أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)**، يَبْعَثُكَ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ:

عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ.

وعَلَىٰ الْإِتْقَانِ فِي تِلْكَ الْعِبَادَةِ الَّتِي تَتَعَبَّدُ بِهَا لِرَبِّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَهَذِهِ الْعِبَادَةُ -أَيْ عِبَادَةُ الْإِنْسَانِ رَبَّهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ- عِبَادَةُ طَلَبٍ وَشَوْقٍ، وَعِبَادَةُ الطَّلَبِ وَالشَّوْقِ يَجِدُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ حَاثًّا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ يَطْلُبُ هَذَا الَّذِي يُحِبُّهُ، فَهُوَ يَعْبُدُهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَيَقْصِدُهُ وَيُنِيبُ إِلَيْهِ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، وَهَذِهِ عِبَادَةُ الْهَرَبِ وَالْخَوْفِ، وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ ثَانِيَةً فِي الْإِحْسَانِ، إِذَا لَمْ تَكُنْ تَعْبُدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَتَطْلُبُهُ، وَتَحُثُّ النَّفْسَ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ فَاعْبُدْهُ كَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَرَاكَ، فَتَعْبُدُهُ عِبَادَةَ خَائِفٍ مِنْهُ، هَارِبٍ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ عِنْدَ أَرْبَابِ السُّلُوكِ أَدْنَىٰ مِنَ الدَّرَجَةِ الْأُولَىٰ.

* **قُلْتُ:** قَالَ النَّوَوِيُّ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَرْحِهِ عَلَىٰ مُسْلِمٍ»[١]، عِنْدَمَا تَعَرَّضَ لِشَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ قَالَ:

---

(١) «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١/ ١٥٧ - ١٥٨).

«وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُوتِيهَا ﷺ؛ لِأَنَّا لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ أَحَدَنَا قَامَ فِي عِبَادَةٍ، وهُوَ يُعَايِنُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُضُوعِ، والْخُشُوعِ، وحُسْنِ السَّمْتِ، واجْتِمَاعِهِ بِظَاهِرِهِ، وبَاطِنِهِ عَلَىٰ الْاعْتِنَاءِ بِتَمِيمِ الْعِبَادَةِ عَلَىٰ أَحْسَنِ الْوُجُوهِ إِلَّا أَتَىٰ بِهِ، فَقَالَ ﷺ: اعْبُدْ اللهَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ كَعِبَادَتِكَ فِي حَالِ الْعِيَانِ فَإِنَّ التَّتْمِيمَ الْمَذْكُوْرَ فِي حَالِ الْعِيَانِ إِنَّمَا كَانَ لِعِلْمِ الْعَبْدِ بِاطِّلَاعِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ فَلَا يُقْدِمُ الْعَبْدُ عَلَىٰ تَقْصِيرٍ فِي هَذَا الْحَالِ لِلِاطِّلَاعِ عَلَيْهِ.

وَهَذَا الْمَعْنَىٰ مَوْجُوْدٌ فِي عَدَمِ رُؤْيَةِ الْعَبْدِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ، فَمَقْصُودُ الْكَلَامِ إِذَنِ الْحَثُّ عَلَىٰ الإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ، وَمُرَاقَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي إِتْمَامِ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ» اهـ.

فَهَذَا الْمَعْنَىٰ الَّذِي هُوَ مَذْكُورٌ مِنْ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ نَاظِرٌ إِلَيْهِ هَذَا مَوْجُودٌ حَتَّىٰ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَبْدُ فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ حَتَّىٰ وَلَوْ لَمْ يَعْبُدِ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَأَنَّهُ يَرَاهُ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ مِنْ حَيْثُ الْإِيمَانُ مُؤْمِنًا بِيَقِينٍ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مُحِيطٌ بِعَمَلِهِ، وسِرِّهِ، ونَجْوَاهُ، وأَنَّهُ لَا يَغِيبُ مِنْهُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَيْءٌ، ولَكِنَّ الْقَصْدَ هُنَا الْحَثُّ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ، ومُرَاقَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي إِتْمَامِ الْخُشُوعِ، والْخُضُوعِ، وغَيْرِ ذَلِكَ.

●●●



الْعِبَادَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى غَايَةِ الْحُبِّ وَغَايَةِ الذُّلِّ، وَمَتَى يَكُونُ إِظْهَارُ الْعِبَادَةِ أَفْضَلَ؟

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعِبَادَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هِيَ كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١):

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعْ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

فَالْعِبَادَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: غَايَةِ الْحُبِّ، وَغَايَةِ الذُّلِّ، فَفِي الْحُبِّ الطَّلَبُ، وَفِي الذُّلِّ الْخَوْفُ وَالْهَرَبُ، فَهَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ، فَإِنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ مُخْلِصًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يُرِيدُ بِعِبَادَتِهِ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، وَلَا مَدْحًا عِنْدَ النَّاسِ، وَسَوَاءٌ اطَّلَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ أَمْ لَمْ يَطَّلِعُوا، الْكُلُّ عِنْدَهُ سَوَاءٌ، وَهُوَ مُحْسِنٌ الْعِبَادَةَ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، بَلْ إِنَّ مِنْ تَمَامِ الْإِخْلَاصِ أَنْ يَحْرِصَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ أَلَّا يَرَاهُ النَّاسُ فِي عِبَادَتِهِ، وَأَنْ تَكُونَ عِبَادَتُهُ مَعَ رَبِّهِ سِرًّا، إِلَّا إِذَا كَانَ فِي إِعْلَانِ ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ لِلْإِسْلَامِ، مِثْلَ أَنْ يَكُونَ رَجُلًا مَتْبُوعًا يُقْتَدَىٰ بِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ يُبَيِّنَ عِبَادَتَهُ لِلنَّاسِ؛ لِيَأْخُذُوا مِنْ ذَلِكَ نِبْرَاسًا يَسِيرُونَ عَلَيْهِ، أَوْ كَانَ هُوَ يُحِبُّ أَنْ يُظْهِرَ الْعِبَادَةَ لِيَقْتَدِيَ بِهَا زُمَلَاؤُهُ وَقُرَنَاؤُهُ وَأَصْحَابُهُ فَفِي هَذَا خَيْرٌ.

---

(١) «الْكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ» (ص١٧٩، الْبَيْتُ رَقْمُ ٥١٤، دَارُ عَالَمِ الْفَوَائِدِ).

* **قُلْتُ:** وكَثِيرٌ مِنَ الخَلْقِ يَتَوَرَّطُ فِي هَذَا المَضِيقِ فَيَأْتِي مَا يَأْتِي مِنْ إِحْسَانِ الْعِبَادَةِ أَمَامَ النَّاسِ، ويَأْتِيهِ شَيطَانُهُ، وتُوَسْوِسُ لَهُ نَفْسُهُ بِقَوْلِ: أَنْتَ رَجُلٌ مَتْبُوعٌ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ فَأَحْسِنْ. فَيُحْسِنُ لِنَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ لَا يُحْسِنُ لِنَظَرِ الْحَقِّ إِلَيْهِ، وإِنَّمَا يُحْسِنُ لِنَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ يُوَسْوِسُ لَهُ شَيْطَانُهُ، وتُمْلِي نَفْسُهُ لَهُ، وتُسَوِّلُ: أَنْتَ رَجُلٌ مَتْبُوعٌ يُتَأَسَّىٰ بِكَ ويُقْتَدَىٰ، أَنْتَ رَجُلٌ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ.

تَجِدُ مِثْلَ هَذَا الْمِسْكِينِ يُرَائِي فِي خَلْوَتِهِ؛ لِأَنَّهُ يَقُولَ لِنَفْسِهِ: لَا تَأْمَنْ يَا فُلَانُ أَنْ يَكُونَ هُنَالِكَ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْكَ الْآنَ مِنَ الْبَشَرِ، وأَنْتَ رَجُلٌ مَتْبُوعٌ مَنْظُورٌ إِلَيْكَ، والْمِسْكِينُ مَتْبُوعٌ نَعَمْ، ولَكِنْ فِي هَوَىٰ نَفْسِهِ قَدْ أَرْخَي لَهُ مِنْ عِنَانِهَا وزِمَامِهَا فَسَارَتْ بِهِ فِي كُلِّ وادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْبَاطِلِ والضَّلَالِ يَهِيمُ عَلَىٰ وجْهِهِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ يَأْتِي بِالرِّيَاءِ صُرَاحًا، وبِالنِّفَاقِ قُحًّا، وهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مِنَ الْمُخْلِصِينَ، فَاللَّهُمَّ سَلِّمْ وارْحَمْ وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وَلَا يَكُونَنَّ هَذَا الْخَوْفُ خَوْفًا مَرَضِيًّا، يَعْنِي لَا يَخَافُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الرِّيَاءِ خَوْفًا مَرَضِيًّا فَأَنْتَ عَلَىٰ ذُكْرٍ مِمَّا صَنَعَ ذَلِكَ الْفَقِيهُ الْأَحْمَقُ الَّذِي كَانَ يُعَانِدُ الشَّافِعِيَّ، ويُحَادُّهُ رَحِمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وكَانَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- يَأْتِي بِالْغَالِيَةِ، وهُوَ نَوْعٌ مِنَ الطِّيبِ الْمَخْلُوطِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ، فَكَانَ يَأْتِي رَحِمَهُ اللهُ بِالْغَالِيَةِ ثُمَّ يَطْلِي بِهَا السَّارِيَةَ الَّتِي يَجْلِسُ إِلَيْهَا يَتَحَلَّقُ حَوْلَهُ طُلَّابُهُ فِي الْمَسْجِدِ الْعَتِيقِ مَسْجِدِ عَمْرٍو بِمِصْرَ بِالْقَاهِرَةِ فَكَانَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- يَفْعَلُ ذَلِكَ، ويَتَضَوَّعُ الْمَكَانُ بِرَائِحَةِ الطِّيبِ، ويَأْخُذُ هُوَ فِي دَرْسِ الْعِلْمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، ويَأْتِي بِمَا

فَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ، وأَفَاضَ عَلَيْهِ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ الصُّرَاحِ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ، وسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

وفِي يَوْمٍ شَمَّ فِي الْمَكَانِ رَائِحَةً خَبِيثَةً فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَا هَذَا؟ لِيَنْظُرْ كُلُّ مِنْكُمْ فِي نَعْلِهِ فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا فِي النِّعَالِ شَيْئًا، قَالَ: لِيَنْظُرْ كُلٌّ مِنْكُمْ فِي ثَوْبِهِ، وَلَا يَأْمَنَنَّ امْرُؤٌ فَلْيَنْظُرْ، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا فِي الثِّيَابِ شَيْئًا، فَأَخَذُوا يَبْحَثُونَ، وإِذَا بِذَلِكَ الْفَقِيهِ الْأَحْمَقِ قَدْ طَلَىٰ إِحْدَىٰ جَانِبَيْ شَارِبِهِ بِالْغَائِطِ، وَتَضَوَّعَتْ رَائِحَتُهُ الْخَبِيثَةُ تُزْكِمُ الْأُنُوفَ فِي الْمَكَانِ.

فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: مَا هَذَا؟

قَالَ: رَأَيْتُ كِبْرَكَ، وأَنْتَ تَتَكَبَّرُ بِطَلْيِ السَّارِيَةِ بِالْغَالِيَةِ بِالطِّيبِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَوَاضَعَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَقَالَ الشَّافِعِيُّ لِبَعْضِ تَلَامِذَتِهِ: خُذُوهُ فَاذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ فَمُرُوهُ أَنْ يُعَزِّرَهُ؛ لِأَنَّهُ يُدَنِّسُ الْمَسْجِدَ بِهَذِهِ الْفَضَلَاتِ.

فَالْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ سَوِيًّا كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ السَّوِيُّ، الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ سَوِيًّا، هَذَا مِنْ أَشَقِّ الْمَطَالِبِ.

كَثِيرٌ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ يَتَرَدَّوْنَ فِي الْهُوَّةِ، تَجِدُ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ أَجْهَلَ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ، ولَكِنْ عِنْدَمَا يُقَدَّمُ يُصَدَّرُ؛ لِيُدَرِّسَ لِبَعْضِ الطُّلَّابِ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ، وكَأَنَّهُ صَارَ شَافِعِيَّ عَصْرِهِ لَا، بَلْ صَارَ أَبَا هُرَيْرَةَ، بَلْ صَارَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، ومَا يَمْشِي الْمِسْكِينُ إِلَّا خُطْوَةً حَتَّىٰ يَنْتَكِسَ، ولَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا.

والْأَمْرُ يَسِيرٌ جِدًّا يُمْتَحَنُ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ كِتَابٍ أَنْ نَقُولَ لَهُ حِينَئِذٍ اقْرَأْ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَمَامَ الطُّلَّابِ. لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا نَقُولُ يَحْفَظُهُ، ويَحْفَظُ الْمُتُونَ، ونَحْنُ نُطَالِبُهُ بِأَنْ يَسْتَظْهِرَ مَا حَمَلَهُ عَلَىٰ ظَهْرِ قَلْبِهِ هُوَ مِنْ ذَلِكَ بِمَبْعَدَةٍ.

الْمِسْكِينُ مَا أَنْ يَتَقَدَّمَ خُطْوَةً حَتَّىٰ يَنْتَكِسَ هَاوِيًا عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهِ فِي الْحَمْأَةِ الْمُرْدِيَةِ، ودَائِمًا تَجْتَهِدُ فِي أَنْ تَقِيسَ نَفْسَكَ بِالْأَئِمَّةِ حَتَّىٰ تَعْرِفَ قَدْرَكَ يَعْنِي إِنْ وجَدْتَ فِي نَفْسِكَ فَقُلْ: يَا فُلَانُ مَنْ أَنْتَ؟ بَلْ مَا أَنْتَ؟ ومَا تَكُونُ مَنْ أَنْتَ؟ ومَا تَكُونُ مَاذَا تَحْفَظُ؟

إِيتِ بِورَقَةٍ بَيْضَاءَ وسَوِّدْهَا إِنِ اسْتَطَعْتَ بِكِتَابَةِ مَا حَفِظْتَ، لَا شَيْءَ سَوِّدْهَا إِنِ اسْتَطَعْتَ بِالْكُتُبِ الَّتِي قَرَأْتَ ثُمَّ لَخِّصْ ذَلِكَ الَّذِي قَرَأْتَ عَدًّا، وسَرْدًا لَا حَقِيقَةً، وفِعْلًا، وإِسْهَابًا، وتَفْصِيلًا، وإِنَّمَا بَعْدَ أَنْ تَكْتُبَ مَا قَرَأْتَ إِنْ كُنْتَ قَرَأْتَ شَيْئًا مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

يَعْنِي اكْتُبْ فِي رَأْسِ الصَّحِيفَةِ شُرُوحَ الْحَدِيثِ، فَتْحُ الْبَارِي واكْتُبْ شَرْحَ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، شَرْحُ الْعَيْنِيِّ، شَرْحُ الْقَسْطَلَّانِيِّ، شَرْحُ الْكِرْمَانِيِّ، شَرْحُ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا كَتَبَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الشُّرَّاحِ شُرَّاحِ الْحَدِيثِ عَلَىٰ مَتْنِ الْبُخَارِيِّ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ مَا هُنَالِكَ مِنْ حَلِّ الْإِشْكَالَاتِ، ومَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّرْجَمَاتِ، ومَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَسَائِلِ الْعَقَدِيَّةِ فِي الصَّحِيحِ! شَيْءٌ كَثِيرٌ يَطُولُ ذِكْرُهُ.

اكْتُبْ ثُمَّ فَلْتَتِهْ مَا شِئْتَ، أَنْ تَكْتُبَ شَيْئًا، وإِنْ كَتَبَ فَنَقُولُ لَكَ: حَسَنٌ اقْلِبِ الصَّفْحَةَ، واكْتُبْ لَنَا مَا حَصَّلْتَ مِمَّا كَتَبْتَ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ(١):

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا كُنْتُ يَتْبَعُنِي صَدْرِي، وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَقَالَ عُلَمَاؤُنَا -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ- مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ كُلُّ عِلْمٍ لَا يَدْخُلُ مَعَكَ الْحَمَّامَ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ، الْعِلْمُ الَّذِي لَا يَدْخُلُ مَعَكَ الْحَمَّامَ لَيْسَ بِعِلْمٍ، أَنْتَ لَنْ تَدْخُلَ الْحَمَّامَ بِالْكُتُبِ بِالْأَسْفَارِ، حَتَّىٰ ولَوْ كَانَ الْأَبْعَدُ حِمَارًا يَحْمِلُ أَسْفَارًا، سَيَتَوَرَّعُ عِنْدَ بَابِ الْحَمَّامِ، ويَجْعَلُ الْأَسْفَارَ خَارِجَها! كُلُّ عِلْمٍ لَا يَدْخُلُ مَعَكَ الْحَمَّامَ لَيْسَ بِعِلْمٍ يَعْنِي مَا حَمَلْتَهُ عَلَىٰ ظَهْرِ قَلْبِكَ مَا كَانَ غَيْبًا فَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْكَ بِهِ.

مِسْكِينٌ واللهِ طَالِبُ الْعِلْمِ! مَا إِنْ نُقَدِّمُهُ أَنْ نُصَدِّرَهُ حَتَّىٰ يَتَصَدَّرَ بِالْمَعْنَىٰ الشَّائِعِ عِنْدَ الْعَوَامِ.

يَا مِسْكِينُ لَا تَكُنْ سُدَّةً فِي طَرِيقِ الدَّعْوَةِ، اتَّقِ اللهَ فِي إِخْوَانِكَ، والْزَمْ حَدَّكَ، واعْرِفْ قَدْرَكَ.

مَنْ نَكُونُ نَحْنُ؟!

---

(١) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ» لِلْمَاوَرْدِيِّ (ص٥٨).

مَا نَحْنُ فِيمَنْ سَبقَنَا إِلَّا كَبَقْلٍ صَغِيرٍ فِي أُصُولِ نَخْلٍ طُوَالٍ.

مَنْ نكُونُ؟!

قِسْ نَفْسَكَ بِالْأَئِمَّةِ -أَرَدْتَ أَنْ تَعرِفَ الْعِلمَ حَقًّا- فَقِسْ نَفْسَكَ بَالْأَئِمَّةِ أَمَّا أَنْ تَقِيسَ نَفْسَكَ بِفُلَانٍ، فُلَانٌ هَذَا يَحْمِلُ عِلْمًا، وأَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْعِلْمَ، ولَا هُوَ يَعْرِفُهُ، وأَنْتَ، وهُوَ أَجْهَلُ مِنْ بَعْضٍ لَا تَعْرِفَانِ شَيْئًا ولَا تَدْرِيَانِهِ، ولَكِنْ هُوَ عِنْدَكَ عَالِمٌ، وأُمَّةٌ، وإِمَامٌ، وعَلَّامَةٌ.

فَالْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ سَوِيًّا بَيْنَ إِبْدَاءِ عَمَلٍ مَحْبُوبٍ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَتَّىٰ يَكُونَ فِيهِ قُدْوَةً، وحَتَّىٰ يُنْهَجَ نَهْجُهُ، وحَتَّىٰ يُسَارَ عَلَىٰ أَثَرِهِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، وأَلَّا يُوَاقِعَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيَاءِ الْمَذْمُومِ، أَنْ يَكُونَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ عَلَىٰ السَّوَاءِ هَذَا هُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم كَانُوا أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الْفَخْرِ بِشَيْءٍ آتَاهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِيَّاهُ، وكَانُوا أَعْلَمَ النَّاسِ بِمَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يُفْسِدُ عَلَىٰ الْعَبْدِ عَمَلَهُ، ويُفْسِدُ عَلَىٰ الْعَبْدِ نِيَّتَهُ، والْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُؤْتِيَهُ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ، وَحَتَّىٰ يُعْطِيَهُ أَنْ يَكُونَ مُخْبِتًا لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

مَاذَا نَعْلَمُ نَحْنُ؟

خَاصَّةً فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي صَارَ فِيهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي كِتَابٍ أَوْ تَحْتَ التُّرَابِ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي هَذَا الْعَصْرِ إِمَّا فِي كِتَابٍ، وَإِمَّا تَحْتَ التُّرَابِ، وَلَا

يَهُولَنَّكَ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْأَلْقَابِ فَكُلُّ هَذَا وَهْمٌ، وَالْمُحَدِّثُ -وَعُدْ إِلَىٰ تَعْرِيفِهِ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ-: يَحْفَظُ مِئَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ غَيْبًا يَحْمِلُهَا عَلَىٰ ظَهْرِ قَلْبِهِ، وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي يَحْفَظُهَا يَعْرِفُ عِلَلَهَا إِنْ كَانَ فِيهَا مِنْ عِلَّةٍ فِي إِسْنَادٍ أَوْ مَتْنٍ، وَيَعْرِفُ الرُّوَاةَ، وَيَأْتِي بِهَا سَرْدًا لَا يَتَتَعْتَعُ، هَذَا هُوَ الْمُحَدِّثُ.

وَأَمَّا مَنْ يُقَالُ لَهُ: مُحَدِّثٌ فِي هَذَا الْعَصْرِ، فَهُوَ مُحَدِّثُ كِتَابٍ الْكُلُّ يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ هَذَا الْوَصْفُ مُحَدِّثُ كِتَابٍ فُلَانٌ مُحَدِّثُ كِتَابٍ، يَعْنِي اطْوِ الْكِتَابَ مِنْ أَمَامِهِ، وَقُلْ لَهُ: قُلْ أَيُّهَا الْمُحَدِّثُ، قُلْ لَنَا حَدِيثَ كَذَا، وَقُلْ لَنَا رِوَايَاتِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَقُلْ لَنَا مَا كَانَ فِيهِ مِنْ زِيَادَاتِ الثِّقَاتِ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ إِدْرَاجٍ، وَقُلْ لَنَا الشَّوَاهِدَ، وَالْمُتَابَعَاتِ مِنْ تَامَّةٍ وَقَاصِرَةٍ، وَقُلْ لَنَا الطُّرُقَ ثُمَّ انْظُرْ لَنَا فِي الْإِسْنَادِ فِي كُلِّ حَدِيثٍ تَأْتِي بِهِ، وَخَبِّرْنَا عَنْ أَحْوَالِ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ.

الْأَئِمَّةُ كَانُوا يَحْفَظُونَ هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي تَرَوْنَهُ فِي كُتُبِهِمْ؛ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ لَوْ وَضَعْتَهُ مُجَلَّدًا فَوْقَ مُجَلَّدٍ مَا كُنْتَ بِجِوَارِهِ شَيْئًا لَطَالَكَ، وَكَانَ أَطْوَلَ مِنْكَ لَوْ جَعَلْتَ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ مُجَلَّدًا فَوْقَ مُجَلَّدٍ، وَوَقَفْتَ بِجِوَارِهِ لَكَانَ أَطْوَلَ مِنْكَ هَذِهِ الْعَشَرَاتُ مِنْ أُلُوفِ الرِّجَالِ تَجِدُهُمْ مَذْكُورِينَ فِي كِتَابِ تَهْذِيبِ الْكَمَالِ لِلْمِزِّيِّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِحَالِهِ بِمِيلَادِهِ، وَوَفَاتِهِ، وَبِبَلَدِهِ بِمَوْلِدِهِ، وَرِحْلَاتِهِ، وَشُيُوخِهِ، وَتَلَامِيذِهِ، وَرِوَايَتِهِ عِنْدَ أَصْحَابِ الْكُتُبِ، وَمَنْ رَوَىٰ عَنْهُ، وَمَنْ أَخْرَجَ لَهُ ثُمَّ أَقْوَالُ الرِّجَالِ فِيهِ.

كُلُّ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَاوٍ بِحِدَتِهِ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ مَحْفُوظًا يَحْفَظُونَهُ عَلَىٰ ظَهْرِ قُلُوبِهِمْ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ يَتَفَطَّنُونَ لِلْعِلَلِ الْخَفِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ لَا تَكُونُ عِلَّةً فِي مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ، وَأَهْلِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ خَفِيَّةً فَهِيَ سَبَبٌ غَامِضٌ خَفِيٌّ يَقْدَحُ فِي صِحَّةِ الْحَدِيثِ مَعَ أَنَّ الظَّاهِرَ السَّلَامَةُ مِنْهُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَفِيًّا.

هَذَا إِلْهَامٌ كَمَا قَالُوا فِيهِ فِي عِلْمِ الْعِلَلِ، هُوَ إِلْهَامٌ عِنْدَمَا تَتَأَمَّلُ فِي هَذَا وَهَذَا فِي فَنٍّ وَاحِدٍ إِنَّمَا هُوَ مِنْ فُنُونِ الرِّوَايَةِ لَا مِنْ فُنُونِ الدِّرَايَةِ بَلْهَ مَا يَكُونُ مِنْ عِلْمِ الدِّرَايَةِ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ الَّتِي ثَبَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هَذَا التَّفَاعُلُ تَفَاعُلُ الْعِلْمِ فِي بَوْتَقَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ لِاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالدُّرَرِ الْمَخْفِيَّةِ الَّتِي هِيَ كَاللَّآلِئِ فِي أَصْدَافِهَا فِي أَغْوَارِ تِلْكَ الْبِحَارِ يَغُوصُونَ خَلْفَهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوهَا لِلْأُمَّةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

كُلُّ ذَلِكَ يَأْتِي بِهِ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ، قَارِنْ نَفْسَكَ بِهَؤُلَاءِ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَىٰ فُلَانٍ، فُلَانٌ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِمَامِ عَصْرِهِ أَيُّ عَصْرٍ؟ وَأَيُّ إِمَامٍ؟

الْمُهِمُّ كُنْ سَوِيًّا، وَلَا تَنْتَكِسْ، وَتَرْتَكِسْ مِنْ أَوَّلِ خُطْوَةٍ، كُنْ سَوِيًّا، كُنْ وَاضِحًا.

عُمَرُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي». هَكَذَا بِوُضُوحٍ.

قَالَ: «**وَلَا هَذِهِ يَا عُمَرُ**».

قَالَ: «الْآنَ يَا رَسُولَ اللهِ».

قَالَ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»(١).

كُنْ وَاضِحًا مَعَ نَفْسِكَ؛ لِأَنَّكَ مَكْشُوفٌ أَمَامَ رَبِّكَ لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنكَ شَيْءٌ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنْ نَجْوَىٰ وَمِنْ سِرٍّ خَفِيٍّ كُلُّ ذَلِكَ يَعْلَمُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يَعْلَمُ دَوَافِعَكَ، وَقَدْ تَخْفَىٰ عَلَيْكَ أَنْتَ لِأَنَّكَ لَا تُحَرِّرُهَا، لِمَاذَا نَتَكَلَّمُ فِي الْعِلْمِ؟ لِمَاذَا نَدْعُو النَّاسَ لِدِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ هَذَا مَقَامٌ تَشْرَئِبُّ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ آتَاهُ اللهُ ذَرْوًا مِنَ الْعَقْلِ يُحِبُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْعِلْمِ، وَيَأْنَفُ أَنْ يُوصَفَ بِالْجَهْلِ، وَتَجِدُ الرَّجُلَ الْجَاهِلَ الْجَاهِلَ، وَهُوَ يَعْلَمُ بِيَقِينٍ أَنَّهُ جَاهِلٌ تَرَىٰ الرَّجُلَ إِذَا وَصَفْتَهُ بِالْجَهْلِ حَمَلَ عَلَيْكَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَا وَصَفْتَهُ بِهِ حَقٌّ، وَأَنَّهُ جَاهِلٌ بِحَقٍّ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَقْبَلُ مِنْكَ، وَصْفًا لَهُ بِالْجَهْلِ، وَلَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ فِيهِ، وَإِذَا وَصَفْتَ غَيْرَ عَالِمٍ بِالْعِلْمِ تَفَتَّحَتْ مَسَامُّ نَفْسِهِ لِمَدْحِكَ، وَتَاهَ بِمَا وَصَفْتَهُ بِهِ.

النَّاسُ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْعِلْمِ، وَإِنْ عَادَوْا أَهْلَهُ، بَلْ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ إِنَّمَا يُعَادِي أَهْلَ الْعِلْمِ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْعِلْمِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ عِنْدَهُمْ دَنَاءَةٌ فِي الطِّبَاعِ، وَلَا يُحَاوِلُونَ تَصْفِيَةً، وَلَا تَهْذِيبًا لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا تَزْكِيَةً بِأَخْذِهَا

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْأَيْمَانِ، ٣: ٥، رَقْمُ ٦٦٣٢)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ هِشَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَطْرًا عَلَىٰ مَنْهَجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَهْذِيبِ النُّفُوسِ، فَكَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يَتَمَتَّعُ بِدَنَاءَةٍ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْهَا كَانَتْ فِي بَحْرٍ مُحِيطٍ لَأَنْتَنَتْهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَهْنَأُ لَهُ بَالٌ حَتَّىٰ يَتَعَلَّقَ بِحِذَائِكَ حَتَّىٰ يَجْذِبَكَ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ مُرْتَقِيًا إِلَىٰ مَا آتَاكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ رِفْعَةٍ، وَمُسْتَوًىٰ، فَهُوَ حَرِيصٌ عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَكَ فِي مُسْتَوَاهُ هُوَ، وَأَنْ يَنْزِلَ بِكَ إِلَىٰ الدَّرْكَةِ الْهَابِطَةِ، وَالْحَمْأَةِ الْمُنْتِنَةِ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَذَلِكَ فَأَكْثَرُ أَهْلِ الْجَهْلِ إِنَّمَا يُعَادُونَ أَهْلَ الْعِلْمِ لِهَذَا السَّبَبِ، وَأَمَّا التَّعَادِي الَّذِي يَكُونُ، وَالتَّهَارُجُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، فَهَذَا نَبَّهَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُمَا فَقَالَ: «**الْعُلَمَاءُ أَشَدُّ تَغَايُرًا مِنَ التُّيُوسِ فِي زُرُبِهَا**»[1].

وَالنَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانَا الْمَعْنَىٰ مَكْشُوفًا بِأَبْلَغَ مِنْ هَذَا وَأَجَلَّ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَىٰ الْمَالِ، وَالشَّرَفِ بِدِينِهِ**»[2].

الَّذِي يَحْرِصُ عَلَىٰ الْمَالِ يُفْسِدُ حِرْصُهُ عَلَىٰ الْمَالِ دِينَهُ يَتَنَازَلُ، وَيَخْضَعُ، وَيُفْتِي كَمَا قِيلَ لِبَعْضِ مَنِ انْتَمَىٰ إِلَىٰ عِلْمِ الْحَدِيثِ فَقَالَ لَهُ مَنْ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تَضَعَ لِي حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ» (٢/ رَقْمُ ٢١٢٣، دَارُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي (الزُّهْدِ، ٤٣، رَقْمُ ٢٣٧٦)، مِنْ حَدِيثِ: كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٥١٨١).

الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ الْكَذَّابُ قَالَ لِبَعْضِ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِهِ: احْتَكِمْ لَكَ مَا شِئْتَ، وَضَعْ لِي حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنِّي نَبِيٌّ بَعْدَهُ فَمَاذَا تَرَىٰ؟

قَالَ لَهُ الْمُحَدِّثُ: الْكَذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ. أَوْ قَالَ لَهُ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَكْذِبَ الْمُسْلِمُ، وَلَوْ فِي أُمُورِ الْحَيَاةِ، قَالَ لَهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَا، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ الْكَذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ شَدِيدٌ فَاخْتَرْ مَنْ شِئْتَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَنا آتِيكَ بِهِ، الْكَذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ شَدِيدٌ، وَلَكِنِ اخْتَرْ مَنْ شِئْتَ مِنَ الصَّحَابَةِ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَقُولَ بِالْإِسْنَادِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ إِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ مِنْ ثَقِيفٍ سَيَكُونُ نَبِيًّا بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ جَعَلْتُ لَكَ مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْكَذَّابُ، وَقَالَ يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ، وَمُبِيرٌ فَأَمَّا الْمُبِيرُ الْمُهْلِكُ، فَهُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ، وَأَمَّا الْكَذَّابُ، فَهُوَ هَذَا الرَّجُلُ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ.

أَمَّا التَّغَايُرُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَبَيْنَ طُلَّابِ الْعِلْمِ فَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**الْعُلَمَاءُ أَشَدُّ تَغَايُرًا مِنَ التُّيُوسِ فِي زُرُبِهَا**»، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ الْحِرْصَ عَلَىٰ الْمَالِ يُفْسِدُ عَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ عِلْمَهُ، وَعَلَىٰ الْعَالِمِ مَقْصِدَهُ، بَلْ يُفْسِدُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ الْعَادِيِّ الَّذِي لَا يَطْلُبُ الْعِلْمَ يُفْسِدُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ، الْحِرْصُ عَلَىٰ طَلَبِ الْمَالِ مُفْسِدٌ لِلْحَيَاةِ.

قَالَ: وَكَذَلِكَ الْحِرْصُ عَلَىٰ الشَّرَفِ يُرِيدُ أَنْ يَرْفَعَ الْخَسِيسَةَ بِالْعِلْمِ نَعَمِ الْعِلْمُ يَرْفَعُ الْخَسِيسَةَ، مَعْلُومٌ أَنَّ الْعِلْمَ يَرْفَعُ الْخَسِيسَةَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْقَسُ،

وَالْأَوْقَسُ مَنْ دَخلَتْ رَقَبَتُهُ فِي صَدْرِهِ فَلَا رَقبَةَ لَهُ، وَكَانَ كَتِفَاهُ كَأَنَّهُمَا زَوْجَانِ فَكَانَ ظَاهِرُهُ مُرِيعًا، وَمَع ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ لَقَدْ خُلِقتْ خِلْقَةً مَا أَرَاهَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ فَعَلَيْكَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنَّ الْعِلْمَ يَرْفَعُ الْخَسِيسَةَ.

فَطَلَبَهُ فَكَانَ بَعْدُ قَاضِيًا فَكَانَ إِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ خَصْمٌ يُخَاصِمُ أَوْ شَاهِدٌ يَشْهَدُ إِلَّا ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ مِنْ هَيْبَتِهِ كَالْأَسَدِ فِي لُبَدِهِ، كَالْأَسَدِ فِي بَرَاثِنِهِ، كَالْأَسَدِ فِي عَرِينِهِ لَا رَقَبَةَ لَهُ، وَكَتِفَاهُ كَأَنَّمَا زَوْجَانِ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-، وَلَوْ عَصَرْتَهُ مَا عَصَرْتَ إِلَّا عِلْمًا رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

نَعَمْ، الْعِلْمُ يَرْفَعُ الْخَسِيسَةَ، وَلَكِنْ أَهَذَا مَقْصِدٌ يَأْخُذُ بِهِ الْإِنْسَانُ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ الْأَوْقَسِ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- كَمَا قَالَ السَّالِفُونَ: طَلَبْنَا الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ فَأَبَىٰ الْعِلْمُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ للهِ.

نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِغَرَضٍ فَاسِدٍ، فَإِذَا تَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ الصَّحِيحَ أَبَىٰ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ للهِ، فَتَكُونَ الْوِجْهَةُ مُنْحَرِفَةً فَيَأْبَىٰ الْعِلْمُ إِلَّا أَنْ يُقِيمَ الْمَرْءَ الْعَالِمَ عَلَىٰ الْجَادَّةِ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ، قَالَ اللهُ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ، يُورِثُ الْخَشْيَةَ.

مَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَرْتَكِسُونَ فِي الْحَمْأَةِ!!

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

يَرْتَكِسُ، يَرْفَعُ الْخَسِيسَةَ بِمَا يَطْلُبُ، يُحَصِّلُ الدُّنْيَا بِمَا يَطْلُبُ، يُحَصِّلُ الْأَغْرَاضَ بِمَا يَطْلُبُ، وَيُفْسِدُ عَلَىٰ النَّاسِ أَمْرَهُمْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ الْمَصْلَحَةُ الَّتِي يُلْتَفَتُ إِلَيْهَا قَدْ تَكُونُ أَفْضَلَ وَأَعْلَىٰ مِنْ مَصْلَحَةِ الْإِخْفَاءِ، لِهَذَا يُثْنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، فَإِذَا كَانَ السِّرُّ أَصْلَحَ وَأَنْفَعَ لِلْقَلْبِ وَأَخْشَعَ وَأَشَدَّ إِنَابَةً إِلَىٰ اللهِ أَسَرُّوا، وَإِذَا كَانَ فِي الْإِعْلَانِ مَصْلَحَةٌ لِلْإِسْلَامِ بِظُهُورِ شَرَائِعِهِ، وَلِلْمُسْلِمِينَ يَقْتَدُونَ بِهَذَا الْفَاعِلِ وَهَذَا الْعَامِلِ أَعْلَنُوهُ.

وَالْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ مَا هُوَ الْأَصْلَحُ، كُلُّ مَا كَانَ أَصْلَحَ وَأَنْفَعَ فِي الْعِبَادَةِ فَهُوَ أَكْمَلُ وَأَفْضَلُ.

* **قُلْتُ:** هَذِهِ الْمَرَاتِبُ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَالدَّوَائِرِ الثَّلَاثِ: الْإِسْلَامُ أَوْسَعُ، الْإِيمَانُ أَضْيَقُ مِنْهُ، الْإِحْسَانُ أَضْيَقُ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الدَّوَائِرِ الثَّلَاثِ هِيَ دَاخِلُ الْأُخْرَىٰ، فَالدَّائِرَةُ الْوَاسِعَةُ دَائِرَةُ الْإِسْلَامُ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَقَدْ يَكُونُ الْمَرْءُ مُسْلِمًا فِي الظَّاهِرِ، وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا فَأَوْسَعُ دَائِرَةٍ هِيَ دَائِرَةُ الْإِسْلَامِ، وَفِي دَاخِلِ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ دَائِرَةُ الْإِيمَانِ، وَأَضْيَقُ مِنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ دَائِرَةُ الْإِحْسَانِ.

فَمَنْ وُجِدَ دَاخِلَ الدَّوَائِرِ الثَّلَاثِ مَنْ وُجِدَ دَاخِلَ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ، فَهُوَ مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ مُحْسِنٌ، وَإِنْ خَرَجَ مِنَ الدَّائِرَةِ الصُّغْرَىٰ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ، وَإِنْ خَرَجَ مِنَ الدَّائِرَةِ الثَّانِيَةِ، فَهُوَ مُسْلِمٌ فِي الظَّاهِرِ، وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَمِنْ بَابِ أَوْلَىٰ لَا يَكُونُ مُحْسِنًا.

فَأَهْلُ الْإِحْسَانِ هُمُ الصَّفْوَةُ، وَهُمُ الْخُلَّصُ مِنْ عِبَادِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- الْمَرْتَبَةَ الثَّالِثَةَ سَاقَ الدَّلِيلَ، قَالَ:

الدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وَالْآيَةُ فِيهَا بَيَانُ فَضْلِ الْمُحْسِنِينَ، وَبَيَانُ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي تَكُونُ لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ، وَذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾: الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُغْلَبُ.

﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾: يَعْنِي إِلَىٰ الصَّلَاةِ مُتَهَجِّدًا بِلَيْلٍ.

﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾: وَرُكُوعَكَ، وَسُجُودَكَ، وَقِيَامَكَ فِي السَّاجِدِينَ الْمُصَلِّينَ لِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾.

وَقَوْلُهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ ﴾ أَيْ فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، ﴿ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ ﴾، ﴿ وَلَا تَعۡمَلُونَ ﴾ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، ﴿ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا ﴾ مُشَاهِدِينَ لَكُمْ مُرَاقِبِينَ أَعْمَالَكُمْ، ﴿ إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ يَعْنِي: تَأْخُذُونَ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرَائِيلَ الْمَشْهُورُ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا

رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟

قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟

قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

قَالَ: فَأَخبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟

قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**».

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

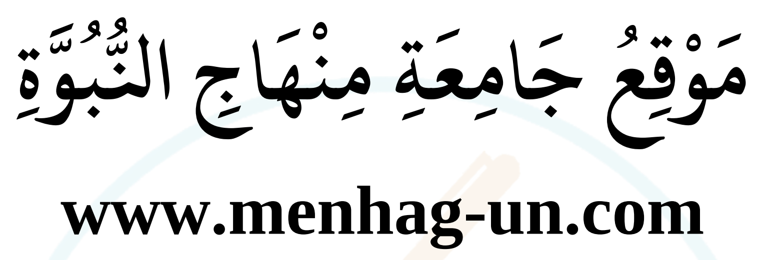
قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١).

* **قُلْتُ**: وَهَذَا الْحَدِيثُ اشْتَمَلَ عَلَىٰ شَرْحِ جَمِيعِ وَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مِنْ عُقُودِ الْإِيمَانِ، وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَإِخْلَاصِ السَّرَائِرِ، وَالتَّحَفُّظِ مِنْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ، حَتَّىٰ إِنَّ عُلُومَ الشَّرِيعَةِ كُلَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ وَمُتَشَعِّبَةٌ مِنْهُ، أَيْ: مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ(٢).

***

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ١: ١، رَقْمُ ٨)، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٢) «إِكْمَالُ الْمُعَلِّمِ» لِلْقَاضِي عِيَاضٍ (١/ ٢٠٤)، «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (١/ ١٥٨).



مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الرَّابِعَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ



جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ نَبِيَّهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، نُبِّئَ بِـ(اقْرَأْ) وَأُرْسِلَ بِـ(الْمُدَّثِرِ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ ....

---

* **قُلْتُ:** النَّبِيُّ ﷺ قُرَشِيٌّ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ، وَالْعَرَبُ عَارِبَةٌ وَمُسْتَعْرِبَةٌ، الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ بَائِدَةٌ وَبَاقِيَةٌ، أَمَّا الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ الْبَائِدَةُ فَقَوْمُ عَادٍ وَثَمُودَ وَشُعَيْبٍ، وَأَمَّا الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ الْبَاقِيَةُ فَهُمُ الْقَحْطَانِيَّةُ، وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرِبَةُ فَهُمُ الْعَدْنَانِيَّةُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمَا وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَىٰ التَّسْلِيمِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (الْأَصْلُ الثَّالِثُ): أَيْ: مِنَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ.

وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَدِينَهُ.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَتَتَضَمَّنُ خَمْسَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: مَعْرِفَتُهُ نَسَبًا فَهُوَ أَشْرَفُ النَّاسِ نَسَبًا فَهُوَ هَاشِمِيٌّ قُرَشِيٌّ عَرَبِيٌّ، فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ... إِلَىٰ آخِرِ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ.

* **قُلْتُ:** وَلَهُ ﷺ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَىٰ بِي الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**»(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الثَّانِي: مَعْرِفَةُ سِنِّهِ، وَمَكَانِ وِلَادَتِهِ، وَمُهَاجَرِهِ وَقَدْ بَيَّنَهَا الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: «وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ» فَقَدْ وُلِدَ بِمَكَّةَ [عَامَ الْفِيلِ] وَبَقِيَ فِيهَا ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَبَقِيَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ فِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ.

الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ حَيَاتِهِ النَّبَوِيَّةِ وَهِيَ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً؛ فَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً كَمَا قَالَ أَحَدُ شُعَرَائِهِ:

وَأَتَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ فَأَشْرَقَتْ ... شَمْسُ النُّبُوَّةِ مِنْهُ فِي رَمَضَانِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ١٧: ١، رَقْمُ ٣٥٣٢)، وَفِي (التَّفْسِيرِ، ٦١، رَقْمُ ٤٨٩٦)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْفَضَائِلِ، ٣٤: ١، رَقْمُ ٢٣٥٤)، مِنْ حَدِيثِ: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* **قُلْتُ:** النَّبِيُّ ﷺ، هُوَ: أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ شَيْبَةُ الْحَمْدِ بْنُ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَاسْمُهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ قُصَيٍّ، وَاسْمُهُ زَيْدُ بْنُ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، وَإِلَىٰ هُنَا يَنْتَهِي النَّسَبُ الصَّحِيحُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ.

وَعَدْنَانُ بِلَا شَكٍّ يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَىٰ إِسْمَاعِيلَ الذَّبِيحِ رَسُولِ اللهِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ وَرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ جَمِيعِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا-.

وَالنَّبِيُّ ﷺ تُوُفِّيَ فِي الْمَدِينَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ ﷺ اضْطَرَبَ الْمُسْلِمُونَ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ دُهِشَ فَخُولِطَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُقْعِدَ فَلَمْ يُطِقْ، وَمِنْهُمْ مَنِ اعْتُقِلَ لِسَانُهُ فَحُبِسَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ كَلَامًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ مَوْتَهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَقَالَ: إِنَّمَا بُعِثَ إِلَيْهِ ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الرَّابِعُ: بِمَاذَا كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا؟

فَقَدْ كَانَ نَبِيًّا حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]، ثُمَّ كَانَ رَسُولًا حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٧]، فَقَامَ ﷺ فَأَنْذَرَ وَقَامَ بِأَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ -كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ-: أَنَّ النَّبِيَّ هُوَ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتَبْلِيغِهِ، وَالرَّسُولُ مَنْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا.

* **قُلْتُ:** مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ الْفَرْقِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ**﴾ [الحج: ٥٢]، وَالْعَطْفُ يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ، وَكَذَلِكَ مَجِيءُ (لَا) فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَلَا نَبِيٍّ**﴾، ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ**﴾ فَجَاءَتْ (لَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**﴾ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ غَيْرُ الرَّسُولِ.

الرُّسُلُ جَمْعُ رَسُولٍ وَهُوَ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمٍ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، أَوْ لَمْ يُنْزِلْ عَلَيْهِ كِتَابًا، لَكِنْ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ حُكْمًا لَمْ يَكُنْ فِي شَرِيعَةِ مَنْ قَبْلَهُ، وَأَمَّا النَّبِيُّ فَهُوَ مَنْ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ شَرِيعَةٍ سَابِقَةٍ دُونَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، أَوْ يُوحِيَ إِلَيْهِ بِحُكْمٍ جَدِيدٍ نَاسِخٍ أَوْ غَيْرِ نَاسِخٍ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَقِيلَ هُمَا مُتَرَادِفَانِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ.

كُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، هَذَا هُوَ الْأَصَحُّ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟**﴾ [المائدة: ٤٤]، فَذَكَرَ تَعَالَىٰ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَاةِ مَعَ أَنَّ التَّوْرَاةَ أُنْزِلَتْ عَلَىٰ نَبِيٍّ مِنْهُمْ وَهُوَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَعْرِفُ هَذَا عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَعْرِفُ بِمَاذَا كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، كَانَ نَبِيًّا بِـ(اقْرَأْ) وَكَانَ رَسُولًا بِـ(الْمُدَّثِّرِ) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخَامِسُ: بِمَاذَا أُرْسِلَ وَلِمَاذَا؟ فَقَدْ أُرْسِلَ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَشَرِيعَتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَأُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ ظُلْمَةِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالْجَهْلِ إِلَىٰ نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ؛ حَتَّىٰ يَنَالُوا بِذَلِكَ مَغْفِرَةَ اللهِ وَرِضْوَانَهُ وَيَنْجُوا مِنْ عِقَابِهِ وَسَخَطِهِ.

●●●

حياةُ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، وَمَعْنَىٰ ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ): أَيْ يُنْذِرُهُمْ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾: النِّدَاءُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

* قُلْتُ: وَالْمُدَّثِّرُ: الْمُلْتَحِفُ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ يَقُولُ ﷺ: «دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي»(١).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّفْسِيرِ، ٧٤: ١، رَقْمُ ٤٩٢٢)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٣: ٤، رَقْمُ ١٦١)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يَأْمُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُومَ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ، وَيُنْذِرَ النَّاسَ عَنِ الشِّرْكِ وَيُحَذِّرَهُمْ مِنْهُ، وَقَدْ فَسَّرَ الشَّيْخُ هَذِهِ الْآيَاتِ.

* **قُلْتُ**: فَقَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَهَا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

«وَمَعْنَىٰ ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: **يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ**، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: **أَيْ عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ**، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: **أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ**، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: **الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا**».

فَالْآيَاتُ كُلُّهَا فِي الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ عَلَىٰ هَذَا التَّفْسِيرِ.

«الرُّجْزُ فِي الْأَصْلِ: الْعَذَابُ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَىٰ مَا يُوجِبُ الْعَذَابَ، وَمِنْ ذَلِكَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ وَأَعْمَالُ الشَّرِّ كُلُّهَا.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾: لَا تَمُنَّ حَالَ كَوْنِكَ مُسْتَكْثِرًا، وَالْمَعْنَىٰ لَا تَمْنُنْ عَلَىٰ رَبِّكَ بِمَا تَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْبَاءٍ كَالَّذِي يَسْتَكْثِرُ مَا يَتَحَمَّلُهُ بِسَبَبِ الْغَيْرِ، قَالَه الْحَسَنُ[1] وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ[2]، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ[3] هَذَا الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ،

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» فِي (الْبُيُوعِ، ٣٩٥: ٥، رَقْمُ ٢٢٦٦٧)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٣/ ٤١٥)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٣/ ٤١٥، دَارُ هَجَرَ)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٣) «تَفْسِيرُهُ» (٢٣/ ٤١٦).

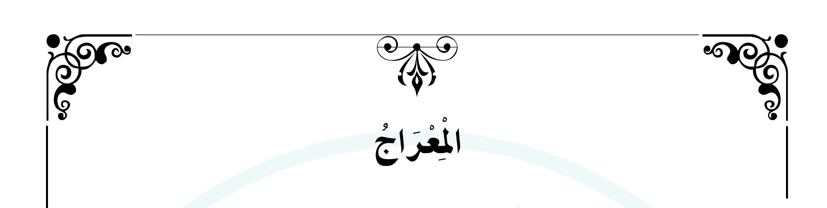
وَقِيلَ: لَا تُعْطِ الْعَطِيَّةَ تَلْتَمِسُ أَكْثَرَ مِنْهَا. هَذَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ[١] وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَاخْتَارَهُ ابْنُ كَثِيرٍ[٢].

فَفَسَّرَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أُرْسِلَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ.

◉ ◉ ◉

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٣/ ٤١٢)، بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ.

(٢) «تَفْسِيرُهُ» (٨/ ٢٦٤، دَارُ طَيْبَةَ).



الْمِعْرَاجُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بَقِيَ عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَالْعُرُوجُ الصُّعُودُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

* **قُلْتُ:** وَالْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي ثَبَتَتْ بِالشَّرْعِ، وَلَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهَا مَدْخَلٌ.

وَالْجُمْهُورُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ: أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ وَقَعَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَقَظَةِ بِجَسَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرُوحِهِ؛ لِأَنَّ قُرَيْشًا أَكْبَرَتْهُ وَأَنْكَرَتْهُ، وَلَوْ كَانَ مَنَامًا لَمْ تُنْكِرْهُ؛ لِأَنَّهَا لَا تُنْكِرُ الْمَنَامَاتِ.

وَالْإِسْرَاءُ لُغَةً: السَّيْرُ لَيْلًا.

وَشَرْعًا: سَيْرُ جِبْرِيلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ عُرُوجُهُ ﷺ عَلَىٰ الْمِعْرَاجِ.

وَالْمِعْرَاجُ لُغَةً: الْآلَةُ الَّتِي يُعْرَجُ بِهَا، وَهِيَ الْمِصْعَدُ.

وَشَرْعًا: السُّلَّمُ الَّذِي عَرَجَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَرْضِ إِلَىٰ السَّمَاءِ.

الْمِعْرَاجُ ثَابِتٌ بِالسُّنَّةِ كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا، وَأَمَّا الْإِسْرَاءُ فَثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

«وَقَدْ كَانَتْ رِحْلَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مُكَافَأَةً رَبَّانِيَّةً عَلَىٰ مَا لَاقَاهُ الْخَلِيلُ ﷺ مِنْ أَتْرَاحٍ وَأَحْزَانٍ وَآلَامٍ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَا لَاقَاهُ النَّبِيُّ ﷺ أَثْنَاءَ الْحِصَارِ مِنْ جُوعٍ وَحِرْمَانٍ، إِنَّهُ ﷺ وَقَعَ لَهُ هَذَا الْحَدَثُ الْفَرِيدُ بَعْدَ فَقْدِ النَّاصِرِ الْحَمِيمِ وَفَقْدِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ بَعْدَ خَيْبَةِ الْأَمَلِ فِي ثَقِيفٍ وَمَا نَالَهُ مِنْ سُفَهَائِهَا وَصِبْيَانِهَا وَعَبِيدِهَا، بَعْدَ هَذِهِ الْآلَامِ كَافَأَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلِيلَهُ ﷺ فَرَفَعَهُ إِلَيْهِ وَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ الرِّضَا مَا أَنْسَاهُ كُلَّ مَا كَانَ قَدْ لَاقَاهُ مِنْ حُزْنٍ وَأَلَمٍ وَنَصَبٍ وَتَعَبٍ، وَمَا قَدْ يُلَاقِيهِ بَعْدُ فِي سَبِيلِ إِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ وَنَشْرِ دَعْوَتِهِ، فَصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا ذَكَرَ اللهَ الذَّاكِرُونَ وَمَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ»(١).

---

(١) «هَذَا الْحَبِيبُ مُحَمَّدٌ ﷺ يَا مُحِبُّ» لِلشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ جَابِرٍ الْجَزَائِرِيِّ (ص١٣٥، دَارُ الشُّرُوقِ - جُدَّةُ).

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ ﷺ الْعَظِيمَةِ الَّتِي فَضَّلَهُ اللهُ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ مِنْ مَكَّةَ، فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ فِي الْكَعْبَةِ أَتَاهُ آتٍ فَشَقَّ مَا بَيْنَ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَىٰ أَسْفَلِ بَطْنِهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَ قَلْبَهُ فَمَلأَهُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا تَهْيِئَةً لِمَا سَيَقُومُ بِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ يُقَالُ لَهَا: الْبُرَاقُ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرَفِهِ فَرَكِبَهُ ﷺ وَبِصُحْبَتِهِ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ حَتَّىٰ وَصَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَنَزَلَ هُنَاكَ وَصَلَّىٰ بِالْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا، بِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ يُصَلُّونَ خَلْفَهُ؛ لِيَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ فَضْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشَرَفُهُ، وَأَنَّهُ الْإِمَامُ الْمَتْبُوعُ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ لَهُ فَوَجَدَ فِيهَا آدَمَ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَإِذَا عَلَىٰ يَمِينِ آدَمَ أَرْوَاحُ السُّعَدَاءِ وَعَلَىٰ يَسَارِهِ أَرْوَاحُ الْأَشْقِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَىٰ الْيَمِينِ سُرَّ وَضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ. فَوَجَدَ فِيهَا يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ابْنُ خَالَةِ الْآخَرِ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَانِ يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا فَرَدَّا السَّلَامَ وَقَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ. فَوَجَدَ فِيهَا يُوسُفَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ فَوَجَدَ فِيهَا إِدْرِيسَ ﷺ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ. فَوَجَدَ فِيهَا هَارُونَ بْنَ عِمْرَانَ أَخَا مُوسَىٰ ﷺ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ. فَوَجَدَ فِيهَا مُوسَىٰ ﷺ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا مُوسَىٰ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزَهُ بَكَىٰ مُوسَىٰ فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: «أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي»، فَكَانَ بُكَاءُ مُوسَىٰ؛ حُزْنًا عَلَىٰ مَا فَاتَ أُمَّتَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ لَا حَسَدًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ. فَوَجَدَ فِيهَا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ ﷺ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

وَإِنَّمَا طَافَ جِبْرِيلُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ؛ تَكْرِيمًا لَهُ وَإِظْهَارًا لِشَرَفِهِ وَفَضْلِهِ ﷺ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الَّذِي يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَتَعَبَّدُونَ وَيُصَلُّونَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ وَلَا يَعُودُونَ، فِي الْيَوْمِ الثَّانِي يَأْتِي غَيْرُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ.

ثُمَّ رُفِعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ فَغَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مِنَ الْبَهَاءِ وَالْحُسْنِ مَا غَشِيَهَا، حَتَّىٰ لَا يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا، ثُمَّ فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَرَضِيَ بِذَلِكَ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَزَلَ فَلَمَّا مَرَّ بِمُوسَىٰ قَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ. فَقَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ وَقَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، وَمَا زَالَ يُرَاجِعُ رَبَّهُ حَتَّىٰ اسْتَقَرَّتِ الْفَرِيضَةُ عَلَىٰ خَمْسٍ، فَنَادَىٰ مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَلَىٰ عِبَادِي.

وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أُدْخِلَ النَّبِيُّ ﷺ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ، ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَتَىٰ مَكَّةَ بِغَلَسٍ وَصَلَّىٰ فِيهَا الصُّبْحَ(١).

●●●

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٦: ١، رَقْمُ ٣٢٠٧) وَفِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٢: ١، رَقْمُ ٣٨٨٧) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٤: ٦، رَقْمُ ١٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

هِجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَانَ يُصَلِّي الرُّبَاعِيَّةَ رَكْعَتَيْنِ حَتَّىٰ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ.

* **قُلْتُ:** أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَىٰ الْأُولَىٰ**»(١).

وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»(٢)، وَعِنْدَهُ قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**فُرِضَتْ صَلَاةُ الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ فَلَمَّا أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ زِيدَ فِي صَلَاةِ**

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٨: ٢، رَقْمُ ٣٩٣٥)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي (صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ، ١: ١، رَقْمُ ٦٨٥).

(٢) فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٣٨)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْمُ ٣٠٥، و٩٤٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٨١٤).

الْحَضَرِ رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ لِطُولِ الْقِرَاءَةِ، وَصَلَاةُ الْمَغْرِبِ؛ لِأَنَّهَا وِتْرُ النَّهَارِ».

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ): أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ مَنَعُوهُ أَنْ يُقِيمَ دَعْوَتَهُ، وَفِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنَ الْعَامِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنَ الْبَعْثَةِ وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ الْبَلَدِ الْأَوَّلِ لِلْوَحْيِ وَأَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا بِإِذْنِ رَبِّهِ بَعْدَ أَنْ قَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ فَلَمْ يَجِدْ مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ وَأَكَابِرِهِمْ سِوَىٰ الرَّفْضِ لِدَعْوَتِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَالْإِيذَاءِ الشَّدِيدِ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَمَنْ آمَنَ بِهِ، حَتَّىٰ آلَ الْأَمْرُ بِهِمْ إِلَىٰ تَنْفِيذِ خُطَّةِ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ لِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ؛ حَيْثُ اجْتَمَعَ كُبَرَاؤُهُمْ فِي دَارِ النَّدْوَةِ وَتَشَاوَرُوا مَاذَا يَفْعَلُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ رَأَوْا أَصْحَابَهُ يُهَاجِرُونَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ وَيَجِدَ النُّصْرَةَ وَالْعَوْنَ مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ بَايَعُوهُ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ لَهُ الدَّوْلَةُ عَلَىٰ قُرَيْشٍ.

فَقَالَ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ: الرَّأْيُ أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتًىٰ شَابًّا جَلْدًا، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ سَيْفًا صَارِمًا ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ فَيَضْرِبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُوهُ وَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ فَيَتَفَرَّقُ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ -يَعْنِي عَشِيرَةَ النَّبِيِّ ﷺ- أَنْ يُحَارِبُوا قَوْمَهُمْ جَمِيعًا، فَيَرْضَوْنَ بِالدِّيَةِ فَنُعْطِيهِمْ إِيَّاهَا.

فَأَعْلَمَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِمَا أَرَادَ الْمُشْرِكُونَ وَأَذِنَ لَهُ بِالْهِجْرَةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَدْ تَجَهَّزَ مِنْ قَبْلُ لِلْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه؛ **لِيَصْحَبَ النَّبِيَّ** ﷺ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ.

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ -بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ- إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فَأَقَامَا فِي غَارِ جَبَلِ ثَوْرٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ غُلَامًا شَابًّا ذَكِيًّا وَاعِيًا فَيَنْطَلِقُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ إِلَىٰ مَكَّةَ فَيُصْبِحُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَا يَسْمَعُ بِخَبَرٍ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِهِ إِلَيْهِمَا حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٥: ٩، رَقْمُ ٣٩٠٥) وَفِي مَوَاضِعَ، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَطْلُبُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَتَسْعَىٰ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ؛ لِيُدْرِكُوا النَّبِيَّ ﷺ حَتَّىٰ جَعَلُوا لِمَنْ يَأْتِي بِهِمَا أَوْ بِأَحَدِهِمَا دِيَتَهُ مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَلَكِنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُمَا يَحْفَظُهُمَا بِعِنَايَتِهِ وَيَرْعَاهُمَا بِرِعَايَتِهِ حَتَّىٰ إِنَّ قُرَيْشًا لَيَقِفُونَ عَلَىٰ بَابِ الْغَارِ فَلَا يَرَوْنَهُمَا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَالَ: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**»(١)، «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»(٢). حَتَّىٰ إِذَا سَكَنَ الطَّلَبُ عَنْهُمَا قَلِيلًا خَرَجَا مِنَ الْغَارِ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ مُتَّجِهِينَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ عَلَىٰ طَرِيقِ السَّاحِلِ.

وَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، كَانُوا يَخْرُجُونَ صَبَاحَ كُلِّ يَوْمٍ إِلَىٰ الْحَرَّةِ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَحْبِهِ حَتَّىٰ يَطْرُدَهُمْ حَرُّ الشَّمْسِ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَعَالَىٰ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ رَجَعُوا إِلَىٰ بُيُوتِهِمْ، وَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ يَنْظُرُ لِحَاجَةٍ لَهُ فَأَبْصَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مُقْبِلِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكْ أَنْ نَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ -يَعْنِي هَذَا حَظُّكُمْ وَعِزُّكُمْ- الَّذِي تَنْتَظِرُونَ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٣٠: ١، رَقْمُ ٣٦٥٢)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الزُّهْدِ، ١٩: ١، رَقْمُ ٢٠٠٩)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٣٠: ٢، رَقْمُ ٣٦٥٣)، وَمُسْلِمٌ فِي (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، ١: ١، رَقْمُ ٢٣٨١)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَهَبَّ الْمُسْلِمُونَ لِلِقَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُمُ السِّلَاحُ؛ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِيذَانًا بِاسْتِعْدَادِهِمْ لِلْجِهَادِ وَالدِّفَاعِ دُونَهُ ﷺ، فَتَلَقَّوْهُ ﷺ بِظَاهِرِ الْحَرَّةِ فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَنَزَلَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فِي قُبَاءَ، وَأَقَامَ فِيهِمْ بِضْعَ لَيَالٍ وَأَسَّسَ الْمَسْجِدَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَالنَّاسُ مَعَهُ وَآخَرُونَ يَتَلَقَّوْنَهُ فِي الطُّرُقَاتِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: خَرَجَ النَّاسُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي الطُّرُقِ وَعَلَىٰ الْبُيُوتِ، وَالْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ يَقُولُونَ: اللهُ أَكْبَرُ جَاءَ رَسُولُ اللهِ، اللهُ أَكْبَرُ جَاءَ مُحَمَّدٌ[1].

●●●

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١/ ٢ - ٣، رَقْمُ ٣)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ رضي الله عنه، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

تَعْرِيفُ الْهِجْرَةِ، وَحُكْمُهَا، وَالدَّلِيلُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْهِجْرَةُ: الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ ....

---

* **قُلْتُ:** وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِ الْهِجْرَةِ مَعَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ كَمَا تَرَىٰ؛ لِبَيَانِ أَنَّ الْهِجْرَةَ مِنْ أَبْرَزِ تَكَالِيفِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ.

وَبَلَدُ الشِّرْكِ: هُوَ الَّذِي تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْكُفْرِ، وَلَا تُقَامُ فِيهِ الشَّعَائِرُ وَالْأَحْكَامُ بِوَجْهٍ عَامٍّ، وَأَهَمُّ الشَّعَائِرِ الصَّلَاةُ، فَإِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ الْبَلَدِ فَهُوَ بَلَدٌ إِسْلَامِيٌّ، أَمَّا إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ يُقِيمُهَا أَفْرَادٌ أَوْ جَمَاعَاتٌ وَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ مَظَاهِرِ الْبَلَدِ فَلَا يُحْكَمُ عَلَىٰ الْبَلَدِ بِأَنَّهُ بَلَدٌ إِسْلَامِيٌّ، كَالْبِلَادِ الَّتِي فِيهَا أَقَلِّيَّاتٌ مُسْلِمَةٌ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَلَكِنْ عَلَىٰ نِطَاقٍ ضَيِّقٍ فِي حُدُودِ مُجْتَمَعِهِمُ الَّذِي

يَعِيشُونَ فِيهِ، أَوْ فِي حُدُودِ بِيئَتِهِمْ، وَلَكِنَّ الْبَلَدَ الَّذِي يُقِيمُونَ فِيهِ أَوْ هُمْ مِنْ أَهْلِهِ لَا تُقَامُ فِيهِ الصَّلَاةُ بِوَجْهٍ عَامٍّ بِحَيْثُ لَا يُسْمَعُ عِنْدَهُمُ الْأَذَانُ فِي جَمِيعِ الْأَنْحَاءِ، هَذَا لَا يُعَدُّ بَلَدًا إِسْلَامِيًّا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْهِجْرَةُ فِي اللُّغَةِ: «مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْهَجْرِ وَهُوَ التَّرْكُ».

وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ فَهِيَ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ: «الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ».

* **قُلْتُ**: وَلَكِنْ زَادَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ هَذَا التَّعْرِيفِ قَيْدًا آخَرَ قَالَ: أَوْ الِانْتِقَالُ مِنْ دَارِ الْخَوْفِ إِلَىٰ دَارِ الْأَمْنِ.

وَعَلَيْهِ تَتَنَزَّلُ هِجْرَةُ الْأَصْحَابِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَلَمْ تَكُنِ الْحَبَشَةُ عِنْدَ هِجْرَةِ الْأَصْحَابِ دَارَ إِسْلَامٍ، كَانَتْ مَكَّةُ دَارَ كُفْرٍ وَخَوْفٍ وَلَمْ تَكُنِ الْحَبَشَةُ وَقَدْ هَاجَرَ إِلَيْهَا الْأَصْحَابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم لَمْ تَكُنْ دَارَ إِسْلَامٍ، لَمْ تَكُنْ تُقَامُ بِهَا الشَّعَائِرُ، وَلَا يُؤَذَّنُ فِيهَا بِالصَّلَاةِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ دَارَ كُفْرٍ، وَمَعَ ذَلِكَ هَاجَرَ الْأَصْحَابُ، هَذِهِ هِجْرَةٌ، فَهِيَ أَيْضًا الِانْتِقَالُ مِنْ دَارِ الْخَوْفِ إِلَىٰ دَارِ الْأَمْنِ.

وَعَلَيْهِ يَتَنَزَّلُ هِجْرَةُ الْأَصْحَابِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ وَلَمْ تَكُنْ دَارَ إِسْلَامٍ، فَهَذَا قَيْدٌ مُهِمٌّ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَبَلَدُ الشِّرْكِ هُوَ الَّذِي تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْكُفْرِ وَلَا تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ كَالْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ جَمَاعَةً، وَالْأَعْيَادِ، وَالْجُمُعَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ

عَامٍّ شَامِلٍ، وَإِنَّمَا قُلْنَا عَلَىٰ وَجْهٍ عَامٍّ شَامِلٍ؛ لِيَخْرُجَ مَا تُقَامُ فِيهِ هَذِهِ الشَّعَائِرُ عَلَىٰ وَجْهٍ مَحْصُورٍ كَبِلَادِ الْكُفَّارِ الَّتِي فِيهَا أَقَلِّيَّاتٌ مُسْلِمَةٌ، فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ بِلَادَ إِسْلَامٍ بِمَا تُقِيمُهُ الْأَقَلِّيَّاتُ الْمُسْلِمَةُ فِيهَا مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، أَمَّا بِلَادُ الْإِسْلَامِ فَهِيَ الْبِلَادُ الَّتِي تُقَامُ فِيهَا هَذِهِ الشَّعَائِرُ عَلَىٰ وَجْهٍ عَامٍّ شَامِلٍ.

* **قُلْتُ**: قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «**وَهِيَ** -يَعْنِي الْهِجْرَةَ- **بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**».

الْهِجْرَةُ قَرِينَةُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَهِيَ فَرِيضَةٌ بَاقِيَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ يَحْتَاجُ إِلَىٰ الْهِجْرَةِ أَنْ يُهَاجِرَ، وَيَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُقِيمَ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ وَلَكِنْ بِشُرُوطٍ، وَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُقِيمَ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِظْهَارِ دِينِهِ، قَالَ ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).(٢).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ): فَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ لَا يَسْتَطِيعُ إِظْهَارَ دِينِهِ فِي بَلَدِ الْكُفْرِ فَلَا يَتِمُّ إِسْلَامُهُ إِذَا كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ إِظْهَارَهُ إِلَّا بِالْهِجْرَةِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْجِهَادِ، ٢: ١، رَقْمُ ٢٤٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٢٠٨).

(٢) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» لِلشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الْفَوْزَانِ (ص٢٦٦ - ٢٦٧، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

قَوْلُهُ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾): فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَوَفَّاهُمْ وَتُوَبِّخُهُمْ وَتَقُولُ لَهُمْ: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا، أَمَّا الْعَاجِزُونَ عَنِ الْهِجْرَةِ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ؛ لِعَجْزِهِمْ عَنِ الْهِجْرَةِ، وَلَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

* **قُلْتُ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾ أَيْ تَتَوَفَّاهُمْ بِحَذْفِ إِحْدَىٰ التَّاءَيْنِ تَتَوَفَّاهُمْ بِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ الْوُجُوبِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الْمَلَائِكَةُ هُنَا: مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ، تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ الْوُجُوبِ ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عَاجِزِينَ لَا نَسْتَطِيعُ.

﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ﴾ كَانَ بِإِمْكَانِكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا وَأَنْ تُهَاجِرُوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فَذَكَرَ شَرْطَيْنِ؛ لِيَتِمَّ الِاسْتِثْنَاءُ عَلَىٰ وَجْهِهِ:

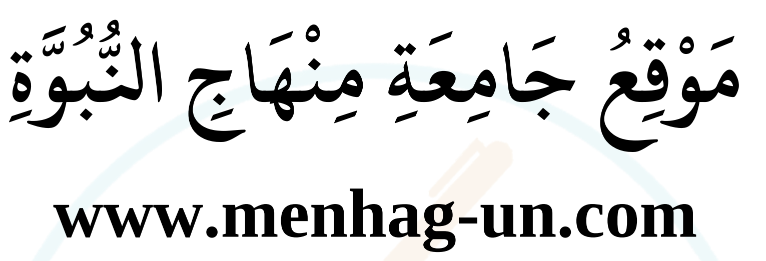
الْأَوَّلُ: الْقُدْرَةُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ

وَالثَّانِي: عَدَمُ التَّمَكُّنِ مِنْ إِظْهَارِ الدِّينِ

فَإِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ الْهِجْرَةِ وَغَيْرَ مُمَكَّنٍ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ وَلَمْ يُهَاجِرْ دَخَلَ فِي الْوَعِيدِ وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ الْهِجْرَةِ وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ غَيْرَ مُمَكَّنٍ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ، فَذَكَرَ شَرْطَيْنِ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ هَؤُلَاءِ لَا يَقْدِرُونَ.

● ● ●


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْخَامِسَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، **قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ**(١): **«سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا»؛ نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ.**

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ؛ قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٢) ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الظَّاهِرُ أَنَّ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللَّهُ نَقَلَ هَذَا عَنِ الْبَغَوِيِّ بِمَعْنَاهُ، هَذَا إِنْ كَانَ نَقْلُهُ مِنَ التَّفْسِيرِ؛ إِذْ لَيْسَ الْمَذْكُورُ فِي تَفْسِيرِ الْبَغَوِيِّ لِهَذِهِ الْآيَةِ بِهَذَا اللَّفْظِ.

* **قُلْتُ:** وَالْحَقُّ أَنَّ كَلَامَ الْبَغَوِيِّ هَذَا لَخَّصَهُ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ مِمَّا حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ.

وَالْهِجْرَةُ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ ثَلَاثَةُ أَضْرُبٍ وَالنَّاسُ فِيهَا، وَبِالنِّسْبَةِ لَهَا ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ:

الْأَوَّلُ: تَجِبُ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مَعَ عَدَمِ إِمْكَانِ إِظْهَارِ دِينِهِ، فَهَذَا يَرْتَكِبُ حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ.

---

(١) «تَفْسِيرُهُ» (٣/ ٥٦٤، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ)، بِنَحْوِهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْجِهَادِ، ٢: ١، رَقْمُ ٢٤٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٢٠٨)، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

الثَّانِي: مَنْ لَا هِجْرَةَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْعَاجِزُ؛ إِمَّا لِمَرَضٍ أَوْ إِكْرَاهٍ عَلَىٰ الْإِقَامَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْخُرُوجَ أَوْ ضَعُفَ عَنْهُ كَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ، فَهَؤُلَاءِ لَا هِجْرَةَ عَلَيْهِمْ.

الثَّالِثُ: مَنْ تُسْتَحَبُّ لَهُ الْهِجْرَةُ، وَلَا تَجِبُ عَلَيْهِ، وَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ لَكِنَّهُ مُتَمَكِّنٌ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ، فَهَذَا تُسْتَحَبُّ لَهُ الْهِجْرَةُ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ، وَتَكْثِيرِ الْمُسْلِمِينَ، فَهَذَا لَا تَجِبُ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ.

«**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ، وَحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ**»(١)، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ: أَنْ لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، أَيْ: لَا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ بَعْدَ الْفَتْحِ؛ لِأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ بِالْفَتْحِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَوْلُهُ** ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»): وَذَلِكَ حِينَ انْتِهَاءِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمَقْبُولِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا**﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَالْمُرَادُ بِبَعْضِ الْآيَاتِ هُنَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

● ● ●

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٥: ٤، رَقْمُ ٣٩٠٠)، وَفِي (الْمَغَازِي، ٥٣: ٩، رَقْمُ ٤٣١٢)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِمَارَةِ، ٢٠: ٦، رَقْمُ ١٨٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

تَتِمَّةٌ فِي حُكْمِ السَّفَرِ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ وَالْإِقَامَةِ فِيهَا

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللهُ: (تَتِمَّةٌ) نَذْكُرُ هُنَا حُكْمَ السَّفَرِ إِلَىٰ بِلَادِ الْكُفْرِ، فَنَقُولُ:

السَّفَرُ إِلَىٰ بِلَادِ الْكُفَّارِ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ عِلْمٌ يَدْفَعُ بِهِ الشُّبُهَاتِ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ دِينٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ.

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَىٰ ذَلِكَ.

فَإِنْ لَمْ تَتِمَّ هَذِهِ الشُّرُوطُ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ السَّفَرُ إِلَىٰ بِلَادِ الْكُفَّارِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ أَوْ خَوْفِ الْفِتْنَةِ، وَفِيهِ إِضَاعَةُ الْمَالِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُنْفِقُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً فِي هَذِهِ الْأَسْفَارِ.

أَمَّا إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَىٰ ذَلِكَ لِعِلَاجٍ أَوْ تَلَقِّي عِلْمٍ لَا يُوجَدُ فِي بَلَدِهِ وَكَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَدِينٌ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ.

وَأَمَّا السَّفَرُ لِلسِّيَاحَةِ فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ فَهَذَا لَيْسَ بِحَاجَةٍ وَبِإِمْكَانِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ بِلَادٍ إِسْلَامِيَّةٍ يُحَافِظُ أَهْلُهَا عَلَىٰ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ.

وَبِلَادُنَا الْآنَ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- أَصْبَحَتْ بِلَادًا سِيَاحِيَّةً فِي بَعْضِ الْمَنَاطِقِ، فَبِإِمْكَانِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهَا وَيَقْضِيَ زَمَنَ إِجَازَتِهِ فِيهَا.

* **قُلْتُ:** وَالسَّفَرُ لِمُجَرَّدِ السِّيَاحَةِ فِيهِ خَطَرٌ عَظِيمٌ.

أَوَّلًا: لِأَنَّهُ، أَيِ الْمُسَافِرُ، خَالَفَ النُّصُوصَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ وُجُوبِ الْهِجْرَةِ، وَتَحْرِيمِ السَّفَرِ.

وَثَانِيًا: لِفَقْدِ الْغَيْرَةِ عِنْدَهُ، وَهَذَا مِنْ أَثَرِ الْمُخَالَطَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ.

وَثَالِثًا: لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْفَارَ لَا تَسْلَمُ فِي الْغَالِبِ مِنَ الْإِسْرَافِ فِي النَّفَقَاتِ الْمَالِيَّةِ، وَفِي هَذَا إِنْعَاشٌ لِاقْتِصَادِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَتَقْوِيَةٌ لَهُمْ.

رَابِعًا: لِشُعُورِ الْمُقِيمِ أَنَّهُ كَفَرْدٍ مِنْهُمْ لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُ صَارَ بِذَلِكَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، لَا بُدَّ أَنْ يَتَأَثَّرُوا بِأَخْلَاقِ أُولَئِكَ الْكُفَّارِ وَعَادَاتِهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الْإِقَامَةُ فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ فَإِنَّ خَطَرَهَا عَظِيمٌ عَلَىٰ دِينِ الْمُسْلِمِ، وَأَخْلَاقِهِ، وَسُلُوكِهِ، وَآدَابِهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا وَغَيْرُنَا انْحِرَافَ كَثِيرٍ مِمَّنْ أَقَامُوا هُنَاكَ فَرَجَعُوا بِغَيْرِ مَا ذَهَبُوا بِهِ، رَجَعُوا فُسَّاقًا، وَبَعْضُهُمْ رَجَعَ مُرْتَدًّا عَنْ دِينِهِ وَكَافِرًا بِهِ وَبِسَائِرِ الْأَدْيَانِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- حَتَّىٰ صَارُوا إِلَىٰ الْجُحُودِ الْمُطْلَقِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالدِّينِ وَأَهْلِهِ السَّابِقِينَ مِنْهُمْ وَاللَّاحِقِينَ، وَلِهَذَا كَانَ يَنْبَغِي بَلْ يَتَعَيَّنُ التَّحَفُّظُ مِنْ ذَلِكَ، وَوَضْعُ الشُّرُوطِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنَ الْهُوِيِّ فِي تِلْكَ الْمَهَالِكِ.

فَالْإِقَامَةُ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ شَرْطَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَمْنُ الْمُقِيمِ عَلَىٰ دِينِهِ بِحَيْثُ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ مَا يُطَمْئِنُهُ عَلَىٰ الثَّبَاتِ عَلَىٰ دِينِهِ وَالْحَذَرِ مِنَ الِانْحِرَافِ وَالزَّيْغِ، وَأَنْ يَكُونَ مُضْمِرًا لِعَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ وَبُغْضِهِمْ، مُبْتَعِدًا عَنْ مُوَالَاتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ؛ فَإِنَّ مُوَالَاتَهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ مِمَّا يُنَافِي الْإِيمَانَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١- ٥٢].

وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»[١]: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا فَهُوَ مِنْهُمْ، وَأَنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**».

وَمَحَبَّةُ أَعْدَاءِ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا عَلَىٰ الْمُسْلِمِ؛ لِأَنَّ مَحَبَّتَهُمْ تَسْتَلْزِمُ مُوَافَقَتَهُمْ وَاتِّبَاعَهُمْ، أَوْ عَلَىٰ الْأَقَلِّ عَدَمَ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا فَهُوَ مِنْهُمْ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْأَدَبِ، ٩٦: ١و٢، رَقْمُ ٦١٦٨)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْأَدَبِ، ٥٠: ١٠، رَقْمُ ٢٦٤٠)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، بِلَفْظِ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**».

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ بِحَيْثُ يَقُومُ بِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ بِدُونِ مُمَانِعٍ، فَلَا يُمْنَعُ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ إِنْ كَانَ مَعَهُ مَنْ يُصَلِّي جَمَاعَةً وَمَنْ يُقِيمُ الْجُمُعَةَ، وَلَا يُمْنَعُ مِنَ الزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِهَا مِنْ شَعَائِرِ الدِّينِ، فَإِنْ كَانَ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ لَمْ تَجُزِ الْإِقَامَةُ لِوُجُوبِ الْهِجْرَةِ حِينَئِذٍ، قَالَ فِي «الْمُغْنِي»[(١)]، فِي الْكَلَامِ عَلَىٰ أَقْسَامِ النَّاسِ فِي الْهِجْرَةِ:

«أَحَدُهَا: مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهَا وَلَا يُمْكِنُهُ إِظْهَارُ دِينِهِ، وَلَا تُمْكِنُهُ إِقَامَةُ وَاجِبَاتِ دِينِهِ مَعَ الْمُقَامِ بَيْنَ الْكُفَّارِ فَهَذَا تَجِبُ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

وَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ يَدُلُّ عَلَىٰ الْوُجُوبِ، وَلِأَنَّ الْقِيَامَ بِوَاجِبِ دِينِهِ وَاجِبٌ عَلَىٰ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَالْهِجْرَةُ مِنْ ضَرُورَةِ الْوَاجِبِ وَتَتِمَّتِهِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ»، اهـ.

وَبَعْدَ تَمَامِ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ الْأَسَاسِيَّيْنِ تَنْقَسِمُ الْإِقَامَةُ فِي دَارِ الْكُفْرِ إِلَىٰ أَقْسَامٍ:

---

(١) «الْمُغْنِي» فِي الْجِهَادِ، فَصْلٌ فِي الْهِجْرَةِ، مِنْ مَسْأَلَةِ: (وَلَا يَتَزَوَّجُ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ،...)، (١٣/ ١٥١، مَسْأَلَةٌ: ١٦٧٣، دَارُ عَالَمِ الْكُتُبِ).

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: أَنْ يُقِيمَ لِلدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ، فَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْجِهَادِ فَهِيَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَىٰ مَنْ قَدرَ عَلَيْهَا، بِشَرْطِ أَنْ تَتَحَقَّقَ الدَّعْوَةُ وَأَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يَمْنَعُ مِنْهَا أَوْ مِنَ الِاسْتِجَابَةِ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ وَهِيَ طَرِيقَةُ الْمُرْسَلِينَ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ، بِالتَّبْلِيغِ عَنْهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ فَقَالَ ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»[١].

الْقِسْمُ الثَّانِي: أَنْ يُقِيمَ لِدِرَاسَةِ أَحْوَالِ الْكَافِرِينَ وَالتَّعَرُّفِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ فَسَادِ الْعَقِيدَةِ، وَبُطْلَانِ التَّعَبُّدِ، وَانْحِلَالِ الْأَخْلَاقِ، وَفَوْضَوِيَّةِ السُّلُوكِ؛ لِيُحَذِّرَ النَّاسَ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِهِمْ، وَيُبَيِّنَ لِلْمُعْجَبِينَ بِهِمْ حَقِيقَةَ حَالِهِمْ، وَهَذِهِ الْإِقَامَةُ نَوْعٌ مِنَ الْجِهَادِ أَيْضًا؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ التَّحْذِيرِ مِنَ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ الْمُتَضَمِّنِ لِلتَّرْغِيبِ فِي الْإِسْلَامِ وَهَدْيِهِ، لِأَنَّ فَسَادَ الْكُفْرِ دَلِيلٌ عَلَىٰ صَلَاحِ الْإِسْلَامِ، كَمَا قِيلَ: وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ.

لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ شَرْطٍ: أَنْ يَتَحَقَّقَ مُرَادُهُ بِدُونِ مَفْسَدَةٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ مُرَادُهُ بِأَنْ مُنِعَ مِنْ نَشْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ فَلَا فَائِدَةَ مِنْ إِقَامَتِهِ، وَإِنْ تَحَقَّقَ مُرَادُهُ مَعَ مَفْسَدَةٍ أَعْظَمَ مِثْلَ أَنْ يُقَابِلُوا فِعْلَهُ بِسَبِّ الْإِسْلَامِ وَرَسُولِ الْإِسْلَامِ وَأَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ وَجَبَ الْكَفُّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، ٥٠: ٩، رَقْمُ ٣٤٦١)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وَيُشْبِهُ هَذَا أَنْ يُقِيمَ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ لِيَكُونَ عَيْنًا لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِيَعْرِفَ مَا يُدَبِّرُونَهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَكَايِدِ فَيَحْذَرُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، كَمَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ لِيَعْرِفَ خَبَرَهُمْ(١).

* **قُلْتُ:** بِشَرْطِ أَلَّا يَتَأَثَّرَ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَذْهَبُ بِهَذِهِ النِّيَّةِ، ثُمَّ يَعُودُ فَاسِدًا هُوَ، وَقَدْ يَعُودُ مُرْتَدًّا، وَقَدْ يُخْدَعُ؛ حَتَّىٰ يَمْدَحَهُمْ وَيَمْدَحَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَذُمَّ مَا الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ وَهَذَا خَطَرٌ كَبِيرٌ.

وَمُخَالَطَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ فَضْلًا عَنْ أَهْلِ الْكُفْرِ فِيهَا مَا فِيهَا كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

وَطَالِبُ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَعْرِفُ قِصَّةَ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ(٢)، وَكَانَ صُلْبًا فِي السُّنَّةِ جَلْدًا فِيهَا، وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةُ عَمٍّ انْتَحَلَتْ نِحْلَةَ الْخَوَارِجِ، فَقَالَ أَتَزَوَّجُهَا عَسَىٰ أَنْ أَرُدَّهَا إِلَىٰ السُّنَّةِ، فَتَزَوَّجَهَا فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ إِلَىٰ الْخُرُوجِ فَصَارَ خَارِجِيًّا جَلْدًا، وَهُوَ الَّذِي مَدَحَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُلْجَمٍ، وَهُوَ قَاتِلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَصَارَ دَاعِيَةً

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (الْجِهَادُ، ٣٦، رَقْمُ ١٧٨٨).

(٢) هُوَ: عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ بْنِ ظَبْيَانَ السَّدُوسِيُّ الْبَصْرِيُّ، مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ، لَكِنَّهُ مِنْ رُءُوسِ الْخَوَارِجِ، مِنَ الْوُسْطَىٰ مِنَ التَّابِعِينَ، تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ، انْظُرْ: «تَهْذِيبَ الْكَمَالِ» (تَرْجَمَةُ ٤٤٨٧)، وَ«السِّيَرَ» (٤/ تَرْجَمَةَ ٨٦)، وَ«تَقْرِيبَ التَّهْذِيبِ» (تَرْجَمَةُ ٥١٥٢).

لِمَذْهَبِ وَفِرْقَةِ الْخَوَارِجِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْبَغِيضِ، وَأَكْبَرُ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ أَنْ يَكُونَ مَادِحًا لِقَاتِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ.

قَالَ: لَوْ أَنِّي تزوَّجْتُهَا مِنْ أَجْلِ أَنْ أَرُدَّهَا إِلَىٰ السُّنَّةِ لَكَانَ عَمَلًا حَسَنًا طَيِّبًا، وَلَكِنَّهُ تزوَّجهَا فَأَخذَتْ هِيَ بِيَدِهِ إِلَىٰ طَرِيقَةِ الْخَوَارِجِ نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الْقِسْمُ الثَّالِثُ: أَنْ يُقِيمَ لِحَاجَةِ الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَةِ وَتَنْظِيمِ عَلَاقَاتِهَا مَعَ دَوْلَةِ الْكُفْرِ كَمُوَظَّفِي السِّفَارَاتِ فَحُكْمُهَا حُكْمُ مَا أَقَامَ مِنْ أَجْلِهِ.

فَالْمُلْحَقُ الثَّقَافِيُّ مَثَلًا يُقِيمُ لِيَرْعَىٰ شُئُونَ الطَّلَبَةِ وَيُرَاقِبَهُمْ وَيَحْمِلَهُمْ عَلَىٰ الْتِزَامِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَأَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ، فَيَحْصُلُ بِإِقَامَتِهِ مَصْلَحَةٌ كَبِيرَةٌ وَيَنْدَرِئُ بِهَا شَرٌّ كَبِيرٌ.

* **قُلْتُ:** بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ هُوَ حَائِزًا الشُّرُوطَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَفَّرَ فِيمَنْ يُسَافِرُ إِلَىٰ دِيَارِ الْكُفْرِ: إِلَىٰ الْعِلْمِ الَّذِي يَدْفَعُ بِهِ الشُّبْهَةَ، وَالدِّينِ وَالْوَرَعِ الَّذِي يَكُفُّ بِهِ الشَّهْوَةَ، وَأَنْ تَكُونَ الْحَاجَةُ مَاسَّةً.

وَإِلَّا فَإِنَّ رِفَاعَةَ الطَّهْطَاوِيَّ(١) كَانَ مُلْحَقًا ثَقَافِيًّا مَعَ الْبَعْثَةِ الَّتِي ذَهَبَتْ إِلَىٰ بَارِيسَ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْقُلَ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ أَحْوَالَ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَيُرَغِّبَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَفَتَحَ بَابَ شَرٍّ مَا زَالَ مَفْتُوحًا إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

---

(١) هُوَ رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعِ بْنِ بَدَوِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الطَّهْطَاوِيُّ، الْمِصْرِيُّ، مِنْ دُعَاةِ التَّغْرِيبِ، وُلِدَ فِي طَهْطَا =

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْقِسْمُ الرَّابِعُ: أَنْ يُقِيمَ لِحَاجَةٍ خَاصَّةٍ مُبَاحَةٍ كَالتِّجَارَةِ وَالْعِلَاجِ فَتُبَاحُ الْإِقَامَةُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَقَدْ نَصَّ أَهْلُ الْعِلْمِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- عَلَىٰ جَوَازِ دُخُولِ بِلَادِ الْكُفَّارِ لِلتِّجَارَةِ، وَأَثَرُوا ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الْقِسْمُ الْخَامِسُ: أَنْ يُقِيمَ لِلدِّرَاسَةِ، وَهِيَ مِنْ جِنْسِ مَا قَبْلَهَا إِقَامَةٌ لِحَاجَةٍ لَكِنَّهَا أَخْطَرُ مِنْهَا وَأَشَدُّ فَتْكًا بِدِينِ الْمُقِيمِ وَأَخْلَاقِهِ، فَإِنَّ الطَّالِبَ يَشْعُرُ (بِدُنُوِّ مَرْتَبَتِهِ).

* **قُلْتُ:** قَالَ الشَّيْخُ: (بِدُنُوِّ مَرْتَبَتِهِ) الْحَقُّ بِأَنَّهَا: بِتَدَنِّي مَرْتَبَتِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعُلُوِّ مَرْتَبَةِ مُعَلِّمِيهِ، فَيَحْصُلُ مِنْ ذَلِكَ تَعْظِيمُهُمْ وَالِاقْتِنَاعُ بِآرَائِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ فَيُقَلِّدُهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ

=

بِمُدِيرِيَّةِ جِرْجَا مِنْ صَعِيدِ مِصْرَ سَنَةَ (١٢١٦هـ - ١٨٠١م)، وَقَصَدَ الْقَاهِرَةَ سَنَةَ ١٢٢٣هـ فَتَعَلَّمَ فِي الْأَزْهَرِ، وَأَرْسَلَتْهُ الْحُكُومَةُ الْمِصْرِيَّةُ إِمَامًا لِلصَّلَاةِ وَالْوَعْظِ مَعَ بَعْثَةٍ مِنَ الشُّبَّانِ أَوْفَدَتْهُمْ إِلَىٰ أُورُبَّةَ لِتَلَقِّي الْعُلُومِ الْحَدِيثَةِ، وَعِنْدَمَا عَادَ مِنْ فَرَنْسَا بَعْدَ غَيْبَةِ سِنِينَ اسْتَقْبَلَهُ أَهْلُهُ بِالْفَرَحِ فَأَشَاحَ عَلَيْهِمْ فِي ازْدِرَاءٍ وَوَسَمَهُمْ بِأَنَّهُمْ (فَلَّاحُونَ) لَا يَسْتَحِقُّونَ شَرَفَ اسْتِقْبَالِهِ، ثُمَّ أَلَّفَ كِتَابَهُ الَّذِي تَحَدَّثَ فِيهِ عَنْ أَخْبَارِ (بَارِيسَ) وَدَعَا فِيهِ إِلَىٰ تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ إِلَىٰ السُّفُورِ، وَإِلَىٰ الِاخْتِلَاطِ، وَأَزَالَ عَنِ الرَّقْصِ الْمُخْتَلَطِ وَصْمَةَ الدَّنَسِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ حَرَكَاتٌ رِيَاضِيَّةٌ مُوَقَّعَةٌ عَلَىٰ أَنْغَامِ الْمُوسِيقَىٰ، فَلَا يَنْبَغِي النَّظَرُ إِلَيْهِ عَلَىٰ أَنَّهُ عَمَلٌ مَذْمُومٌ»! تُوُفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ (١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م)، انْظُرْ: «الْأَعْلَامَ» لِلزِّرِكْلِيِّ (٣/ ٢٩).

عِصْمَتَهُ وَهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ إِنَّ الطَّالِبَ يَشْعُرُ بِحَاجَتِهِ إِلَىٰ مُعَلِّمِهِ فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَىٰ التَّوَدُّدِ إِلَيْهِ وَمُدَاهَنَتِهِ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الِانْحِرَافِ وَالضَّلَالِ.

وَالطَّالِبُ فِي مَقَرِّ تَعَلُّمِهِ لَهُ زُمَلَاءُ يَتَّخِذُ مِنْهُمْ أَصْدِقَاءَ يُحِبُّهُمْ وَيَتَوَلَّاهُمْ وَيَكْتَسِبُ مِنْهُمْ.

* **قُلْتُ:** كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَذْهَبُ إِلَىٰ بِلَادِ الْكُفْرِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَىٰ (شَهَادَةِ الْعَالِمِيَّةِ الدُّكْتُورَاه فِي الدِّينِ) بِإِشْرَافِ يَهُودِيٍّ، كَمَا هُوَ وَاقِعٌ فِي لَنْدَنَ، وَكَذَلِكَ فِي بَارِيسَ وَغَيْرِهَا مِنْ دُوَلِ الْكُفْرِ، عَوَاصِمِهَا!!

يَذْهَبُ الذَّاهِبُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَىٰ هَذِهِ الشَّهَادَةِ وَيَكُونُ الْمُشْرِفُ عَلَيْهِ يَهُودِيًّا!! يَهُودِيٌّ هُوَ الَّذِي يُشْرِفُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَعُودُ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَهِيَ أَعْلَىٰ دَرَجَةٍ عِلْمِيَّةٍ- كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، الدُّكْتُورَاه أَعْلَىٰ دَرَجَةٍ عِلْمِيَّةٍ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، يَعُودُ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ عَلَىٰ أَنَّهُ عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا قُلْتَ لَهُ سَمِّ لَنَا شُيُوخَكَ قَالَ: يَهُوذَا، وَالْحَاخَامُ كَاهَانَا، وَيَقُولُ مَا يَقُولُ!!

السَّفَرُ لِمَاذَا؟ لِمَاذَا يُسَافِرُ؟ سَافَرَ لِشَيْءٍ ضَرُورِيٍّ، سَافَرَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْأُمُورَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِعُلُومِ الْمَادَّةِ الَّتِي تَخَلَّفَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَسَبَقَ فِيهَا غَيْرُهُمْ وَلَنْ يُعْطُوهُ مِنْ أَسْرَارِهَا شَيْئًا، لَنْ يُعْطُوهُ شَيْئًا مِنْ أَسْرَارِهَا.

فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ السَّفَرَ مِنْ أَجْلِ التَّعَلُّمِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ غَيْرُ مُجْدٍ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَالْأَصْلُ أَنْ يَجْتَهِدَ الْمُسْلِمُونَ حَيْثُ هُمْ؛ لِأَنَّنَا لَمَّا تَرَكْنَا التَّمَسُّكَ الصَّحِيحَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَخَلَّفْنَا فِي عُلُومِ الدُّنْيَا.

الْآخَرُونَ لَمَّا تَمَسَّكُوا بِدِينِهِمُ الْمَزْعُومِ تَخَلَّفُوا وَلَمْ يَتَقَدَّمُوا، حَتَّىٰ طَلَّقَ الْعُلَمَاءُ الْمَادِّيُّونَ الدِّينَ طَلَاقًا بَائِنًا لَا رَجْعَةَ فِيهِ، فَلَمَّا فُصِلَ بَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ فِي الْغَرْبِ تَقَدَّمَ النَّاسُ فِي عُلُومِ الدُّنْيَا، أَمَّا نَحْنُ فَلَمَّا خَفَّ تَمَسُّكُنَا بِدِينِنَا بِكِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا تَخَلَّفْنَا فِي عُلُومِ الدُّنْيَا.

لَا نَتَقَدَّمُ -نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ- فِي عُلُومِ الدُّنْيَا، فِي عُلُومِ الْمَادَّةِ، لَا نَتَقَدَّمُ فِيهَا إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالنَّهْضَةُ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَّلِينَ إِنَّمَا كَانَتْ بِسَبَبِ تَمَسُّكِهِمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ أَجْلِ خَطَرِ هَذَا الْقِسْمِ وَجَبَ التَّحَفُّظُ فِيهِ أَكْثَرَ مِمَّا قَبْلَهُ فَيُشْتَرَطُ فِيهِ بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ الشَّرْطَيْنِ الْأَسَاسِيَّيْنِ شُرُوطٌ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الطَّالِبُ عَلَىٰ مُسْتَوًىٰ كَبِيرٍ مِنَ النُّضُوجِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِّ وَيَنْظُرُ بِهِ إِلَىٰ الْمُسْتَقْبَلِ الْبَعِيدِ، فَأَمَّا بَعْثُ الْأَحْدَاثِ «صِغَارِ السِّنِّ» وَذَوِي الْعُقُولِ الصَّغِيرَةِ فَهُوَ خَطَرٌ عَظِيمٌ عَلَىٰ دِينِهِمْ، وَخُلُقِهِمْ، وَسُلُوكِهِمْ، ثُمَّ هُوَ خَطَرٌ عَلَىٰ أُمَّتِهِمُ الَّتِي سَيَرْجِعُونَ إِلَيْهَا وَيَنْفُثُونَ فِيهَا مِنَ السُّمُومِ الَّتِي نَهَلُوهَا مِنْ أُولَئِكَ الْكُفَّارِ كَمَا شَهِدَ وَيَشْهَدُ بِهِ الْوَاقِعُ.

فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أُولَئِكُمُ الْمَبْعُوثِينَ رَجَعُوا بِغَيْرِ مَا ذَهَبُوا بِهِ، رَجَعُوا مُنْحَرِفِينَ فِي دِيَانَاتِهِمْ، وَأَخْلَاقِهِمْ، وَسُلُوكِهِمْ، وَحَصَلَ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ مُجْتَمَعِهِمْ مِنَ الضَّرَرِ

فِي هَذِهِ الْأُمُورِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مُشَاهَدٌ، وَمَا مَثَلُ بَعْثِ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَمَثَلِ تَقْدِيمِ النِّعَاجِ لِلْكِلَابِ الضَّارِيَةِ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الطَّالِبِ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَا يَتَمَكَّنُ بِهِ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَمُقَارَعَةِ الْبَاطِلِ بِالْحَقِّ؛ لِئَلَّا يَنْخَدِعَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ فَيَظُنُّهُ حَقًّا أَوْ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ أَوْ يَعْجِزُ عَنْ دَفْعِهِ فَيَبْقَىٰ حَيْرَانَ أَوْ يَتَّبِعُ الْبَاطِلَ.

وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: «**اللَّهُمَّ أَرِنِي الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنِي اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنِي الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنِي اجْتِنَابَهُ، وَلَا تَجْعَلْهُ مُلْتَبِسًا عَلَيَّ فَأَضِلَّ**»[1].

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الطَّالِبِ دِينٌ يَحْمِيهِ وَيَتَحَصَّنُ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ، فَضَعِيفُ الدِّينِ لَا يَسْلَمُ مَعَ الْإِقَامَةِ هُنَاكَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَذَلِكَ لِقُوَّةِ الْمُهَاجِمِ وَضَعْفِ الْمُقَاوِمِ، فَأَسْبَابُ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ هُنَاكَ قَوِيَّةٌ وَكَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ فَإِذَا صَادَفَتْ مَحَلًّا ضَعِيفَ الْمُقَاوَمَةِ عَمِلَتْ عَمَلَهَا.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: أَنْ تَدْعُوَ الْحَاجَةُ إِلَىٰ الْعِلْمِ الَّذِي أَقَامَ مِنْ أَجْلِهِ بِأَنْ يَكُونَ فِي تَعَلُّمِهِ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ فِي الْمَدَارِسِ فِي بِلَادِهِمْ، فَإِنْ كَانَ مِنْ فُضُولِ الْعِلْمِ الَّذِي لَا مَصْلَحَةَ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ كَانَ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْمَدَارِسِ نَظِيرُهُ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقِيمَ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ مِنْ أَجْلِهِ؛ لِمَا فِي الْإِقَامَةِ مِنَ الْخَطَرِ عَلَىٰ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ، وَإِضَاعَةِ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ بِدُونِ فَائِدَةٍ.

---

(١) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ مُسْنَدًا، وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ كَمَا فِي «تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» (٣/ ١٤١٨، تَحْقِيقُ الْحَدَّادِ): «لَمْ أَقِفْ لِأَوَّلِهِ عَلَىٰ أَصْلٍ،...».

* **قُلْتُ**: كَأَنْ يَذْهَبَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْعَقِيدَةَ عَلَىٰ أَيْدِي الْمُسْتَشْرِقِينَ مِنَ الْيَهُودِ فِي الْجَامِعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ، أَوْ يَذْهَبَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْأَدَبَ الْعَرَبِيَّ، وَالنَّحْوَ الْعَرَبِيَّ عَلَىٰ أُولَئِكَ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْأَعَاجِمِ، وَيَعُودَ بِدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ جِدًّا فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ دَرَسَهُ عَلَىٰ مَنْ؟! عَلَىٰ مُسْتَشْرِقٍ أَغْتَمَ، وَجَاسُوسٍ أَعْجَمَ؛ لِأَنَّهُمْ فِي الْغَالِبِ كَذَلِكَ كَمَا وَقَعَ مَعَ طَهَ حُسَيْن[١]، وَكَمَا وَقَعَ مَعَ لِويس عَوَض[٢] تَحْتَ أَشْجَارِ الدَّرْدَارِ بِجَامِعَةِ كَمْبِرِدْج، فَقَدْ تَلَقَّفَهُ الْجَاسُوسُ سْكِيفُ حَتَّىٰ عَادَ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

---

(١) هُوَ طَهَ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سَلَامَةَ الْأَعْمَىٰ الْمِصْرِيُّ، وُلِدَ فِي قَرْيَةِ (الْكِيلُو) بِمَغَاغَةَ مِنْ مُحَافَظَةِ الْمِنْيَا (بِالصَّعِيدِ الْمِصْرِيِّ) سَنَةَ (١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م)، بَدَأَ حَيَاتَهُ فِي الْأَزْهَرِ (١٩٠٢م)، ثُمَّ بِالْجَامِعَةِ الْمِصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَسَافَرَ فِي بَعْثَةٍ إِلَىٰ بَارِيسَ فَتَخَرَّجَ بِالسُّوربُون (١٩١٨م)، وَتُوُفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، انْظُرْ: «الْأَعْلَامَ» لِلزِّرِكْلِيِّ (٣/ ٢٣١ - ٢٣٢).

(٢) هُوَ النَّصْرَانِيُّ الْحَاقِدُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ: لِويس حَنَّا عَوَض الِاشْتِرَاكِيُّ الْمِصْرِيُّ، صَاحِبُ الدَّعْوَةِ لِتَعْمِيمِ الْعَامِّيَّةِ، وُلِدَ فِي شَارُونَه بِالْمِنْيَا سَنَةَ (١٣٣٣هـ - ١٩١٤م)، وَفِي عَامِ ١٩٤٣م حَصَلَ عَلَىٰ الْمَاجِسْتِيرِ فِي الْأَدَبِ الْإِنْجِلِيزِيِّ مِنْ جَامِعَةِ كَمْبِرِدْج، ثُمَّ حَصَلَ عَلَىٰ الدُّكْتُوراه، صَنَّفَ كِتَابًا لِيُهْدِيهِ إِلَىٰ (كِرِيسْتُوفَر سْكِيف) الْجَاسُوسِ الْإِنْجِلِيزِيِّ، وَكَتَبَ دِيوَانَ: (بْلُوتُو لَانْد) عَامَ ١٩٤٧م الَّذِي دَعَا فِيهِ إِلَىٰ كَسْرِ رَقَبَةِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَإِلَىٰ الْكِتَابَةِ بِالْعَامِّيَّةِ، وَتَصَدَّىٰ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ الْعَالِمُ الْأَدِيبُ أَبُو فِهْرٍ مَحْمُود شَاكِر الْمِصْرِيُّ فِي سِفْرِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي سَلَخَهُ فِيهِ وَعَرَّاهُ قُبَالَةَ الْمَلَأِ، وَقَدْ وَسَمَهُ بِـ«أَبَاطِيلُ وَأَسْمَارٌ»، هَلَكَ سَنَةَ (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، انْظُرْ: «تَكْمِلَةَ
=

وَأَمَّا طَهَ حُسَيْن فَإِنَّهُ لَمَّا عادَ قَالَ: لَا بُدَّ أَنْ نُقَلِّدَ وَأَنْ نكُون كَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا لَا بُدَّ أَنْ نكُونَ مِثْلَهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ نَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُونَ، وَنَشْرَبُ كَمَا يَشْرَبُونَ، وَنَعِيشُ كَمَا يَعِيشُونَ، وَنُخْرِجُ الْفَضَلَاتِ كَمَا يُخْرِجُونَ!! كَلَامُهُ، فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ!

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **الْقِسْمُ السَّادِسُ**: أَنْ يُقِيمَ لِلسَّكَنِ وَهَذَا أَخْطَرُ مِمَّا قَبْلَهُ وَأَعْظَمُ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ بِالِاخْتِلَاطِ التَّامِّ بِأَهْلِ الْكُفْرِ وَشُعُورِهِ بِأَنَّهُ مُوَاطِنٌ مُلْتَزِمٌ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْوَطَنِيَّةُ مِنْ مَوَدَّةٍ، وَمُوَالَاةٍ، وَتَكْثِيرٍ لِسَوَادِ الْكُفَّارِ، وَيَتَرَبَّى أَهْلُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْكُفْرِ فَيَأْخُذُونَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ، وَرُبَّمَا قَلَّدُوهُمْ فِي الْعَقِيدَةِ وَالتَّعَبُّدِ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ**»(١). وَهَذَا الْحَدِيثُ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفَ السَّنَدِ، لَكِنْ لَهُ وِجْهَةٌ مِنَ النَّظَرِ، فَإِنَّ الْمُسَاكَنَةَ تَدْعُو إِلَى الْمُشَاكَلَةِ.

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ(٢)، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِمَ؟

=

مُعْجَمِ الْمُؤَلِّفِينَ» لِمُحَمَّد خَير بْنِ رَمَضَانَ (ص٤٣٦، دَارُ ابْنِ حَزْمٍ - بَيْرُوتُ).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْجِهَادِ، ١٨٠، رَقْمُ ٢٧٨٧)، مِنْ حَدِيثِ: سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَحَسَّنَهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٣٣٠).

(٢) هُوَ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، الْبَجَلِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ، الْكُوفِيُّ، ثِقَةٌ مُخَضْرَمٌ، مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَيُقَالُ لَهُ رُؤْيَةٌ، مَاتَ بَعْدَ التِّسْعِينَ، وَقَدْ جَازَ الْمِئَةَ وَتَغَيَّرَ، انْظُرْ: «التَّارِيخَ الْكَبِيرَ» (٧/ رَقْمُ ٦٤٨)، وَ

=

قَالَ: «لَا تَرَاءَىٰ نَارَاهُمَا»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ[١].

وَأَكْثَرُ الرُّوَاةِ رَوَوْهُ مُرْسَلًا[٢]، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[٣].

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَعْنِي الْبُخَارِيَّ، يَقُولُ: «الصَّحِيحُ حَدِيثُ قَيْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: مُرْسَلٌ»[٤]. اهـ.

وَكَيْفَ تَطِيبُ نَفْسُ مُؤْمِنٍ أَنْ يَسْكُنَ فِي بِلَادِ كُفَّارٍ تُعْلَنُ فِيهَا شَعَائِرُ الْكُفْرِ وَيَكُونُ الْحُكْمُ فِيهَا لِغَيْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ يُشَاهِدُ ذَلِكَ بِعَيْنِهِ وَيَسْمَعُهُ بِأُذُنَيْهِ وَيَرْضَىٰ بِهِ، بَلْ يَنْتَسِبُ إِلَىٰ تِلْكَ الْبِلَادِ وَيَسْكُنُ فِيهَا بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا

=

«الْجَرْح وَالتَّعْدِيل» (٧/ رَقْمُ ٥٧٩)، وَ«تَهْذِيبَ الْكَمَالِ» (٤٨٩٦)، وَ«التَّقْرِيبَ» (٥٥٦٦).

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْجِهَادِ، ١٠٣، رَقْمُ ٢٦٤٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي (السِّيَرِ، ٤٢: ١، رَقْمُ ١٦٠٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٢٠٧).

(٢) الْمَشْهُورُ أَنَّ الْمُرْسَلَ: مَا رَفَعَهُ التَّابِعِيُّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، انْظُرْ: «شَرْحَ أَلْفِيَّةِ الْعِرَاقِيِّ» (١/ ٢٠٢ – ٢٠٥، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ)، وَ«شَرْحَ الْمَنْظُومَةِ الْبَيْقُونِيَّةِ» لِلْعُثَيْمِينِ (ص٧٩، دَارُ الثُّرَيَّا).

(٣) أَخْرَجَهُ مُرْسَلًا: الشَّافِعِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْمُ ٣٤٠، تَرْتِيبُ السِّنْدِيِّ)، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «سُنَنِهِ» (رَقْمُ ٢٦٦٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» فِي (الْمَغَازِي، ٢١: ٥، رَقْمُ ٣٦٦٣٠)، وَالْحَرْبِيُّ فِي «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» (٣/ ١٠٠٣، جَامِعَةُ أُمِّ الْقُرَىٰ)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الدِّيَاتِ» (ص٥٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمُجْتَبَىٰ» فِي (الْقَسَامَةِ، ٢٦: ٢، رَقْمُ ٤٧٨٠)، وَفِي «الْكُبْرَىٰ» (٦/ ٣٤٧ – ٣٤٨، رَقْمُ ٦٩٥٦)، وَغَيْرُهُمْ، عَنْ قَيْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً إِلَىٰ قَوْمٍ مِنْ خَثْعَمَ...الْحَدِيثَ.

(٤) وَانْظُرْ: «الْعِلَلَ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (٣/ رَقْمُ ٩٤٢)، وَ«الْعِلَلَ» لِلدَّارَقُطْنِيِّ (١٣/ رَقْمُ ٣٣٥٥).

كَمَا يَطْمَئِنُّ إِلَىٰ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ فِي دِينِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ.

هَذَا مَا تَوَصَّلْنَا إِلَيْهِ فِي حُكْمِ الْإِقَامَةِ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ.

***

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ مِثْلَ: الزَّكَاةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ وَالْأَذَانِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ....

* **قُلْتُ:** وَقَدْ بَدَأَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- بِأَحْكَامِ الْهِجْرَةِ وَأَدِلَّتِهَا؛ لِأَنَّهَا مِنْ أَبْرَزِ تَكَالِيفِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، وَالْأَمْرِ بِالشَّرَائِعِ جَاءَ بَعْدَ بِنَاءِ الْعَقِيدَةِ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ أَسَاسُ الْأَعْمَالِ.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: لَمَّا اسْتَقَرَّ -أَيِ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي مَكَّةَ دَعَا إِلَىٰ التَّوْحِيدِ نَحْوَ عَشْرِ سِنِينَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَلَمْ تُفْرَضْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ وَلَا الصِّيَامُ وَلَا الْحَجُّ وَلَا غَيْرُهَا مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ.

وَظَاهِرُ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الزَّكَاةَ فُرِضَتْ أَصْلًا وَتَفْصِيلًا فِي الْمَدِينَةِ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَىٰ أَنَّ الزَّكَاةَ فُرِضَتْ أَوَّلًا فِي مَكَّةَ، لَكِنَّهَا لَمْ تُقَدَّرْ أَنْصَابُهَا وَلَمْ يُقَدَّرِ الْوَاجِبُ فِيهَا، وَفِي الْمَدِينَةِ قُدِّرَتِ الْأَنْصِبَاءُ[1] وَقُدِّرَ الْوَاجِبُ،

---

(١) الْأَنْصِبَاءُ: الْمُفْرَدُ: النَّصِيبُ، وَهُوَ الْحَظُّ. [الْفَيْرُوزَآبَادِيُّ: «الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ»، =

وَاسْتَدَلَّ هَؤُلَاءِ بِأَنَّهُ جَاءَتْ آيَاتٌ تُوجِبُ الزَّكَاةَ فِي سُورٍ مَكِّيَّةٍ مِثْل قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وَمِثْل قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤- ٢٥].

وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ فَاسْتِقْرَارُ الزَّكَاةِ وَتَقْدِيرُ أَنْصَابِهَا وَمَا يَجِبُ فِيهَا وَبَيَانُ مُسْتَحِقِّيهَا كَانَ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَذَلِكَ الْأَذَانُ وَالْجُمُعَةُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْجَمَاعَةَ كَذَلِكَ لَمْ تُفْرَضْ إِلَّا فِي الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّ الْأَذَانَ الَّذِي فِيهِ الدَّعْوَةُ لِلْجَمَاعَةِ فُرِضَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، فَأَمَّا الزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ فَقَدْ فُرِضَا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَأَمَّا الْحَجُّ فَلَمْ يُفْرَضْ إِلَّا فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ عَلَىٰ الْقَوْلِ الرَّاجِحِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ حِينَ كَانَتْ مَكَّةُ بَلَدَ إِسْلَامٍ بَعْدَ فَتْحِهَا فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الشَّعَائِرِ الظَّاهِرَةِ كُلِّهَا فُرِضَتْ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا وَإِقَامَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِيهَا.

***

=

مَادَّةُ (ن. ص. ب)].

وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا تُوُفِّيَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ....

---

* **قُلْتُ:** (**أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ**)، أَيْ: عَلَىٰ تَبْلِيغِ الشَّرِيعَةِ وَبَيَانِهَا، أَخَذَ عَشْرَ سِنِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخَذَ -أَيِ النَّبِيُّ ﷺ- عَشْرَ سِنِينَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ، فَلَمَّا أَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ وَأَتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ اخْتَارَهُ اللهُ لِجِوَارِهِ وَاللَّحَاقِ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، «فَابْتَدَأَ بِهِ الْمَرَضُ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- فِي آخِرِ شَهْرِ صَفَرٍ وَأَوَّلِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، فَخَرَجَ إِلَىٰ النَّاسِ عَاصِبًا رَأْسَهُ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَتَشَهَّدَ[1]، وَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِ اسْتَغْفَرَ لِلشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي أُحُدٍ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**»، فَفَهِمَهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَكَىٰ، وَقَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَبْنَائِنَا،

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الصَّلَاةِ، ٨٠: ٢، رَقْمُ ٤٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأَنْفُسِنَا، وَأَمْوَالِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ**»(١)، وَأَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ(٢).

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ أَوِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ اخْتَارَهُ اللهُ لِجِوَارِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ جَعَلَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي مَاءٍ عِنْدَهُ وَيَمْسَحُ وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»، ثُمَّ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ**»(٣).

فَتُوُفِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَاضْطَرَبَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَحُقَّ لَهُمْ أَنْ يَضْطَرِبُوا، حَتَّىٰ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠]، فَاشْتَدَّ بُكَاءُ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الصَّلَاةِ، ٨٠: ١، رَقْمُ ٤٦٦)، وَمُسْلِمٌ فِي (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، ١: ٢، رَقْمُ ٢٣٨٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْأَذَانِ، ٣٩، رَقْمُ ٦٦٤) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الصَّلَاةِ، ٢١: ٦، رَقْمُ ٤١٨)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَغَازِي، ٨٣: ١٧، رَقْمُ ٤٤٤٩)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

النَّاسِ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ(١)، فَغُسِّلَ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - فِي ثِيَابِهِ؛ تَكْرِيمًا لَهُ(٢)، ثُمَّ كُفِّنَ بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ، أَيْ: لَفَائِفَ بِيضٍ سُحُولِيَّةٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ(٣)، وَصَلَّىٰ النَّاسُ عَلَيْهِ أَرْسَالًا بِدُونِ إِمَامٍ(٤)، ثُمَّ دُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبعَاءِ بَعْدَ أَنْ تَمَّتْ مُبَايَعَةُ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ فَعَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ.

* **قُلْتُ:** «كَانَ ابْتِدَاءُ مَرَضِهِ ﷺ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ صَفَرٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مَرَضِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا عَلَىٰ الْمَشْهُورِ، وَقِيلَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَقِيلَ: اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا، وَقِيلَ: كَانَتْ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، وَهُوَ غَرِيبٌ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٣٤: ٩، رَقْمُ ٣٦٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْجَنَائِزِ، ٣٢: ٢، رَقْمُ ٣١٤١)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي (الْجَنَائِزِ، ٩: ١، رَقْمُ ١٤٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٥٩٤٨)، وَ«الْإِرْوَاءِ» (٧٠٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْجَنَائِزِ، ١٨، رَقْمُ ١٢٦٤)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْجَنَائِزِ، ١٣: ٣، رَقْمُ ٩٤١)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكُبْرَىٰ» (رَقْمُ ٦٩٠٧)، وَفِي «الدَّلَائِلِ» (٧/ ٢٥٠)، بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُدْخِلَ الرِّجَالُ، فَصَلَّوْا عَلَيْهِ بِغَيْرِ إِمَامٍ أَرْسَالًا حَتَّىٰ فَرَغُوا، ثُمَّ أَدْخَلُوا النِّسَاءَ فَصَلَّيْنَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أُدْخِلَ الصِّبْيَانُ فَصَلَّوْا عَلَيْهِ، ثُمَّ أُدْخِلَ الْعَبِيدُ فَصَلَّوْا عَلَيْهِ أَرْسَالًا، لَمْ يَؤُمَّهُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدٌ.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ» (٦٣٧٦)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، نَحْوَهُ، مُرْسَلًا، وَأَخْرَجَ أَيْضًا (٦٣٧٧)، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (٢/ ٢٩١، دَارُ صَادِرٍ)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ، نَحْوَهُ، مُرْسَلًا.

وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ الَّتِي خَطَبَ بِهَا فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي ابْتِدَاءِ مَرَضِهِ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اضْطَرَبَ الْمُسْلِمُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ دُهِشَ فَخُولِطَ، وَمِنْهُمْ أُقْعِدَ فَلَمْ يُطِقِ الْقِيَامَ، وَمِنْهُمْ مَنِ اعْتُقِلَ لِسَانُهُ فَلَمْ يُطِقِ الْكَلَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ مَوْتَهُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَقَالَ: (إِنَّمَا بُعِثَ إِلَيْهِ كَمَا بُعِثَ إِلَىٰ مُوسَىٰ)»[1].

◉ ◉ ◉

(١) «لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ» لِابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ (ص١٠٣، و١١٠، دَارُ ابْنِ حَزْمٍ).

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ: لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ اللهُ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ....

---

* قُلْتُ: (وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ: لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ)؛ أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»(١): قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ»، وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَعَثَهُ اللهُ) أَيْ أَرْسَلَهُ، (إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً) أَيْ جَمِيعًا.

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢/ ١٥٥، رَقْمُ ١٦٤٧، مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٨٠٣)، وَانْظُرْ: «الْعِلَلَ» لِلدَّارَقُطْنِيِّ (٦/ رقم ١١٤٨).

* **قُلْتُ**: أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً**»(١).

فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلٌ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَإِلَىٰ عُمُومِ الثَّقَلَيْنِ، إِلَىٰ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَمْ يُبْعَثْ إِلَىٰ الْعَرَبِ وَحْدَهُمْ وَلَا إِلَىٰ الْإِنْسِ وَحْدَهُمْ، بَلْ أَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: ١٥٨]): فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ النَّاسِ جَمِيعًا، وَأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ بِيَدِهِ الْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُتَوَحِّدُ بِالْأُلُوهِيَّةِ كَمَا هُوَ مُتَوَحِّدٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، ثُمَّ أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي آخِرِ الْآيَةِ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الرَّسُولِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَأَنْ نَتَّبِعَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِلْهِدَايَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، هِدَايَةِ الْإِرْشَادِ، وَهِدَايَةِ التَّوْفِيقِ، فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَسُولٌ إِلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ وَهُمُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَسُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ.

* **قُلْتُ**: (**افْتَرَضَ اللهُ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**):

«هَذَا أَصْلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَسَائِرِ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَغَيْرِهِمْ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَهُ اللهُ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الصَّلَاةِ، ٥٦، رَقْمُ ٤٣٨) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْمَسَاجِدِ، ح٣ و٤، رَقْمُ ٥٢١).

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَى الثَّقَلَيْنِ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»(١).

بِمَا أَنَّ الْجِنَّ مُكَلَّفُونَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُبَلِّغَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْيَهُ؛ لِيُقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، فَهَلْ لَهُمْ رُسُلٌ مِنْهُمْ؟ أَمْ أَنَّ رُسُلَهُمْ رُسُلُ الْبَشَرِ؟

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا، وَلَكِنَّ الْآيَةَ لَمْ تُصَرِّحْ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ مِنَ الْجِنِّ أَوْ مِنَ الْإِنْسِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ (مِنْكُمْ) يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ؛ قَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّ رُسُلَ كُلِّ جِنْسٍ مِنْهُمْ، وَقَدْ يُرَادُ أَنَّ رُسُلَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْ مَجْمُوعِ الْجِنْسَيْنِ، فَيَصْدُقُ عَلَىٰ أَحَدِهِمَا وَهُمُ الْإِنْسُ.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ لِلْجِنِّ رُسُلًا مِنْهُمْ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ الضَّحَّاكُ، وَقَال ابْنُ الْجَوْزِيِّ(٢): «وَهُوَ ظَاهِرُ الْكَلَامِ»، وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ(٣): «لَمْ يُبْعَثْ إِلَى الْجِنِّ نَبِيٌّ مِنَ الْإِنْسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ».

---

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (١٩/ ٩ - ١٠)، «عَالَمُ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ» لِعُمَرَ الْأَشْقَرِ (ص٤٤، مَكْتَبَةُ الْفَلَاحِ، الْكُوَيْتُ).

(٢) «زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (٢/ ٧٩، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتُ).

(٣) «الْفِصَلُ فِي الْمِلَلِ» (٣/ ١٤٧، مَكْتَبَةُ الْخَانْجِيِّ)، وَ«الْمُحَلَّىٰ» فِي الْمَسْأَلَةِ الْأُولَىٰ مِنْ كِتَابِ الْأَشْرِبَةِ (٦/ ١٩٦، دَارُ الْفِكْرِ).

الثَّانِي: أَنَّ رُسُلَ الْجِنِّ مِنَ الإِنْسِ، قَالَ السُّيُوطِيُّ(١): «جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ سَلَفًا وَخَلَفًا عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْجِنِّ قَطُّ رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ، كَذَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَالْكَلْبِيِّ وَأَبِي عُبَيْدٍ».

وَمِمَّا يُرَجِّحُ -هَذَا- أَنَّ رُسُلَ الإِنْسِ هُمْ رُسُلُ الْجِنِّ قَوْلُ الْجِنِّ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، وَلَكِنَّ هَذَا -أَيْضًا- لَيْسَ نَصًّا فِي الْمَسْأَلَةِ.

وَالْمَسْأَلَةُ عُمُومًا لَا يَنْبَنِي عَلَيْهَا عَمَلٌ، وَلَيْسَ فِيهَا نَصٌّ قَاطِعٌ، فَالِاشْتِغَالُ بِهَا مِمَّا لَا يُفِيدُ»(٢).

وَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ سَلَفًا وَخَلَفًا عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْجِنِّ قَطُّ رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ وَهَذَا مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَالْكَلْبِيُّ وَأَبُو عُبَيْدٍ.

وَيُرَجِّحُهُ أَنَّ الْجِنَّ لَمَّا وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ لَمْ يَذْكُرُوا كِتَابًا أُنْزِلَ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلَا نَبِيًّا أُرْسِلَ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا ذَكَرُوا الْكِتَابَ الَّذِي أُنْزِلَ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَبْلَ الْقُرْآنِ، الْكِتَابَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهُوَ التَّوْرَاةُ، ثُمَّ ذَكَرُوا مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَمِنَ الْجِنِّ مُنْذِرُونَ لَيْسَ مِنْهُمْ رُسُلٌ وَلَا أَنْبِيَاءُ كَمَا هُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ سَلَفًا وَخَلَفًا.

---

(١) فِي (لَقْطِ الْمَرْجَانِ)، كَمَا فِي «لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ» لِلسَّفَّارِينِيِّ (٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤).

(٢) «عَالَمُ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ» لِعُمَرَ الْأَشْقَرِ (ص٤٣ - ٤٤، مَكْتَبَةُ الْفَلَاحِ، الْكُوَيْتُ).

فَأَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ.

(وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨])، «هَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَىٰ عُمُومِ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ».

وَوَجْهُ دُخُولِ الْجِنِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ يَقُولُ الشَّيْخُ: **(وَالدَّلِيلُ)** بَعْدَ أَنْ قَالَ إِنَّهُ تَجِبُ طَاعَتُهُ ﷺ عَلَىٰ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، قَالَ: **(وَالدَّلِيلُ)**، مَا وَجْهُ الدَّلِيلِ فِي الْآيَةِ؟

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لَمْ يَقُلْ يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَإِنَّمَا قَالَ: **﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾** دَخَلَ الْجِنُّ هُنَا، مَا وَجْهُ ذَلِكَ؟

وَجْهُهُ: أَنَّ الْجِنَّ مِنَ النَّاسِ، **بِدَلَالَةِ اللُّغَةِ وَالشَّرْعِ:**

فَمِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ: لَفْظُ (النَّاسِ) مِنَ النَّوْسِ، وَهُوَ: كَثْرَةُ الْحَرَكَةِ نَاسَ أَيْ تَحَرَّكَ[1].

وَمِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ: حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **«كَانَ نَاسٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلَاءِ بِدِينِهِمْ»**[2]، يَعْنِي:

---

(١) انْظُرْ: «الْعَيْنُ» لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ (٧/ ٣٠٣)، وَ«الصِّحَاحُ» لِلْجَوْهَرِيِّ (٣/ ٩٨٧)، وَ«الْفُرُوقُ» لِلْعَسْكَرِيِّ (١/ ٢٧٤، و٢٧٦)، وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (٦/ ٢٤٥)، وَ«الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ» لِلْفَيُّومِيِّ (١/ ٢٥ - ٢٦) (٢/ ٦٣٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّفْسِيرِ،١٧: ٧ و٨، رَقْمُ ٤٧١٤ و٤٧١٥)، وَمُسْلِمٌ فِي (التَّفْسِيرِ، ٤، =

ظَلَّ الْعَابِدُونَ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ مِنْ دُونِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَعَ أَنَّ الْجِنَّ أَسْلَمُوا وَتَمَسَّكُوا بِالدِّينِ.

فَالنَّاسُ تُطْلَقُ عَلَىٰ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**نَاسًا مِنَ الْجِنِّ**».

⦿ ⦿ ⦿

=
رَقْمُ ٣٠٣٠).

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ أَنَّ دِينَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَاقٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا وَقَدْ بَيَّنَ لِلْأُمَّةِ جَمِيعَ مَا تَحْتَاجُهُ فِي جَمِيعِ شُؤُونِهَا حَتَّىٰ قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ طَائِرًا يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْمُ ٤٨١)، وَأَحْمَدُ (٥/ ١٥٣ و١٦٢، رَقْمُ ٢١٣٦١ و٢١٤٣٩)، وَغَيْرُهُمَا، مِنْ طُرُقٍ: عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَشْيَاخٍ لَهُمْ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...الْحَدِيثَ.

وَفِيهِ جَهَالَةُ أَشْيَاخِ مُنْذِرٍ.

وَرَوَاهُ فِطْرُ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ، فَاضْطُرِبَ فِيهِ، وَفِطْرٌ لَيْسَ بِذَاكَ الْمُتْقِنِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ بِدْعَةٍ، «السِّيَرُ» (٧/ ٣٢ - ٣٣، تَرْجَمَةٌ ١٤)، وَرِوَايَةُ الْأَعْمَشِ أَشْبَهُ؛

- فَأَخْرَجَهُ وَكِيعٌ فِي «الزُّهْدِ» (رقم ٥٢٢)، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (٢/ ٣٥٤، دَارُ صَادِرٍ)، وَأَحْمَدُ (٥/ ١٦٢، رَقْمُ ٢١٤٤٠)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٩/ ٢٣٦، دَارُ هَجَرَ)، مِنْ طُرُقٍ: عَنْ فِطْرٍ، عَنْ مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهَذَا إِسْنَادٌ مُنْقَطِعٌ؛ قَالَ الْبَزَّارُ: «مُنْذِرٌ لَمْ يُدْرِكْ أَبَا ذَرٍّ»، وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: «وَهُوَ الصَّحِيحُ عَنْ فِطْرٍ».

=

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةَ -آدَابَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ- قَالَ: «**أَجَلْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ أَوْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ**»(١).

=

- وَأَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٩/ رَقْمُ ٣٨٩٧)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْمُ ٦٥)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢/ رَقْمُ ١٦٤٧)، وَغَيْرُهُمْ، مِنْ طَرِيقِ: ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ فِطْرٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي «أَطْرَافِ الْغَرَائِبِ» (٥/ رَقْمُ ٤٦٥٣): «غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْهُ، وَغَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ فِطْرٍ عَنْهُ، تَفَرَّدَ بِهِ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ»، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٨٠٣): «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ».

- وَأَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَىٰ فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْمُ ٥١٠٩)، مِنْ طَرِيقِ: يَحْيَىٰ الْقَطَّانِ، عَنْ فِطْرٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِطْرٌ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عَطَاءٍ، وَعَطَاءٌ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، «تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ» (٨/ ٣٠٢)، وَ«الْمَرَاسِيلُ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ص١٥٤، تَرْجَمَةٌ ٢٩٢).

- وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ كَمَا فِي «الْمَطَالِبِ» لِابْنِ حَجَرٍ (١٥/ رَقْمُ ٣٨٤٦)، وَالْهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلَامِ» (٤/ رَقْمُ ٥٩٩)، مِنْ طَرِيقِ: مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِيِّ، عَنْ فِطْرٍ، عَنْ مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «رُوَاتُهُ ثِقَاتٌ، إِلَّا أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ، **وَاخْتُلِفَ عَلَىٰ فِطْرٍ**».

قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَد شَاكِر فِي حَاشِيَتِهِ عَلَىٰ «تَفْسِيرِ الطَّبَرِيِّ» (١١/ ٣٤٨، رَقْمُ ١٣٢٢٤): «**إِسْنَادُ هَذِهِ كُلِّهَا إِمَّا مُنْقَطِعَةٌ أَوْ فِيهَا مَجَاهِيلُ**»، وَانْظُرْ: «الْعِلَلُ» لِلدَّارَقُطْنِيِّ (٦/ رَقْمُ ١١٤٨).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الطَّهَارَةِ، ١٧: ١، رَقْمُ ٢٦٢).

* **قُلْتُ:** (**الْخِرَاءَةُ**): اسْمٌ لِهَيْئَةِ الْحَدَثِ، وَأَمَّا نَفْسُ الْحَدَثِ فَبِحَذْفِ التَّاءِ وَبِالْمَدِّ مَعَ فَتْحِ الْخَاءِ وَكَسْرِهَا، هَكَذَا تُقَالُ وَلَا تُنْطَقُ، وَ(**الْغَائِطُ**) أَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ: الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ صَارَ بِالْمُجَاوَرَةِ مَجَازًا لِمَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ، (**بِرَجِيعٍ**)، هُوَ: الرَّوْثُ[1].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ كُلَّ الدِّينِ إِمَّا بِقَوْلِهِ، وَإِمَّا بِفِعْلِهِ، وَإِمَّا بِإِقْرَارِهِ ابْتِدَاءً أَوْ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ، وَأَعْظَمُ مَا بَيَّنَ ﷺ التَّوْحِيدُ.

وَكُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ فَهُوَ خَيْرٌ لِلْأُمَّةِ فِي مَعَادِهَا وَمَعَاشِهَا، وَكُلُّ مَا نَهَىٰ عَنْهُ فَهُوَ شَرٌّ لِلْأُمَّةِ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا، وَمَا يَجْهَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ وَيَدَّعِيهِ مِنْ ضِيقٍ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِخَلَلِ الْبَصِيرَةِ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ وَضَعْفِ الدِّينِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْقَاعِدَةَ الْعَامَّةَ: أَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ وَأَنَّ الدِّينَ كُلَّهُ يُسْرٌ وَسُهُولَةٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ تَمَامِ نِعْمَتِهِ وَإِكْمَالِ دِينِهِ.

***

(١) «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (٣/ ١٥٣ - ١٥٤)، وَ«النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ» لِابْنِ الْأَثِيرِ (مَادَّة: رجع) (٢/ ٢٠٣).

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَيِّتُونَ وَأَنَّهُمْ سَيَخْتَصِمُونَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا.

* **قُلْتُ: (إِنَّكَ مَيِّتٌ)** هَذَا خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَيَمُوتُ، وَهُوَ ﷺ تَجْرِي عَلَيْهِ الْأَعْرَاضُ الْبَشَرِيَّةُ مِنَ الْمَرَضِ وَالْمَوْتِ وَالنِّسْيَانِ إِلَّا الشَّرْعَ، فَإِنَّهُ لَا يَنْسَىٰ مِنْهُ شَيْئًا ﷺ.

حَيَاتُهُ ﷺ كَحَيَاةِ سَائِرِ النَّاسِ، وَمَا جَاءَ مِنَ النُّصُوصِ كَقَوْلِهِ ﷺ: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**»(١)، هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ، لَا كَمَا يَقُولُ الْمُخَرِّفُونَ أَنَّهُ ﷺ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ حَيَاةً دُنْيَوِيَّةً كَحَيَاةِ الْبَشَرِ فِي الدُّنْيَا، اللهُ أَعْلَمُ بِكَيْفِيَّةِ الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ، وَلَكِنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «**فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**» مَحْمُولٌ عَلَى الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِكَيْفِيَّتِهَا.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْمَنَاسِكِ، ٩٧: ٢، رَقْمُ ٢٠٤٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٦/ رَقْمُ ١٧٨٠).

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ مَنِ ادَّعَىٰ أَنَّهُ ﷺ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَحْيَىٰ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

●●●

الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَدَلِيلُه

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧- ١٨] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَيَّنَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنَّ النَّاسَ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحْيَاءً بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِلْجَزَاءِ، وَهَذَا هُوَ النَّتِيجَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ أَنْ يَعْمَلَ الْإِنْسَانُ لِهَذَا الْيَوْمِ يَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، الْيَوْمُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ أَحْوَالِهِ وَأَهْوَالِهِ مَا يَجْعَلُ الْقَلْبَ يُنِيبُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَخْشَىٰ هَذَا الْيَوْمَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧- ١٨].

وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَاسْتَدَلَّ الشَّيْخُ لَهُ بِآيَتَيْنِ.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾: أَيْ مِنَ الْأَرْضِ خَلَقْنَاكُمْ حِينَ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنْ تُرَابٍ.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: أَيْ بِالدَّفْنِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: أَيْ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾: هَذِهِ الْآيَةُ مُوَافِقَةٌ تَمَامًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَقَدْ أَبْدَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعَادَ فِي إِثْبَاتِ الْمَعَادِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ النَّاسُ بِذَلِكَ وَيَزْدَادُوا إِيمَانًا، وَيَعْمَلُوا لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْعَامِلِينَ لَهُ وَمِنَ السُّعَدَاءِ فِيهِ.

* **قُلْتُ:** ﴿نَبَاتًا﴾ اسْمُ مَصْدَرٍ نَائِبٌ مَنَابَ الْمَصْدَرِ، أَيْ: إِنْبَاتًا حِينَ خَلَقَ مِنْهَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ﴾: بِالْمَوْتِ وَالْقُبُورِ فِيهَا، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ هَذَا هُوَ الْبَعْثُ يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ قِيَامًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَدِلَّةُ الْبَعْثِ تَضَمَّنَتْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ:

الْأَوَّلُ: تَضَمَّنَتْ كَمَالَ قُدْرَةِ اللهِ.

وَالثَّانِي: تَضَمَّنَتْ كَمَالَ عِلْمِ اللهِ.

وَالثَّالِثُ: تَضَمَّنَتْ كَمَالَ عَدْلِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ؛ لِيَلْقَىٰ كُلُّ عَامِلٍ جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ.

فَأَدِلَّةُ الْبَعْثِ تَتَضَمَّنُ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ:

أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَتَضَمَّنَتْ كَمَالَ قُدْرَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِأَنْ يُعِيدَ تِلْكَ الشُّعُورَ الْمُتَفَرِّقَةَ وَالْأَجْدَاثَ الْمُتَنَاثِرَةَ، وَهَذِهِ الْأَبْدَانَ الَّتِي صَارَتْ تُرَابًا، يُعِيدُهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيُنْشِيهَا مَرَّةً أُخْرَىٰ، فَهَذَا دَالٌّ عَلَىٰ كَمَالِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَتَضَمَّنَتْ كَمَالَ عِلْمِهِ مَعَ كَمَالِ قُدْرَتِهِ، إِنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ؛ فَيُحْيِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تِلْكَ الْأَبْدَانَ بَعْدَ أَنْ يُعِيدَهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ عِلْمِهِ بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ حِكْمَتِهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَتَضَمَّنَتْ كَمَالَ الْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ؛ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تُؤَدَّىٰ الْحُقُوقُ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا، هَذَا دَالٌّ عَلَىٰ كَمَالِ عَدْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَكَمَالِ حِكْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ بَعْثٌ لَكَانَ الْوُجُودُ عَبَثًا، وَلَكَانَتِ الْحَيَاةُ لَغْوًا، وَلَكِنَّ الْبَعْثَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُوَفَّىٰ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، هَذَا دَالٌّ عَلَىٰ كَمَالِ الْحِكْمَةِ، مَعَ كَمَالِ الْعَدْلِ، فَأَدِلَّةُ الْبَعْثِ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْأُمُورَ.

●●●



الْإِيمَانُ بِالْحِسَابِ وَدَلِيلُهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَعْنِي أَنَّ النَّاسَ بَعْدَ الْبَعْثِ يُجَازَوْنَ وَيُحَاسَبُونَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ إِنْ خيرًا فخيرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ. قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

وَقَال تَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وَقَال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

فالْحَسَنَةُ بِعشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ؛ فَضْلًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَامْتِنَانًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَهُوَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ تَفَضَّلَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، ثُمَّ تَفَضَّلَ مَرَّةً أُخْرَىٰ بِالْجَزَاءِ عَلَيْهِ هَذَا الْجَزَاءَ الْوَاسِعَ الْكَثِيرَ.

أَمَّا الْعَمَلُ السَّيِّئُ فَإِنَّ السَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا لَا يُجَازَىٰ الْإِنْسَانُ بِأَكْثَرَ مِنْهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وَهَذَا مِنْ كَمَالِ فَضْلِ اللهِ وَإِحْسَانِهِ.

* **قُلْتُ:** وَهَذَا مِنْ تَمَامِ وَكَمَالِ عَدْلِهِ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، وَالْأَوَّلُ مِنْ كَمَالِ فَضْلِ اللهِ وَإِحْسَانِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: ثُمَّ اسْتَدَلَّ الشَّيْخُ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [النجم: ٣١] وَلَمْ يَقُلْ: بِالسُّوآىٰ كَمَا قَالَ: ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

* **قُلْتُ:** الْأَمْرُ لَا يَنْتَهِي بِالْبَعْثِ حَتَّىٰ يُحَاسَبَ النَّاسُ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْسَامٌ:

الْأَوَّلُ: نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، مَنْ لَا يُحَاسَبُ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا سَابِقَةِ عَذَابٍ(١).

الثَّانِي مِنَ الْأَقْسَامِ: مَنْ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَهُوَ الْعَرْضُ فَقَطْ، وَهَذَا مِنَ السُّعَدَاءِ أَيْضًا.

---

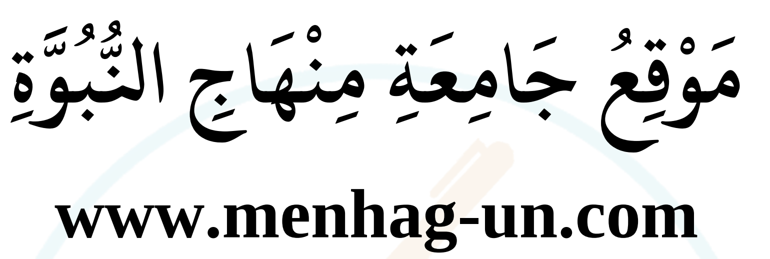
(١) لِمَا أَخرجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الطِّبِّ، ١٧: ٢، رَقْمُ ٥٧٠٥) وَفِي (الرِّقَاقِ، ٢١، رَقْمُ ٦٤٧٢)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٩٤: ٨، رَقْمُ ٢٢٠)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»، الْحَدِيثَ.

الثَّالِثُ مِنَ الْأَقْسَامِ: مَنْ يُحَاسَبُ حِسَابَ مُنَاقَشَةٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١): «**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ**».

فَالنَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ فِي مَسْأَلَةِ الْحِسَابِ، قِسْمٌ: لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا سَابِقَةِ عَذَابٍ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَقِسْمٌ: يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَهُوَ الْعَرْضُ، وَقِسْمٌ: يُنَاقَشُ الْحِسَابَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْعِلْمِ، ٣٦، رَقْمُ ١٠٣)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ، ١٨، رَقْمُ ٢٨٧٦).



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّادِسَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

حُكْمُ التَّكْذِيبِ بِالْبَعْثِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].........................

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِقَوْلِهِ تعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٩- ٣٠].

وَقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٠- ١٧].

* **قُلْتُ:** (رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ): غَلَبَ وَغَطَّىٰ عَلَيْهَا أَوْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ تعَالَىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣]، وَاسْتَدَلَّ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ الْآيَةَ.

وَأَمَّا إِقْنَاعُ هَؤُلَاءِ الْمُنْكِرِينَ فَبِمَا يَأْتِي:

* **قُلْتُ**: هَذَا مُهِمٌّ؛ لِأَنَّكَ تَجِدُ الْعَجَبَ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَنْ يُكَذِّبُ بِوُجُودِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَمَنْ يُكَذِّبُ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَمَنْ يَجْحَدُ الدِّيَانَاتِ كُلَّهَا، وَمَنْ يُكَذِّبُ بِالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ وَالْعَرْضِ وَالنُّشُورِ وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ.

تَجِدُ الْعَجَبَ! وَالْعَالَمُ يَمُوجُ بِالْفِتَنِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ الْبَاطِلَةِ الْفَاجِرَةِ الْمُجْرِمَةِ.

فَالْمُسْلِمُ -وَطَالِبُ الْعِلْمِ خَاصَّةً- يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَاذِقًا يُدَافِعُ عَنْ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلْيُبَلِّغْ دِينَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَدْخُلَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ: «**لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: أَوَّلًا: أَنَّ أَمْرَ الْبَعْثِ تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ، وَتَلَقَّتْهُ أُمَمُهُمْ بِالْقَبُولِ، فَكَيْفَ تُنْكِرُونَهُ وَأَنْتُمْ تُصَدِّقُونَ بِمَا يُنْقَلُ إِلَيْكُمْ عَنْ فَيْلَسُوفٍ أَوْ صَاحِبِ مَبْدَأٍ أَوْ فِكْرَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ مَا بَلَغَهُ الْخَبَرُ عَنِ الْبَعْثِ لَا فِي وَسِيلَةِ النَّقْلِ، وَلَا فِي شَهَادَةِ الْوَاقِعِ؟

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْجِهَادِ، ١٠٢: ٢، رَقْمُ ٢٩٤٢) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، ٤: ٧، رَقْمُ ٢٤٠٦)، مِنْ حَدِيثِ: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* **قُلْتُ:** يَعْنِي يُقَالُ لَهُمْ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَوَاتَرَتْ عَنْهُمُ الْأَنْبَاءُ بِهَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ يَقُولُونَ: هَذَا حَدِيثُ خُرَافَةٍ، وَمَا أَوْحَىٰ اللهُ لِبَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ.

يُقَالُ سُبْحَانَ اللهِ هَذَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ، وَأَنْتُمْ تُصَدِّقُونَ أَنَّ هُنَالِكَ مَنْ كَانَ قَبْلُ مِنْ أَرِسْطُو، وَأَفْلَاطُونَ، وَسُقْرَاطَ، وَمَنْ فَوْقَهُمْ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الَّذِينَ تَأْخُذُونَ بِأَقْوَالِهِمْ، وَتَعْتَمِدُونَهَا فَإِذَا نُقِلَ إِلَيْكُمْ بِالتَّوَاتُرِ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ مِنَ الْبَعْثِ، وَالنُّشُورِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْغِيَابِ فِي طَيَّاتِ الْقُبُورِ تُكَذِّبُونَ!! فَهَذَا أَوَّلًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: **ثَانِيًا:** أَنَّ أَمْرَ الْبَعْثِ قَدْ شَهِدَ الْعَقْلُ بِإِمْكَانِهِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

١- كُلُّ أَحَدٍ لَا يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا بَعْدَ الْعَدَمِ، وَأَنَّهُ حَادِثٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَالَّذِي خَلَقَهُ وَأَحْدَثَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بِالْأَوْلَىٰ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٢- كُلُّ أَحَدٍ لَا يُنْكِرُ عَظَمَةَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِكِبَرِهِمَا وَبَدِيعِ صَنْعَتِهِمَا، فَالَّذِي خَلَقَهُمَا قَادِرٌ عَلَىٰ خَلْقِ النَّاسِ وَإِعَادَتِهِمْ بِالْأَوْلَىٰ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨١- ٨٢].

* **قُلْتُ:** هَذَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ كَمَا تَرَىٰ: خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ أَمْ خَلْقُ النَّاسِ؟ سَيَقُولُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا مُنْصِفًا: بَلْ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَيُقَالُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَ النَّاسَ قَادِرٌ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ عَلَىٰ إِعَادَةِ النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣- كُلُّ ذِي بَصَرٍ يُشَاهِدُ الْأَرْضَ مُجْدِبَةً مَيِّتَةَ النَّبَاتِ، فَإِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ عَلَيْهَا أَخْصَبَتْ وَحَيِيَ نَبَاتُهَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَادِرُ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ وَبَعْثِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

* **قُلْتُ:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ هَامِدَةً جَامِدَةً مَيِّتَةً مُتَشَقِّقَةً، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ زَادَتْ، وَعَلَتْ، وَانْتَفَخَتْ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

هَذَا دَلِيلٌ حِسِّيٌّ عَقْلِيٌّ فِطْرِيٌّ مُشَاهَدٌ مَنْظُورٌ، كُلُّ أَحَدٍ يَرَاهُ، أَرْضٌ تَكُونُ مَيِّتَةً جَدْبَةً مُتَشَقِّقَةً هَامِدَةً خَاشِعَةً فَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهَا الْغَيْثُ بِأَمْرِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ انْتَفَشَتْ،

وَاهْتَزَّتْ بِالنَّبَاتِ، وَرَبَتْ مُنْتَفِخَةً عَالِيَةً، ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ هَذَا دَلِيلُ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثَالِثًا: أَنَّ أَمْرَ الْبَعْثِ قَدْ شَهِدَ الْحِسُّ وَالْوَاقِعُ بِإِمْكَانِهِ فِيمَا أَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ مِنْ وَقَائِعِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ خَمْسَ حَوَادِثَ مِنْهَا، قَوْلُهُ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

* قُلْتُ: أَرَاهُ اللهُ الْآيَةَ فِي نَفْسِهِ وَحِمَارِهِ وَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، فَأَمَّا الْحِمَارُ فَلَمَّا أَصَابَهُ الْمَوْتُ أَدْرَكَهُ الْبِلَىٰ؛ لِأَنَّهُ لَبِثَ مِئَةَ عَامٍ، وَأَمَّا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَهُمَا مَظِنَّةُ الْفَسَادِ قَبْلَ أَنْ يَتَحَلَّلَ الْحِمَارُ مَعَ ذَلِكَ بَقِيَا عَلَىٰ حَالِهِمَا مِنْ صَلَاحِهِمَا، وَلَمْ يَلْحَقْهُمَا فَسَادٌ، فَأَمَّا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ، وَالْمَظْنُونُ أَنْ يَفْسُدَا أَوَّلًا فَبَقِيَ عَلَىٰ صَلَاحِهِمَا.

وَأَمَّا الْحِمَارُ فَصَارَ عِظَامًا تَلُوحُ فَلَمَّا أَحْيَاهُ اللهُ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ بِالْمَكَانِ أَوْ خَرَجَ مَعَ الضُّحَىٰ فَأَحْيَاهُ اللهُ مَعَ الْعَشِيَّةِ.

فَقَالَ: كَمْ لَبِثْتَ؟

قَالَ: لَبِثْتُ يَوْمًا، خَرَجْتُ ضحًى، وَأَنَا الْآنَ بِالْعَشِيَّةِ، وَلَكِنْ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، فَالدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ لَعَلَّهُ يَوْمٌ، وَلَكِنْ هُوَ بَعْضُ يَوْمٍ، فَقَدْ خَرَجْتُ مَعَ الضُّحَىٰ.

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ، وَشَرَابِكَ، وَهُمَا مَظِنَّةُ الْفَسَادِ.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لَمْ يَتَغَيَّرْ، كَانَ مَعَهُ طَعَامٌ، وَكَانَ مَعَهُ شَرَابٌ مِنْ شَرَابِ الْخُوخِ أَوْ مِنْ شَرَابِ التِّينِ أَوْ مَا أَشْبَهَ لَمْ يَفْسُدْ، وَظَلَّ عَلَىٰ حَالِهِ.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾، وَجَدَهُ عِظَامًا تَلُوحُ.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ آيَةً لَنَا.

﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ إِلَىٰ عِظَامِ حِمَارِكَ.

﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ كَيْفَ نَرْفَعُهَا، فَأَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعِظَامَ فَارْتَفَعَتْ فَعَادَ كُلُّ عَظْمٍ إِلَىٰ مَوْضِعِهِ مِنْ هَيْكَلِ الْحِمَارِ حَتَّىٰ صَارَ هَيْكَلًا قَائِمًا.

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، ثُمَّ كُسِيَتِ الْعِظَامُ لَحْمًا بِعُرُوقٍ، وَأَعْصَابٍ، وَجِلْدٍ، وَشَعْرٍ.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سُبْحَانَهُ لَا يَفْعَلُ هَذَا إِلَّا اللهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ سِوَاهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **رَابِعًا**: أَنَّ الْحِكْمَةَ تَقْتَضِي الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِتُجَازَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ خَلْقُ النَّاسِ عَبَثًا لَا قِيمَةَ لَهُ، وَلَا حِكْمَةَ مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ فَرْقٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ**﴾ [طه: ١٥].

* **قُلْتُ**: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ فِيهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنَ النُّحَاةِ الصَّرْفِيِّينَ، وَالْمُفَسِّرِينَ، وَغَيْرِهِمْ، ﴿**أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ يَعْنِي هِيَ ظَاهِرَةٌ، الْهَمْزَةُ فِي ﴿**أُخْفِيهَا**﴾ هَمْزَةُ الْإِزَالَةِ خَفِيَ الشَّيْءُ يَعْنِي صَارَ خَفِيًّا لَا يُرَىٰ، فَإِذَا أَدْخَلْتَ عَلَىٰ هَذَا الْفِعلِ أَلِفَ الْإِزَالَةِ أَزَالَتْ الْمَعْنَىٰ، وَسَلَبَتْهُ فَأُخْفِي هُنَا بِمَعْنَىٰ أُظْهِرُ، ﴿**أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾، يَعْنِي: أَكَادُ أُظْهِرُهَا فَهَذِهِ الْهَمْزَةُ يُقَالُ لَهَا أَلِفُ الْإِزَالَةِ أَزَالَتِ الْمَعْنَىٰ، وَقَلَبَتْهُ، ﴿**لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ**﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [النحل: ٣٨- ٤٠].

* **قُلْتُ:** ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾، يَعْنِي: مُجْتَهِدِينَ فِي الْحَلِفِ بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ وَأَوْكَدِهَا، ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ يُقْسِمُونَ بِأَوْكَدِ الْأَيْمَانِ وَأَغْلَظِهَا عَلَىٰ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

فَإِذَا بَيَّنْتَ هَذِهِ الْبَرَاهِينَ لِمُنْكِرِي الْبَعْثِ وَأَصَرُّوا عَلَىٰ إِنْكَارِهِمْ، فَهُمْ مُكَابِرُونَ مُعَانِدُونَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

● ● ●

الْحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] ....

---

* **قُلْتُ:** ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ يُبَشِّرُونَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ، وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ بِالْجَنَّةِ.

وَ(التَّبْشِيرُ) مَعْنَاهُ ذِكْرُ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ لِمَنْ أَطَاعَهُ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ يُنْذِرُونَ أَهْلَ الشِّرْكِ، وَسَائِرِ الْمَعَاصِي بِالنَّارِ، وَ(الإِنْذَارُ) تَخْوِيفُ الْعَاصِي وَالْكَافِرِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِقَابِهِ، وَقَدْ يَأْتِي التَّبْشِيرُ أَحْيَانًا فِي الْعَذَابِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ وَهَذَا لِزِيَادَةِ تَبْكِيتِهِمْ.

إِنَّ التَّبْشِيرَ فِي الأَصْلِ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَا يَسُرُّ فَإِذَا سَمِعُوا ﴿فَبَشِّرْهُم﴾، ثُمَّ تَلَا ذَلِكَ: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ كَانَ أَقْسَىٰ وَقْعًا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَيَّنَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَهُمْ بِالْجَنَّةِ وَيُنْذِرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ بِالنَّارِ.

وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لَهُ حِكَمٌ عَظِيمَةٌ مِنْ أَهَمِّهَا بَلْ هُوَ أَهَمُّهَا أَنْ تَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَىٰ النَّاسِ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ لَهُمْ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾.

وَمِنْهَا أَنَّهُ مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ فَإِنَّ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ مَهْمَا كَانَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُدْرِكَ تَفَاصِيلَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْحُقُوقِ الْخَاصَّةِ بِهِ، وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَىٰ مَا لِلَّهِ تَعَالَىٰ مِنَ الصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَىٰ مَالَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ؛ وَلِهَذَا أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ؛ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ.

وَأَعْظَمُ مَا دَعَا إِلَيْهِ الرُّسُلُ مِنْ أَوَّلِهِمْ نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِلَىٰ آخِرِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ التَّوْحِيدُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

* **قُلْتُ**: بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ أَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ؛ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ بِالْكُفْرِ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَبِإِثْبَاتِ الْعِبَادَةِ لِلهِ وَحْدَهُ هَذِهِ دَعْوَةُ الْمُرْسَلِينَ، وَهَذَا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ.

أَوَّلُ الرُّسُلِ وَآخِرُهُمْ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]...

---

* **قُلْتُ:** لَمْ يَذْكُرِ الدَّلِيلَ عَلَىٰ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آخِرُهُمْ؛ لِوُضُوحِهِ، وهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وَالنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَيَّنَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ أَوَّلَ الرُّسُلِ نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَاسْتَدَلَّ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾.

* **قُلْتُ:** مَا وَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ أَوَّلُ الرُّسُلِ؟

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْفِتَنِ، ١: ١٣، رَقْمُ ٤٢٥٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي (الْفِتَنِ، ٤٣: ٢، رَقْمُ ٢٢١٩)، مِنْ حَدِيثِ: ثَوْبَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٥٤٠٦).

وَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ مِنَ الْبَعْدِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾، فَلَوْ كَانَ هُنَاكَ رَسُولٌ قَبْلَ نُوحٍ لَذَكَرَ.

هَذَا وَاضِحٌ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾، فَبَدَأَ بِهِ: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾، وَكُلُّ نَبِيٍّ يُوحَىٰ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَإِلَّا كَيْفَ يَكُونُ نَبِيًّا لَا يُنَبَّأُ إِلَّا بِالْوَحْيِ، وَلَكِنْ قَالَ: ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾، وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدًا قَبْلَهُ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ الْمُرْسَلِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»، مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «**إِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَىٰ نُوحٍ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ**»(١)، فَلَا رَسُولَ قَبْلَ نُوحٍ، وَبِهَذَا نَعْلَمُ خَطَأَ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَبْلَ نُوحٍ، بَلِ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ إِدْرِيسَ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

* **قُلْتُ**: كَمَا فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ(٢).

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٢: ١، رَقْمُ ٣٨٨٧)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٤: ٥، رَقْمُ ١٦٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: «**فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَإِذَا فِيهَا إِدْرِيسُ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ**».

=

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَآخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتَمُهُم مُحَمَّدٌ ﷺ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَمَنِ ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ بَعْدَهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ عَنِ الْإِسْلَامِ.

* **قُلْتُ:** قَالَ ﷺ: «**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[1].

وَلَا عِبْرَةَ بِمَا يَقُولُه الْمُخَرِّفُ غُلَام مِرْزَا أَحْمَد الْقَادِيَانِي الضَّالُّ الْكَافِرُ الْمُجْرِمُ الَّذِي قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ بَشَّرَ بِي فَقَالُوا كَيْفَ؟ قَالَ: وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، قَالَ: أَنَا أَحْمَدُ، وَأَمَّا النَّبِيُّ فَمُحَمَّدٌ، قَالَ: فَبَشَّرَ بِي الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا قِيلَ لَهُ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ مَا تَقُولُ فِي هَذَا قَالَ الْخَاتَمُ لَيْسَ هُوَ الْأَخِيرُ الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَاسِطَةُ الْعِقْدِ، وَأَنَا حَبَّةٌ فِي الْعِقْدِ، هَذَا الْمَجْنُونُ!!

=

فَكُلَّمَا لَقِيَ ﷺ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، قَالَ: «**مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ**»، وَقَالَ فِي آدَمَ: «**بِالِابْنِ الصَّالِحِ**»، وَكَذَا قَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ إِدْرِيسُ: «**بِالْأَخِ الصَّالِحِ**»، وَلَوْ كَانَ فِي عَمُودِ نَسَبِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ وَأَبُوهُ آدَمُ، وَيُخَاطِبُهُ بِالْبُنُوَّةِ وَلَمْ يُخَاطِبْهُ بِالْأُخُوَّةِ.

انْظُرْ: «شَرْحَ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلْقَاضِي عِيَاضٍ (١/ ٥٧٥ - ٥٧٦)، وَ«التَّوْضِيحَ لِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ» لِابْنِ الْمُلَقِّنِ (٥/ ٢٤٣ - ٢٤٥، دَارُ الْفَلَاحِ)، وَ«فَتْحَ الْبَارِي» (٦/ ٣٧٥).

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

وَلَهُمُ الْآنَ فَضَائِيَّةٌ كَمَا سَمِعْنَا، وَعَلِمْنَا تَبُثُّ تِلْكَ السُّمُومَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِحُجَّةِ أَنَّهَا تُدَافِعُ عَنِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ ضِدَّ تُرُّهَاتِ الْمُنَصِّرِينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْإِلْحَادِ وَالزَّيْغِ، وَإِلَىٰ اللهِ الْمُشْتَكَىٰ.

◉ ◉ ◉



دَعْوَةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَالنَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ؛ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ أَنَّ اللهَ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾: هَذَا هُوَ مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

* **قُلْتُ:** ﴿بَعَثْنَا﴾: أَيْ أَرْسَلْنَا.

﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ يَعْنِي فِي كُلِّ أُمَّةٍ بَلَغَتْهَا الرِّسَالَةُ، وَهَذَا الْعُمُومُ يُسْتَفَادُ مِنْ ﴿كُلِّ﴾، ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ فَكُلٌّ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ أَلْفَاظِ الْعُمُومِ.

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، وَهُوَ مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ يَجْمَعُ أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ.

وَالثَّانِي: النَّهْيُ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

وَهَذَانِ هُمَا النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ، وَهُمَا مَا بُعِث بِهِ الْمُرْسَلُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

كُلُّ رَسُولٍ أُرْسِلَ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، كُفْرٌ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَعِبَادَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

***



قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ ....

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَرَادَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِهَذَا أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَاجْتِنَابِ الطَّاغُوتِ، وَقَدْ فَرَضَ اللهُ ذَلِكَ عَلَىٰ عِبَادِهِ.

وَالطَّاغُوتُ مُشْتَقٌّ مِنَ الطُّغْيَانِ، وَالطُّغْيَانُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، يَعْنِي: لَمَّا زَادَ الْمَاءُ عَنِ الْحَدِّ الْمُعْتَادِ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ يَعْنِي السَّفِينَةَ.

وَاصْطِلَاحًا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ -أَيِ الطَّاغُوتَ-: «كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ»(١).

---

(١) فِي «إِعْلَامِ الْمُوَقِّعِينَ» (١/ ٤٠) (دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ)، وَقَالَ: «فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مَنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرُ اللهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ يَتَّبِعُونَهُ عَلَىٰ غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ اللهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ؛ فَهَذِهِ طَوَاغِيتُ الْعَالَمِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا وَتَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ النَّاسِ مَعَهَا رَأَيْتَ أَكْثَرَهُمْ عَدَلُوا مِنْ عِبَادَةِ اللهِ إِلَىٰ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَعَنِ التَّحَاكُمِ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ إِلَىٰ التَّحَاكُمِ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَعَنْ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةِ رَسُولِهِ إِلَىٰ طَاعَةِ الطَّاغُوتِ =

وَمُرَادُهُ بِالْمَعْبُودِ وَالْمَتْبُوعِ وَالْمُطَاعِ غَيْرُ الصَّالِحِينَ، أَمَّا الصَّالِحُونَ فَلَيْسُوا طَوَاغِيتَ وَإِنْ عُبِدُوا أَوِ اتُّبِعُوا أَوْ أُطِيعُوا، فَالْأَصْنَامُ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ طَوَاغِيتُ، وَعُلَمَاءُ السُّوءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَىٰ الضَّلَالِ وَالْكُفْرِ، أَوْ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْبِدَعِ، أَوْ إِلَىٰ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ، أَوْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ طَوَاغِيتُ، وَالَّذِينَ يُزَيِّنُونَ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بِنُظُمٍ يَسْتَوْرِدُونَهَا مُخَالِفَةٌ لِنِظَامِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ طَوَاغِيتُ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ تَجَاوَزُوا حَدَّهُمْ، فَإِنَّ حَدَّ الْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ حَقِيقَةً وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، يَرِثُونَهُمْ فِي أُمَّتِهِمْ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَأَخْلَاقًا، وَدَعْوَةً وَتَعْلِيمًا، فَإِذَا تَجَاوَزُوا هَذَا الْحَدَّ وَصَارُوا يُزَيِّنُونَ لِلْحُكَّامِ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بِمِثْلِ هَذِهِ النُّظُمِ فَهُمْ طَوَاغِيتُ؛ لِأَنَّهُمْ تَجَاوَزُوا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ مِنْ مُتَابَعَةِ الشَّرِيعَةِ.

* **قُلْتُ:** وَقَوْلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ مُرَادُهُ بِالْمَعْبُودِ، وَالْمَتْبُوعِ، وَالْمُطَاعِ مَا سِوَىٰ الصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ: (كُلُّ مَنْ عُبِدَ) يَعْنِي مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، يَقُولُ: عِيسَىٰ عُبِدَ، وَالْعُزَيْرُ.

فَيُقَالُ لَهُ: لَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَخْبَرَ الْقَوْمَ بِأَنَّهُ عَبْدٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَرَسُولٌ مِنْهُ، فَهَذَا فِي حَالِ -كَمَا سَيَأْتِي- رِضَا الْمَعْبُودِ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ إِيَّاهُ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ غَيْرَ رَاضٍ فَلَيْسَ كَذَلِكَ.

=

وَمُتَابَعَتِهِ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ النَّاجِينَ الْفَائِزِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمُ الصَّحَابَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَلَا قَصَدُوا قَصْدَهُمْ».

يَعْنِي إِذَا كَانَ رَجُلٌ تُظَنُّ بِهِ الْوَلَايَةُ، وَتُدَّعَىٰ لَهُ، وَهُوَ يَأْمُرُ النَّاسَ أَنَّهُ إِذَا مَا مَاتَ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَلْجَئُوا إِلَىٰ قَبْرِهِ؛ فَقَبْرُهُ التِّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ، وَأَنْ يَذْبَحُوا عِنْدَهُ، وَأَنْ يَطُوفُوا حَوْلَهُ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، هَذَا يَرْتَضِي هَذِهِ الْعِبَادَةَ لَهُ، هَذَا يَرْتَضِيهَا، وَيَأْمُرُ بِهَا، وَهَذَا كَبِيرٌ لَا يَجُوزُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوْ مُطَاعٍ» فَيُرِيدُ بِهِ الْأُمَرَاءَ الَّذِينَ يُطَاعُونَ شَرْعًا أَوْ قَدَرًا، فَالْأُمَرَاءُ يُطَاعُونَ شَرْعًا إِذَا أَمَرُوا بِمَا لَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ لَا يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ طَوَاغِيتُ.

وَالْوَاجِبُ لَهُمْ عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَطَاعَتُهُمْ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ فِي هَذَا الْحَالِ بِهَذَا الْقَيْدِ طَاعَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ نُلَاحِظَ حِينَ نُنَفِّذُ مَا أَمَرَ بِهِ وَلِيُّ الْأَمْرِ مِمَّا تَجِبُ طَاعَتُهُ فِيهِ أَنَّنَا فِي ذَلِكَ نَتَعَبَّدُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَنَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، حَتَّىٰ يَكُونَ تَنْفِيذُنَا لِهَذَا الْأَمْرِ قُرْبَةً إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُلَاحِظَ ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

* **قُلْتُ:** وَكَذَلِكَ كَانَ يَقُولُ أَنْتَ -مَثَلًا- إِذَا مَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَوَضَّأَ فَتَنْوِيَ أَنْ تَتَوَضَّأَ يَكْفِي أَنْ تَنْوِيَ رَفْعَ الْحَدَثِ أَوِ اسْتِبَاحَةَ الصَّلَاةِ يَقُولُ تَنْوِي طَاعَةَ أَمْرِ اللهِ هَذِهِ نِيَّةٌ، وَتَنْوِي امْتِثَالَ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ، وَتَنْوِي الْإِتْيَانَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي هَذَا الْوُضُوءِ، وَكَمَا فِي هَذِهِ الطَّهَارَةِ تَنْوِي رَفْعَ الْحَدَثِ أَوِ اسْتِبَاحَةَ الصَّلَاةِ تَجْمَعُ هَذِهِ النِّيَّاتِ.

كَذَلِكَ إِذَا نَوَيْتَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ، تَنْوِي أَنْ تَرْفَعَ الْجَهَالَةَ عَنْ نَفْسِكَ، تَنْوِي أَنْ تَعْرِفَ بِالْعِلْمِ رَبَّكَ، تَنْوِي أَنْ تَعْرِفَ أَحْكَامَ الدِّينِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُطِيعَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ تَكُونَ سَائِرًا خَلْفَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، تَنْوِي أَنْ تُعَلِّمَ هَذَا الْعِلْمَ، وَأَنْ يَنْفَعَ اللهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ، تَنْوِي أَنْ تُدَافِعَ بِهَذَا الْعِلْمِ عَنْ دِينِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، نِيَّاتٌ فَإِذَا مَا نَوَيْتَهَا مَجْمُوعَةً هَكَذَا تَحَصَّلْتَ عَلَىٰ أَجْرِهَا فَأَتَىٰ بِهَذَا الْأَمْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا طَاعَةُ الْأُمَرَاءِ قَدْرًا فَإِنَّ الْأُمَرَاءَ إِذَا كَانُوا أَقْوِيَاءَ فِي سُلْطَتِهِمْ، فَإِنَّ النَّاسَ يُطِيعُونَهُمْ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِوَازِعِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ طَاعَةَ وَلِيِّ الْأَمْرِ تَكُونُ بِوَازِعِ الْإِيمَانِ وَهَذِهِ هِيَ الطَّاعَةُ النَّافِعَةُ، النَّافِعَةُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ، وَالنَّافِعَةُ لِلنَّاسِ أَيْضًا، وَقَدْ تَكُونُ الطَّاعَةُ بِوَازِعِ السُّلْطَانِ بِحَيْثُ يَكُونُ قَوِيًّا يَخْشَىٰ النَّاسُ مِنْهُ وَيَهَابُونَهُ؛ لِأَنَّهُ يُنَكِّلُ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ.

* **قُلْتُ:** «**إِنَّ اللهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ**»، كَمَا قَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1].

●●●

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ شَبَّةَ فِي «تَارِيخِ الْمَدِينَةِ» (٣/ ٩٨٨)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ: أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «**لَمَا يَزَعُ السُّلْطَانُ النَّاسَ أَشَدَّ مِمَّا يَزَعُهُمُ الْقُرْآنُ**»، وَفِي سَنَدِهِ انْقِطَاعٌ، وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَلَا يَصِحُّ.

أَحْوَالُ النَّاسِ مَعَ حُكَّامِهِمْ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِهَذَا نَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ مَعَ حُكَّامِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَهُمْ أَحْوَالٌ:

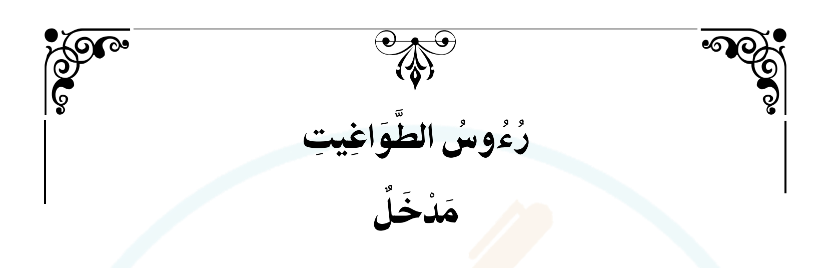
الْحَالُ الْأُولَى: أَنْ يَقْوَى الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ وَالرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ وَهَذِهِ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ وَأَعْلَاهَا.

* **قُلْتُ**: فَيَحْمِلُهُمْ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ عَلَى الْتِزَامِ أَحْكَامِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الْحَالُ الثَّانِيَةُ**: أَنْ يَضْعُفَ الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ وَالرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ، وَهَذِهِ أَدْنَى الْأَحْوَالِ وَأَخْطَرُهَا عَلَى الْمُجْتَمَعِ، عَلَى حُكَّامِهِ وَمَحْكُومِيهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا ضَعُفَ الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ وَالرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ حَصَلَتِ الْفَوْضَى الْفِكْرِيَّةُ وَالْخُلُقِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ.

الْحَالُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَضْعُفَ الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ وَيَقْوَى الرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ وُسْطَى؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَوِيَ الرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ صَارَ أَصْلَحَ لِلْأُمَّةِ فِي الْمَظْهَرِ فَإِذَا اخْتَفَتْ قُوَّةُ السُّلْطَانِ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حَالِ الْأُمَّةِ وَسُوءِ عَمَلِهَا.

الْحَالُ الرَّابِعَةُ: أَنْ يَقْوَى الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ وَيَضْعُفَ الرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ فَيَكُونُ الْمَظْهَرُ أَدْنَى مِنْهُ فِي الْحَالَةِ الثَّالِثَةِ لَكِنَّهُ فِيمَا بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَرَبِّهِ أَكْمَلُ وَأَعْلَى.



رُءُوسُ الطَّوَاغِيتِ

مَدْخَلٌ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ وَرُءُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ ....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَالطَّوَاغِيتُ): جَمْعُ طَاغُوتٍ وَسَبَقَ تَفْسِيرُهُ.

(وَرُءُوسُهُمْ): أَيْ زُعَمَاؤُهُمْ وَمُقَلِّدُوهُمْ خَمْسَةٌ.

●●●

الْأَوَّلُ: إِبْلِيسُ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِبْلِيسُ هُوَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ اللَّعِينُ.

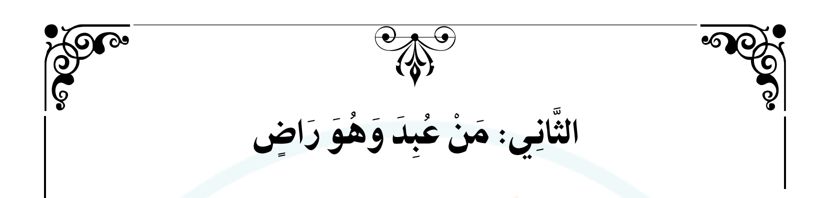
* **قُلْتُ:** لِأَنَّهُ الدَّاعِي إِلَىٰ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، فَهُوَ أَوَّلُ الطَّوَاغِيتِ؛ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]، الْمُرَادُ بِعِبَادَتِهِ هُنَا طَاعَتُهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الَّذِي قَالَ اللهُ لَهُ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٨]، وَكَانَ إِبْلِيسُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي صُحْبَتِهِمْ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِمْ، وَلَمَّا أُمِرَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ظَهَرَ مَا فِيهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْإِبَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ فَأَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ فَطُرِدَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

* **قُلْتُ:** نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُثَبِّتَنَا، وَأَنْ يَهْدِيَ قُلُوبَنَا، وَأَنْ يُحْسِنَ عَاقِبَتَنَا وَخِتَامَنَا إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الْإِنْسَانُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ صَلَاحٌ ظَاهِرٌ، وَلَكِنْ عِنْدَ الِامْتِحَانِ، وَعِنْدَ الْفِتْنَةِ... نَسْأَلُ اللهَ الثَّبَاتَ وَالْعَافِيَةَ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

⊙⊙⊙



الثَّانِي: مَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (**وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ**): أَيْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهُوَ رَاضٍ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنَّهُ مِنْ رُءُوسِ الطَّوَاغِيتِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- وَسَوَاءٌ عُبِدَ فِي حَيَاتِهِ أَوْ بَعْدَ مَمَاتِهِ إِذَا مَاتَ وَهُوَ رَاضٍ بِذَلِكَ.

❋ **قُلْتُ**: يَعْنِي بِأَنْ يُعْبَدَ، وَلَمْ يُحَذِّرْ مِنْهُ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ النَّاسَ يَعْبُدُونَهُ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِ، وَيَصْرِفُونَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ فَرَضِيَ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ، فَهُوَ طَاغُوتٌ؛ ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

● ● ●





الثَّالِثُ: مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ): أَيْ مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَإِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ فَإِنَّهُ مِنْ رُءُوسِ الطَّوَاغِيتِ سَوَاءٌ أُجِيبَ لِمَا دَعَا إِلَيْهِ أَمْ لَمْ يُجَبْ.

⦿⦿⦿

الرَّابِعُ: مَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ

* **قُلْتُ:** مَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ كَالْمُنَجِّمِينَ، وَالْكُهَّانِ، وَالرَّمَّالِينَ، وَمَا سِوَىٰ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ يَدَّعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْغَيْبُ مَا غَابَ عَنِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ نَوْعَانِ: وَاقِعٌ، وَمُسْتَقْبَلٌ، فَغَيْبُ الْوَاقِعِ نِسْبِيٌّ يَكُونُ لِشَخْصٍ مَعْلُومًا وَلِآخَرَ مَجْهُولًا.

* **قُلْتُ: الْغَيْبُ الْوَاقِعُ**: يُمْكِنُ أَنْ تَعْلَمَ شَيْئًا حَدَثَ فِي مَكَانٍ فِي زَمَانٍ وَقَعَ وَلَا يَعْلَمُهُ غَيْرُكَ، وَيَعْلَمُ هُوَ مَا لَمْ تَعْلَمْ، هَذَا غَيْبٌ نِسْبِيٌّ، الَّذِينَ فِي الطَّرِيقِ يَعْلَمُونَ مَا يَحْدُثُ فِي الطَّرِيقِ لَا نَعْلَمُهُ نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، هَذَا غَيْبٌ عَنَّا نَحْنُ هَذَا غَيْبٌ وَاقِعٍ، وَلَكِنَّهُ غَيْبٌ نِسْبِيٌّ يَعْلَمُهُ مَنْ يَعْلَمُهُ، وَيَجْهَلُهُ مَنْ يَجْهَلُهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَغَيْبُ الْمُسْتَقْبَلِ حَقِيقِيٌّ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا لِأَحَدٍ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ أَوْ مَنْ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الرُّسُلِ فَمَنِ ادَّعَىٰ عِلْمَهُ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وَإِذَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُعْلِنَ لِلْمَلَأِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ مَنِ ادَّعَىٰ عِلْمَ الْغَيْبِ فَقَدْ كَذَّبَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ فِي هَذَا الْخَبَرِ.

وَنَقُولُ لِهَؤُلَاءِ: كَيفَ يُمْكِنُ أَنْ تَعْلَمُوا الْغَيْبَ وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟ هَلْ أَنْتُمْ أَشْرَفُ أَمِ الرَّسُولُ ﷺ؟

فَإِنْ قَالُوا: نَحْنُ أَشْرَفُ مِنَ الرَّسُولِ، كَفَرُوا بِهَذَا الْقَوْلِ.

وَإِنْ قَالُوا: هُوَ أَشْرَفُ فَنَقُولُ: لِمَاذَا يُحجَبُ عَنْهُ الْغَيْبُ وَأَنْتُم تَعْلَمُونَهُ؟ وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧].

وَهَذِهِ آيَةٌ ثَانِيَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ كُفْرِ مَنِ ادَّعَىٰ عِلْمَ الْغَيْبِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُعْلِنَ لِلْمَلَأِ بِقَوْلِهِ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠].

●●●



الْخَامِسُ: مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ

* **قُلْتُ**: وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، فَالَّذِي يَحْكُمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مُسْتَحِلًّا لِذَلِكَ يَكُونُ طَاغُوتًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ تَنْفِيذٌ لِحُكْمِ اللهِ الَّذِي هُوَ مُقْتَضَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ، وَكَمَالِ مُلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَلِهَذَا سَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الْمَتْبُوعِينَ فِي غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ أَرْبَابًا لِمُتَّبِعِيهِمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فَسَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الْمَتْبُوعِينَ أَرْبَابًا حَيْثُ جُعِلُوا مُشَرِّعِينَ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَسَمَّىٰ الْمُتَّبِعِينَ عُبَّادًا حَيْثُ إِنَّهُمْ ذَلُّوا لَهُمْ وَأَطَاعُوهُمْ فِي مُخَالَفَةِ حُكْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* **قُلْتُ**: فَالْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَيْسَ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ يَقُومُ بِرَأْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ تَنْفِيذٌ لِحُكْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَتَنْفِيذُ حُكْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ مُقْتَضَىٰ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهَذَا دَالٌّ عَلَىٰ كَمَالِ مُلْكِهِ، وَكَمَالِ تَصَرُّفِهِ يَحْكُمُ فِيمَا يَمْلِكُ، وَفِيمَنْ يَمْلِكُ، وَيَتَصَرَّفُ فِي ذَلِكَ كَمَا يُرِيدُ سُبْحَانَهُ.

فَإِذَنْ هَذَا كَمَا تَرَىٰ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَلَيْس قِسْمًا قَائِمًا بِرَأْسِهِ، دَلِيلُ تَوْحِيدِ الْحَاكِمِيَّةِ كَذَا وَكَذَا، بَلْ هَذَا كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**»(١).

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ التَّحَاكُمُ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَرَدَتْ فِيهِ آيَاتٌ بِنَفْيِ الْإِيمَانِ عَنْهُ، وَآيَاتٌ بِكُفْرِهِ وَظُلْمِهِ، وَفِسْقِهِ.

فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: فَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٠ التَّوْبَةُ، ١٣، رَقْمُ ٣٠٩٥)، وَحَسَّنَهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٢٩٣).

لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٠- ٦٥].

فَوَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ لِلْإِيمَانِ وَهُمْ مُنَافِقُونَ بِصِفَاتٍ:

الْأُولَىٰ: أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ التَّحَاكُمُ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَهُوَ كُلُّ مَا خَالَفَ حُكْمَ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ﷺ؛ لِأَنَّ مَا خَالَفَ حُكْمَ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ طُغْيَانٌ وَاعْتِدَاءٌ عَلَىٰ حُكْمِ مَنْ لَهُ الْحُكْمُ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ وَهُوَ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ صَدُّوا وَأَعْرَضُوا.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا أُصِيبُوا بِمُصِيبَةٍ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ -وَمِنْهَا أَنْ يُعْثَرَ عَلَىٰ صَنِيعِهِمْ- جَاءُوا يَحْلِفُونَ أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا إِلَّا الْإِحْسَانَ وَالتَّوْفِيقَ كَحَالِ مَنْ يَرْفُضُ الْيَوْمَ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ، وَيَحْكُمُ بِالْقَوَانِينِ الْمُخَالِفَةِ لَهَا؛ زَعْمًا مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْإِحْسَانُ الْمُوَافِقُ لِأَحْوَالِ الْعَصْرِ.

ثُمَّ حَذَّرَ -سُبْحَانَهُ- هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ لِلْإِيمَانِ الْمُتَّصِفِينَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ بِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَمَا يُكِنُّونَهُ مِنْ أُمُورٍ تُخَالِفُ مَا يَقُولُونَ، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَعِظَهُمْ، وَيَقُولَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا.

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ إِرْسَالِ الرَّسُولِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُطَاعَ الْمَتْبُوعَ لَا غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ مَهْمَا قَوِيَتْ أَفْكَارُهُمْ وَاتَّسَعَتْ مَدَارِكُهُمْ، ثُمَّ أَقْسَمَ تَعَالَىٰ بِرُبُوبِيَّتِهِ لِرَسُولِهِ الَّتِي هِيَ أَخَصُّ أَنْوَاعِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالَّتِي تَتَضَمَّنُ الْإِشَارَةَ إِلَىٰ صِحَّةِ رِسَالَتِهِ ﷺ أَقْسَمَ بِهَا قَسَمًا مُؤَكَّدًا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ التَّحَاكُمُ فِي كُلِّ نِزَاعٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الثَّانِي: أَنْ تَنْشَرِحَ الصُّدُورُ بِحُكْمِهِ، وَلَا يَكُونَ فِي النُّفُوسِ حَرَجٌ وَضِيقٌ مِنْهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَحْصُلَ التَّسْلِيمُ بِقَبُولِ مَا حَكَمَ بِهِ وَتَنْفِيذِهِ بِدُونِ تَوَانٍ أَوِ انْحِرَافٍ.

* **قُلْتُ**: لَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْمُحَقِّقُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ(١): «فَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُحَكِّمَ الرَّسُولَ ﷺ فِي جَمِيعِ مَا شَجَرَ بَيْنَنَا، وَتَتَّسِعَ صُدُورُنَا لِحُكْمِهِ فَلَا يَبْقَىٰ فِيهَا حَرَجٌ، وَنُسَلِّمَ لِحُكْمِهِ تَسْلِيمًا فَلَا نُعَارِضُ بِعَقْلٍ، وَلَا بِرَأْيٍ، وَلَا هَوًىٰ، وَلَا غَيْرِهِ.

فَقَدْ أَقْسَمَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ نَفْيِ الْإِيمَانِ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ الْعَقْلَ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَقَدْ شَهِدُوا هُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِمَعْنَاهُ،

---

(١) «الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ» (٣/ ٨٢٨).

وَإِنْ آمَنُوا بِلَفْظِهِ»، وَلَكِنَّهُمْ شَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِمَعْنَاهُ فَلَمْ يَلْتَزِمُوا ذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَانَدُوهُ، وَرَدُّوهُ، وَإِنِ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ آمَنُوا بِلَفْظِهِ هَذَا هُوَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ.

ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَنَفَىٰ عَنْهُ الإِيمَانَ.

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي: فَمِثْل قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وَهَلْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ الثَّلَاثَةُ تَتَنَزَّلُ عَلَىٰ مَوْصُوفٍ وَاحِدٍ؟ بِمَعْنَىٰ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَهُوَ كَافِرٌ ظَالِمٌ فَاسِقٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَصَفَ الْكَافِرِينَ بِالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

فَكُلُّ كَافِرٍ ظَالِمٌ فَاسِقٌ، أَوْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ تَتَنَزَّلُ عَلَىٰ مَوْصُوفِينَ بِحَسَبِ الْحَامِلِ لَهُمْ عَلَىٰ عَدَمِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؟ هَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ عِنْدِي، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* **قُلْتُ:** وَهَذَا هُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَنَزَّلُ عَلَىٰ مَوْصُوفِينَ، وَهَؤُلَاءِ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْحُكْمُ عَلَىٰ حَسَبِ حَالِهِمْ فَقَدْ يَكُونُ الَّذِي لَا يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ كَافِرًا، وَقَدْ يَكُونُ ظَالِمًا، وَقَدْ يَكُونُ فَاسِقًا عَلَىٰ حَسَبِ حَالِهِ.

إِذَنْ فِيهَا تَفْصِيلٌ، هَذَا هُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهَذَا هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ، انْشَعَبُوا مِنْ هَذِهِ النُّقْطَةِ وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَيَقُولُونَ بِالتَّفْصِيلِ، وَأَمَّا الْخَوَارِجُ فَيَقُولُونَ هُوَ الْكُفْرُ الْأَكْبَرُ، وَالظُّلْمُ الْأَكْبَرُ، وَالْفِسْقُ الْأَكْبَرُ، كُلُّ ذَلِكَ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ فَلَمْ يُفَصِّلُوا.

فَهَذِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ كَمَا سَيَأْتِي مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْخَطِيرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ مِحْنَةٌ لِلْأُمَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ مَسْأَلَةُ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ هِيَ مِحْنَةُ الْأُمَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَبِسَبَبِهَا وَقَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْبَلَاءِ نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرْفَعَ الْكَرْبَ بِرَحْمَتِهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وَأَتَىٰ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- بِقَاعِدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ تَلْخِيصُ الْقَاعِدَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ هِيَ:

مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مُسْتَحِلًّا لِذَلِكَ، فَهُوَ طَاغُوتٌ يَعْنِي يَقُولُ حُكْمِي بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ حَلَالٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُطْلَقًا، لَمْ يَنْهَ عَنْهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَا رَسُولُهُ. هَذَا طَاغُوتٌ.

وَكَذَلِكَ الَّذِي يَقُولُ هَذَا حَلَالٌ، وَهُوَ مُسَاوٍ لِشَرْعِ اللهِ أَوْ هُوَ أَحْسَنُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، فَهَذَا طَاغُوتٌ.

وَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَهُوَ يُقِرُّ أَنَّ حُكْمَ اللهِ وَاجِبُ الِاتِّبَاعِ، وَأَنَّ غَيْرَهُ بَاطِلٌ، وَأَنَّهُ يَحْكُمُ بِبَاطِلٍ، فَهَذا كُفْرٌ أَصْغَرُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ لَكِنَّهُ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ.

وَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِغَيْرِ تَعَمُّدٍ، بَلْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الِاجْتِهَادِ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ وَاجْتَهَدَ وَلَمْ يُصِبْ حُكْمَ اللهِ يَكُونُ حَاكِمًا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، يَعْنِي إِذَا قَالَ الْحُكْمُ كَذَا وَكَذَا فِي الْمَسْأَلَةِ، وَيَكُونُ الَّذِي قَالَهُ مُخَالِفًا لِحُكْمِ اللهِ، يَكُونُ حِينَئِذٍ حَاكِمًا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا أُوتِيَ مِنْ قِبَلِ الْخَطَأِ، وَالْغَلَطِ، فَهَذَا لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَهَذَا مَغْفُورٌ لَهُ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[1].

فَهَذَا لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَضَىٰ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، يَعْنِي الْحَاكِمَ الْقَاضِيَ الَّذِي يَحْكُمُ فِي الْمَسْأَلَةِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ خَطَأً لَا يَتَبَيَّنُ لَهُ وَجْهُ الصَّوَابِ فَيَقْضِي فِيهَا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، يَكُونُ حُكْمُهُ مُخَالِفًا لِحُكْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هَذَا حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، يَعْنِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَهَلْ يَدْخُلُ فِي الْوَعِيدِ؟

لَا يَدْخُلُ فِي الْوَعِيدِ، بَلْ إِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، بَلْ إِذَا كَانَ مُجْتَهِدًا تَمَلَّكَ الْأَدَاةَ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُ، وَعَلَىٰ أَسَاسِهَا يَحْكُمُ فَلَهُ أَجْرٌ، وَلَكِنَّهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَخْطَرِ الْمَسَائِلِ افْتَرَقَ فِيهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ، وَافْتَرَقَتْ طَوَائِفُ أَتْبَاعِ السَّلَفِ، وَانْشَعَبَتِ الطُّرُقُ تَحْتَ أَقْدَامِهَا، وَضَلَّ فِيهَا مَنْ ضَلَّ، وَزَلَّ بِسَبَبِهَا مَنْ زَلَّ، هِيَ أَخْطَرُ الْأُمُورِ الَّتِي عَرَضَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَهِيَ أَخْطَرُ الْمَسَائِلِ الَّتِي تُجَابِهُ الْأُمَّةَ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الِاعْتِصَامِ، ٢١، رَقْمُ ٧٣٥٢)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْأَقْضِيَةِ، ٦، رَقْمُ ١٧١٦)، مِنْ حَدِيثِ: عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ، وَمَا تَرَتَّبَ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الْآثَارِ وَالنَّتَائِجِ وَالْأَحْكَامِ وَالْقِتَالِ وَالْخُرُوجِ وَنَزِيفِ الدِّمَاءِ وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ مَعْلُومَةٌ، فَيَنْبَغِي عَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ الَّذِي يَتَأَسَّىٰ خُطَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُحْكِمَهُ إِحْكَامًا صَحِيحًا، وَأَنْ يَصْدُرَ فِيهَا عَمَّا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَمِمَّا كَانَ عَلَيْهِ الْأَصْحَابُ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ حَتَّىٰ يَكُونَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْمَعْنَىٰ الصَّحِيحِ لَا بِالْمَعْنَىٰ الْمُسْتَعَارِ. هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللهُ: فَنَقُولُ: مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ اسْتِخْفَافًا بِهِ، أَوِ احْتِقَارًا لَهُ، أَوِ اعْتِقَادًا أَنَّ غَيْرَهُ أَصْلَحُ مِنْهُ، وَأَنْفَعُ لِلْخَلْقِ أَوْ مِثْلُهُ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا مُخْرِجًا عَنِ الْمِلَّةِ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَضَعُونَ لِلنَّاسِ تَشْرِيعَاتٍ تُخَالِفُ التَّشْرِيعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ؛ لِتَكُونَ مِنْهَاجًا يَسِيرُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَضَعُوا تِلْكَ التَّشْرِيعَاتِ الْمُخَالِفَةَ لِلشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا أَصْلَحُ وَأَنْفَعُ لِلْخَلْقِ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْجِبِلَّةِ الْفِطْرِيَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْدِلُ عَنْ مِنْهَاجٍ إِلَىٰ مِنْهَاجٍ يُخَالِفُهُ إِلَّا وَهُوَ يَعْتَقِدُ فَضْلَ مَا عَدَلَ إِلَيْهِ وَنَقْصَ مَا عَدَلَ عَنْهُ.

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَهُوَ لَمْ يَسْتَخِفَّ بِهِ، وَلَمْ يَحْتَقِرْهُ، وَلَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّ غَيْرَهُ أَصْلَحُ مِنْهُ لِنَفْسِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا ظَالِمٌ وَلَيْسَ بِكَافِرٍ وَتَخْتَلِفُ مَرَاتِبُ ظُلْمِهِ بِحَسَبِ الْمَحْكُومِ بِهِ وَوَسَائِلِ الْحُكْمِ.

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ لَا اسْتِخْفَافًا بِحُكْمِ اللهِ، وَلَا احْتِقَارًا، وَلَا اعْتِقَادًا أَنَّ غَيْرَهُ أَصْلَحُ، وَأَنْفعُ لِلْخَلْقِ أَوْ مِثْلُهُ، وَإِنَّمَا حكَمَ بِغَيْرِهِ مُحَابَاةً لِلْمَحْكُومِ لَهُ، أَوْ مُرَاعَاةً لِرِشْوَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا فَهَذَا فَاسِقٌ، وَلَيْسَ بِكَافِرٍ وَتَخْتَلِفُ مَرَاتِبُ فِسْقِهِ بِحَسَبِ الْمَحْكُومِ بِهِ وَوَسَائِلِ الْحُكْمِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِيمَنِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ أَنَّهُمْ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ[1]:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بَدَّلُوا دِينَ اللهِ فَيَتَّبِعُونَهُمْ عَلَىٰ التَّبْدِيلِ وَيَعْتَقِدُونَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ، وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ اللهُ؛ اتِّبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ خَالَفُوا دِينَ الرُّسُلِ فَهَذَا كُفْرٌ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ شِرْكًا.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اعْتِقَادُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ بِتَحْلِيلِ الْحَرَامِ وَتَحْرِيمِ الْحَلَالِ -كَذَا الْعِبَارَةُ الْمَنْقُولَةُ عَنْهُ- ثَابِتًا لَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ مَا يَفْعَلُهُ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَعَاصٍ فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حُكْمُ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ.

وَهُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي تُعْتَبَرُ تَشْرِيعًا عَامًّا وَالْمَسْأَلَةِ الْمُعَيَّنَةِ الَّتِي يَحْكُمُ فِيهَا الْقَاضِي بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ لِأَنَّ الْمَسَائِلَ الَّتِي تُعْتَبَرُ تَشْرِيعًا عَامًّا لَا يَتَأَتَّىٰ فِيهَا التَّقْسِيمُ السَّابِقُ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ فَقَطْ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمُشَرِّعَ

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» (٧/ ٧٠).

تَشْرِيعًا يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ إِنَّمَا شَرَّعَهُ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ أَصْلَحُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَنْفَعُ لِلْعِبَادِ كَمَا سَبَقَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ أَعْنِي مَسْأَلَةَ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْكُبْرَىٰ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا حُكَّامُ هَذَا الزَّمَانِ؛ فَعَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ لَا يَتَسَرَّعَ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يَسْتَحِقُّونَهُ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ؛ لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ خَطِيرَةٌ -نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُصْلِحَ لِلْمُسْلِمِينَ وُلَاةَ أُمُورِهِمْ وَبِطَانَتَهُمْ- كَمَا أَنَّ عَلَىٰ الْمَرْءِ الَّذِي آتَاهُ اللهُ الْعِلْمَ أَنْ يُبَيِّنَهُ لِهَؤُلَاءِ الْحُكَّامِ؛ لِتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ.

* **قُلْتُ:** يَعْنِي يَصْعَدُ بَعْضُ النَّاسِ الْمِنْبَرَ، وَيُكَفِّرُ الْحَاكِمَ فَتَقُولُ لَهُ: يَا أَخِي لَعَلَّهُ لَا يَعْلَمُ، وَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ.

يَقُولُ: لَا هُوَ يَعْلَمُ.

مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّهُ يَعْلَمُ؟

يَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ يَعْلَمُ.

سُبْحَانَ اللهِ يَعْنِي هَلْ أَقَامَ أَحَدٌ الْحُجَّةَ الْإِلَاهِيَّةَ الرَّبَّانِيَّةَ النَّبَوِيَّةَ الرَّسُولِيَّةَ لَا الْحُجَّةَ الَّتِي تَزْعُمُهَا أَنْتَ يَعْنِي قَدْ يَقُولُ إِنْسَانٌ قَوْلًا، وَيَقُولُ: قَدْ أَقَمْتُ بِهِ الْحُجَّةَ. وَيَكُونُ الْقَوْلُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ بَاطِلًا أَوْ يَكُونُ غَيْرَ وَاضِحٍ أَوْ لَا يَصِلُ إِلَىٰ الْمَحْجُوجِ الَّذِي تُقَامُ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بَعْضُهُمْ يَكْتُبُ فِي جَرِيدَةٍ مِنَ الْجَرَائِدِ السَّيَّارَةِ، وَيَقُولُ أَقَمْتُ بِذَلِكَ الْحُجَّةَ. هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ فَلَا بُدَّ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ.

تَوَفُّرُ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءُ الْمَوَانِعِ، وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ، وَالْحُجَّةُ بِشُرُوطِهَا هَذَا أَمْرٌ كَبِيرٌ، التَّفْصِيلُ فِي مَسْأَلَةِ التَّكْفِيرِ لِمَنْ حكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَبِهِ افْتَرَقَتِ الْأُمَّةُ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ إِلَىٰ هَذِهِ الشُّعَبِ، الَّذِين كَانُوا تَحْتَ رَايَةِ السَّلَفِ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ بِسَبَبِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، الَّذِي لَا يُفَصِّلُ يُكَفِّرُ قولًا وَاحِدًا، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ التَّكْفِيرِ مَا يَتَرَتَّبُ مِنَ الْخُرُوجِ وَالتَّنْظِيمِ، وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، وَاسْتِحْلَالِ الْأَبْدَانِ بِالدِّمَاءِ، وَاسْتِحْلَالِ نَهْبِ الْأَمْوَالِ، وَسَلْبِ الثَّرَوَاتِ، وَالْحَرْبِ الْمُقَدَّسَةِ... تَقَدَّمُوا يَا رِجَالُ...

يَقُولُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ: تَقَدَّمُوا يَا رِجَالُ، اللهُ أَكْبَرُ!!

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ: وَتَتَبَيَّنُ الْمَحَجَّةُ فَيَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلَا يَحْقِرَنَّ نَفْسَهُ عَنْ بَيَانِهِ وَلَا يَهَابَنَّ أَحَدًا فِيهِ؛ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

* **قُلْتُ:** وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ إِنَّمَا وَجَدُوا مِيرَاثًا وَرِثُوهُ، وَقَدْ لَمْ يَدُلَّهُمْ، وَقَدْ يَكُونُونَ مِنَ الْجَهْلِ بِدِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَدُلَّهُمْ مَنْ عِنْدَهُمْ، وَلَا حَوْلَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَثِقُونَ فِيهِمْ، لَمْ يَدُلُّوهُمْ عَلَىٰ خُطُورَةِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

هَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنَ الْمَسَائِلِ الْخَطِيرَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَارِعَ فِيهَا الْإِنْسَانُ إِلَىٰ الْحُكْمِ، هَذَا لَا يَجُوزُ، وَإِلَّا وَقَعَ فِي التَّكْفِيرِ، وَكَفَّرَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَهَذَا لَا

يَجُوزُ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ هَذَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ؛ لِأَنَّهُمْ عِنْدَمَا يُكَفِّرُونَ الْحُكَّامَ يُسْقِطُونَ الْوَلَايَةَ الشَّرْعِيَّةَ إِذَا كَفَرَ سَقَطَتْ وِلَايَتُهُ لَا يُطَاعُ لَيْسَتْ لَهُ طَاعَةٌ، وَحِينَئِذٍ تَبْدَأُ الْجَمَاعَاتُ فِي الْعَمَلِ، وَالتَّشْكِيلَاتِ، وَالتَّنْظِيمَاتِ السِّرِّيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَالَّتِي تَبْتَغِي الْخُرُوجَ فِي النِّهَايَةِ خُرُوجًا مُسَلَّحًا؛ مِنْ أَجْلِ إِزَاحَةِ مَنْ كَفَرَ، وَإِقَامَةِ الْحُكْمِ بِزَعْمِهِمْ.

وَلَمْ يَحْدُثْ ذَلِكَ كَمَا رَأَيْتَ لَا فِي الْجَزَائِرِ، وَلَا فِي فِلِسْطِينَ، بَلْ غَزَّةَ كَمَا تَرَىٰ، قَالُوا: سَنَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ!! فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ كَرَاسِيِّ الْحُكْمِ قِيلَ لَهُمْ: احْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ. قَالُوا: لَا نَسْتَطِيعُ الْآنَ، وَأَتَوْا بِبَعْضِ الْكُفَّارِ جَعَلُوهُمْ مَعَهُمْ فِي الْوِزَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَبَعْضِ النِّسْوَةِ مِنَ السَّافِرَاتِ الْعَلْمَانِيَّاتِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا.

إِذَنْ: الْقَضِيَّةُ قَضِيَّةُ الْكُرْسِيِّ فَقَطْ لَيْسَتْ قَضِيَّةَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ. يُقَالُ لَهُ: قَدْ صِرْتَ صَاحِبَ سُلْطَانٍ. فَإِنْ قَالَ: لَا، وَاللهِ هِيَ سُلْطَةٌ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ.

قُلْنَا: وَلِمَ نَازَعْتَ عَلَيْهَا أَصْلًا، مَا دَامَتْ سُلْطَةً بِغَيْرِ سُلْطَانٍ، وَلِمَاذَا أَتَيْتَ بِالْفِتَنِ، وَالْمِحَنِ، وَالْبَلَايَا؟

هَذَا أَمْرٌ مُسْتَغْرَبٌ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ!

وَلَكِنْ هَكَذَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ دَائِمًا وَأَبَدًا، يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ فِي الْقِطَاعِ يَقُولُونَ الْأَرْضُ أَرْضُ اللهِ، وَالْخِلَافَةُ إِذَا أُقِيمَتْ لَا حُدُودَ، وَلَا قُيُودَ، وَلَا سُدُودَ،

وَالْمُسْلِمُ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعُظْمَىٰ، وَفِي زَمَنِ الْخِلَافَةِ يَتَحَرَّكُ فِي أَرْضِ اللهِ كَمَا يَشَاءُ.

إِذَنْ هَذِهِ الْأَرْضُ الْفَلَاةُ هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَىٰ الْمِصْرِيِّينَ هَذِهِ الْأَرْضُ أَرْضُ اللهِ، وَعَلَيْهِ فَنَحْنُ نَأْخُذُ هَذِهِ الْأَرْضَ تُسْقِطُونَ حُجَّتَكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ إِذَا دَخَلْتُمْ فَاحْتَلَلْتُمْ أَرْضَ الْمِصْرِيِّينَ يَقُولُ لَكُمُ الْيَهُودُ: أَنْتُمْ تَحْتَلُّونَ أَرْضَ الْغَيْرِ فَلِمَاذَا تُطَالِبُونَنَا بِأَنْ نَجْلُوَ عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي أَخَذْنَاهَا مِنْكُمْ، تُسْقِطُونَ حُجَّتَكُمْ هَذَا أَوَّلًا.

ثَانِيًا: أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ إِذَا كَانَتْ مِلْكًا لِلْمِصْرِيِّينَ فَأَنْتُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ تَكُونُوا آخِذِينَهَا بِرِضَاهُمْ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونُوا آخِذِينَهَا قَسْرًا، وَرَغْمَ أُنُوفِهِمْ فَأَنْتُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ فَهَلِ اسْتَأْذَنْتُمْ أَصْحَابَ الْأَرْضِ فِي الِاسْتِحْوَاذِ عَلَيْهَا؟

لَمْ يَسْتَأْذِنُوا إِذَنْ غُصِبَتْ، قَدْ أَخَذْتُمُوهَا غَصْبًا إِنَّكُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَسْتَأْذِنُوا، وَلَمْ تَسْتَأْذِنُوا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونُوا غَاصِبِينَ، هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا مَنْ يَقَعُ.

شَيْءٌ آخَرُ كَبِيرٌ وَخَطِيرٌ، الْعَالَمُ يَمُوجُ بِالْفِتَنِ، وَالْفَتَّانِينَ، وَالزَّائِغِينَ الْمُنْحَرِفِينَ الَّذِينَ يُفَجِّرُونَ يُدَمِّرُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَمُونَ إِلَىٰ الِاسْتِخْبَارَاتِ الْكَافِرَةِ فِي الدُّوَلِ الْكَافِرَةِ الْفَاجِرَةِ فَتُرِيدُ أَنْ تُزِيلَ الْحُدُودَ بَيْنَ الْقِطَاعِ وَمِصْرَ وَحْدَهَا يَعْنِي هَلْ نَصْنَعُ نَحْنُ نَفْسَ الصَّنِيعِ فِي الْحُدُودِ الْغَرْبِيَّةِ لَنَا فَنَتَوَسَّعَ فِي الْأَرَاضِي اللِّيبِيَّةِ، وَنَقُولُ هِيَ أَرْضُ اللهِ أَوْ فِي الْحُدُودِ الْجَنُوبِيَّةِ، وَفِي السُّودَانِ مِنَ الثَّرَوَاتِ

مَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَنَقُولُ هِيَ أَرضُ اللهِ، وَالدَّوْلَةُ الإِسْلَامِيَّةُ الْقَائِمَةُ، وَالْخِلَافَةُ وَاللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ.

وَهُنَا يُرَوِّجُونَ وَهَذَا خَطِيرٌ يَقُولُونَ الْخِلَافَةُ وَهَؤُلَاءِ إِخوَتُنَا، نَعَمْ إِخْوَتُنَا دِيَارُنَا دِيَارُهُمْ، وَأَمْوَالُنَا أَمْوَالُهُمْ، وَكُلُّ مَا نَمْلِكُ مِنَ الْقُوَّةِ رَهْنُ الْإِشَارَةِ عِنْدَمَا يَكُونُ الْجِهَادُ شَرْعِيًّا تَحْتَ الرَّايَةِ لَا نَبْخَلُ بِهِ، وَلَا نَضِنُّ بِهِ أَبَدًا حَتَّىٰ الدِّمَاءِ.

هَذَا وَاجِبُ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ أَخِيهِ، وَهَذَا مَا فَرَضَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ يَقُولُونَ إِخوَانُنَا نَبْغِي أَنْ نَسعَهُمْ، نَعَمْ سَعْهُمْ عَلَىٰ الرُّؤُوسِ، وَلَكِنْ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، دَخَلْتُمْ قَسْرًا.

فَبَيْنَ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ تَكُونُوا تَخَطَّيْتُمْ إِلَىٰ حُدُودِ الْغَيْرِ بِرَغْبَتِهِمْ، وَإِرَادَتِهِمْ، وَاخْتِيَارِهِمْ بِالتَّفَاوُضِ مَعَهُمْ. لَمْ يَقَع، فَالثَّانِيَةُ إِذَنْ قَدِ اغْتَصَبْتُمْ مِلْكَ غَيْرِكُمْ، وَهَذا لَا يَجُوزُ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

يَعْنِي هَلْ يَجُوزُ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ يَغْتَصِبَ الْمُسْلِمُ دَارَ أَخِيهِ، وَيَقُولُ: نَحْنُ فِي زَمَنِ الْخِلَافَةِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ؟!

يَجُوزُ؟!

لَا يَجُوزُ، يُرَبُّونَ النَّاسَ عَلَىٰ الضَّلَالِ وَالْبَاطِلِ، ثُمَّ لِمَاذَا لَمْ تَتَوَسَّعْ فِي الِاتِّجَاهِ الْآخَرِ يَعْنِي تَتَمَدَّدُ هَاهُنَا فَقَطْ تَتَمَدَّدُ هُنَالِكَ، فَهَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ تَمَدَّدْ هُنَالِكَ لَا هُنَا، فَشَيْءٌ غَرِيبٌ.

وَلِذَلِكَ نَذْكُرُ هُنَا ذَلِكَ الْمُعَلِّمَ الَّذِي كَتَبَ سَطْرًا، ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ تَلَامِذَتِهِ أَنْ يَقْرَأَهُ، فَقَالَ: قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ فَاقْرَأْ مَا كَتَبْتُ، فَلَمْ يَقُمْ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ. فَلَمْ يَقُمْ. فَجَاءَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ، فَاقْرَأْ لِمَاذَا لَمْ تَقُمْ؟

قَالَ: يَا أُسْتَاذُ لَمْ تُعَيِّنِّي، كُلُّنَا عَبِيدُ اللهِ، كُلُّنَا عِبَادُ اللهِ فَلَمْ تُعَيِّنِّي.

* **قُلْتُ**: قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ.

كُلُّنَا عَبْدُ اللهِ.

فَقَالَ لَهُمْ: حَيُّوا أَخَاكُمْ أَيُّهَا التَّلَامِيذُ فَحَيَّوْهُ، ثُمَّ قَالَ: قُمْ يَا حَمْزَةُ فَاقْرَأْ هَذَا السَّطْرَ فَلَمْ يَقُمْ، قَالَ: قُمْ يَا حَمْزَةُ فَلَمْ يَقُمْ، فَجَاءَهُ فَقَالَ: يَا حَمْزَةُ لِمَ لَمْ تَقُمْ؟

قَالَ: يَا أُسْتَاذُ لَمْ تُعَيِّنِّي كُلُّنَا حَمَامِيزُ اللهِ.

فَهِيَ أَرْضُ اللهِ، وَهِيَ الْخِلَافَةُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ.

***

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١) ....

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: **(وَالدَّلِيلُ)**: أَيْ: عَلَىٰ وُجُوبِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ.

* **قُلْتُ:** وَالدَّلِيلُ يَعْنِي عَلَىٰ مَا مَرَّ ذِكْرُهُ فِي مَسْأَلَةِ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانِ بِاللهِ.

مَعْنَىٰ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ: أَنْ تَعْتَقِدَ بُطْلَانَ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَتَتْرُكَهَا، وَتُبْغِضَهَا، وَتُكَفِّرَ أَهْلَهَا، وَتُعَادِيَهُمْ.

مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ: أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتُخْلِصَ لَهُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَتَنْفِيَهَا عَنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، وَتُحِبَّ أَهْلَ الْإِخْلَاصِ، وَتُوَالِيَهِمْ، وَتُبْغِضَ أَهْلَ الشِّرْكِ، وَتُعَادِيَهِمْ هَذَا مَعْنَىٰ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٨: ١، رَقْمُ ٢٦١٦)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي (الْفِتَنِ، ١٢: ٧، رَقْمُ ٣٩٧٣)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٤١٣).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾: لَا إِكْرَاهَ عَلَىٰ الدِّينِ لِظُهُورِ أَدِلَّتِهِ وَبَيَانِهَا وَوُضُوحِهَا وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾، فَإِذَا تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَإِنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَلِيمَةٍ لَا بُدَّ أَنْ تَخْتَارَ الرُّشْدَ عَلَىٰ الْغَيِّ.

* **قُلْتُ**: الْغَيُّ الضَّلَالُ الْمُفْضِي إِلَىٰ الشَّقَاءِ، وَالْخُسْرَانِ، هَلْ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْنَىٰ الْآيَةِ هُوَ مَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيهَا؟

فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَقْوَالٌ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ الْآيَةُ فِيهَا أَقْوَالٌ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ أَحَدًا لَا يُكْرِهُ أَحَدًا عَلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ فَنُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ لِأَجْلِ نَشْرِ الْإِسْلَامِ، وَقَمْعِ أَعْدَاءِ اللهِ، وَالْهِدَايَةُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ. كَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الثَّانِي مِنَ الْأَقْوَالِ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يُجْبَرُونَ عَلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنْ أَرَادُوا الْبَقَاءَ عَلَىٰ دِينِهِمْ مُكِّنُوا مِنَ الْبَقَاءِ عَلَىٰ ذَلِكَ بِشَرْطِ أَنْ يَدْفَعُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.

الثَّالِثُ مِنَ الْأَقْوَالِ: أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ الَّذِي اخْتَارَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

وَالْآيَةُ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، وَالدِّينُ لَا يَدْخُلُ فِي الْقُلُوبِ بِالْإِكْرَاهِ، وَهَذَا مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانُ بِاللهِ، وَهُوَ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ كَمَا سَيَأْتِي هُوَ تَخْلِيَةٌ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾: بَدَأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ قَبْلَ الإِيمَانِ بِاللهِ؛ لِأَنَّ مِنْ كَمَالِ الشَّيْءِ إِزَالَةَ الْمَوَانِعِ قَبْلَ وُجُودِ الثَّوَابِتِ وَلِهَذَا يُقَالُ: التَّخْلِيَةُ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ.

* **قُلْتُ**: «التَّخْلِيَةُ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ»: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾: أَيْ تَمَسَّكَ بِهَا تَمَسُّكًا تَامًّا، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَىٰ هِيَ الإِسْلَامُ، وَتَأَمَّلْ كَيْفَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (تَمَسَّكَ)؛ لِأَنَّ الِاسْتِمْسَاكَ أَقْوَىٰ مِنَ التَّمَسُّكِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَمَسَّكُ وَلَا يَسْتَمْسِكُ.

قَوْلُهُ: (**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ**): أَرَادَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- الِاسْتِدْلَالَ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ رَأْسًا، فَرَأْسُ الْأَمْرِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامُ.

(**وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ**): لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِهَا، وَلِهَذَا كَانَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ كُفْرَ تَارِكِ الصَّلَاةِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ الْإِسْلَامُ.

(**وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**): أَيْ أَعْلَاهُ وَأَكْمَلُهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصْلَحَ نَفْسَهُ حَاوَلَ إِصْلَاحَ غَيْرِهِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِيَقُومَ الْإِسْلَامُ وَلِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَمَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَصَارَ ذِرْوَةَ السَّنَامِ؛ لِأَنَّ بِهِ عُلُوَّ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ غَيْرِهِ.

* **قُلْتُ:** السَّنَامُ فِي الشَّيْءِ أَعْلَاهُ، سَنَامُ الْبَعِيرِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ يَكُونُ مُكْتَنِزًا يَكُونُ سَمِينًا ضَخْمًا إِذَا كَانَ الْبَعِيرُ نَفْسُهُ ذَا قُوَّةٍ ذَا حَيَاةٍ، وَلَكِنْ يَضْعُفُ هَذَا السَّنَامُ بِضَعْفِ الْبَعِيرِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ لِلدِّينِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: الرَّأْسُ، وَالْعَمُودُ، وَالسَّنَامُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَبِعَدَمِ الرَّأْسِ لَا وُجُودَ لِلدِّينِ أَصْلًا، فَالَّذِي يُحَقِّقُ الرَّأْسَ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ يُحَقِّقُ الْإِسْلَامَ، وَالَّذِي لَا يُحَقِّقُ الرَّأْسَ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ لَا دِينَ لَهُ أَصْلًا هُوَ الرَّأْسُ، إِنَّهُ لَا بَدَنَ بِغَيْرِ رَأْسٍ فَرَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ حَقَّقَ الْإِسْلَامَ، وَعَمُودُ الْأَمْرِ الصَّلَاةُ الَّذِي لَا يُصَلِّي لَا يَقُومُ لَهُ دِينٌ، الْعَمُودُ فِي الْفُسْطَاطِ فِي الْخَيْمَةِ تَقُومُ عَلَيْهِ الْخَيْمَةُ، ثُمَّ تُشَدُّ بِأَطْنَابٍ إِلَىٰ أَوْتَادِهَا حَوَالَيْهَا.

الَّذِي لَا يُصَلِّي لَا يَقُومُ لَهُ دِينٌ فَالْعَمُودُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الدِّينُ الصَّلَاةُ، ذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، جَعَلَ لَهُ سَنَامًا كَمَا جَعَلَ لَهُ رَأْسًا، وَعَمُودًا إِذَا فُقِدَ الْجِهَادُ فُقِدَتْ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فَصَارُوا مُسْتَضْعَفِينَ كَالْبَعِيرِ الْمَهْزُولِ الَّذِي لَا سَنَامَ لَهُ، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ.

◉◉◉

الْخَاتِمَةُ بِرَدِّ الْعِلْمِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ....

---

* **قُلْتُ:** صَلَّىٰ: خَبَرِيَّةٌ لَفْظًا إِنْشَائِيَّةٌ مَعْنًىٰ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ الدُّعَاءَ لَا يُرِيدُ الْإِخْبَارَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ فَالْمَعْنَىٰ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ: (الْآلُ) فِيهِمْ أَقْوَالٌ، الْأَظْهَرُ: أَنَّ الْآلَ إِذَا ذُكِرُوا، وَحْدَهُمْ فَالْمُرَادُ: جَمِيعُ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ عَلَىٰ دِينِهِ فَنَدْخُلُ نَحْنُ فَنَكُونُ مِنْ آلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا كَمَا تَرَىٰ الْمُرَادُ هُنَا، أَمَّا إِذَا قُرِنَتْ بِالْأَتْبَاعِ فَقِيلَ عَلَىٰ آلِهِ وَأَتْبَاعِهِ فَالْآلُ حِينَئِذٍ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَأَمَّا إِذَا ذُكِرَتْ مُفْرَدَةً: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: وَأَتْبَاعِهِ، وَلَوْ قَالَ: وَأَتْبَاعِهِ تَكُونُ الْآلُ مَخْصُوصَةً بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا ذُكِرَتْ مُطْلَقَةً كَمَا هُنَا يَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مُتَّبِعٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ سُنَّتِهِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ: جَمْعُ صَاحِبٍ، وَيُجْمَعُ عَلَىٰ أَصْحَابٍ، وَهُمْ كُلُّ مَنِ اجْتَمَعَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ، وَمَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِنْ تَخَلَّلَتْهُ رِدَّةٌ عَلَىٰ الصَّحِيحِ.

وسَلَّمَ: مَعْطُوفُ عَلَىٰ (وَصَلَّىٰ اللهُ) أَيِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْهُ، فَأَيْضًا هَذَا خَبَرِيٌّ فِي اللَّفْظِ إِنشَائِيٌّ فِي الْمَعْنَىٰ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُمَّ سَلِّمْهُ أَيْ: مِنَ النَّقَائِصِ، وَالرَّذَائِلِ، وَالْآفَاتِ ﷺ.

وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالسَّلَامِ سِرٌّ بَدِيعٌ؛ فَفِي الصَّلَاةِ حُصُولُ الْمَطْلُوبِ، وَفِي السَّلَامِ زَوَالُ الْمَرْهُوبِ.

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللهُ: خَتَمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- رِسَالَتَهُ هَذِهِ بِرَدِّ الْعِلْمِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِهَذَا انْتَهَتِ «**الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ**»، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُثِيبَ مُؤَلِّفَهَا أَحْسَنَ ثَوَابٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَنَا نَصِيبًا مِنْ أَجْرِهَا وَثَوَابِهَا، وَأَنْ يَجْمَعَنَا وَإِيَّاهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

* **قُلْتُ**: وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ أَبَوَيْهِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمُرْسَلِينَ.

وَقَدْ كَانَ الْفَرَاغُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ شَرْحِ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ، وَبَيَانِ غَامِضِهَا فِي الْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ بِسُبْكِ الْأَحْدِ مِنْ أَعْمَالِ مُدِيرِيَّةِ الْمُنُوفِيَّةِ بِمِصْرَ -حَرَسَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِعِنَايَتِهِ- فِي مَجَالِسَ أَوَّلُهَا لَيْلَةُ الْخَمِيسِ السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ الْمُخْتَارِ ﷺ الْمُوَافِقِ لِلرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ فِبْرَايِر لِسَنَةِ ثَمَانٍ وَأَلْفَيْنِ مِنْ مِيلَادِ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَآخِرُهَا لَيْلَةُ الْأَحَدِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ لِسَنَةٍ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ الْمُخْتَارِ ﷺ، الْمُوَافِق لِلرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ فِبْرَايِر سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَلْفَيْنِ مِنْ مِيلَادِ عَبْدِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَكَلِمَتِهِ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٍ مِنْهُ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

◉ ◉ ◉